المشرق

السنة الخمسون

تموز – تشرين الاول ١٩٥٦

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

وفي هذا الشتاء اجتمعت الكواكب السبعة السيّارة في برج الجدي. وشمل الناس الرعب بسبب ذلك[1]. ذلك لانه زحل وعطارد لا يجتمعان في برج الدلو الّا في الصيف.

امّا صاحب مصر فلمّا بلغه ان الملك ارغون تعزّز في مملكته وانتهى أمر احمد ومَن معه بعث فأخرج الشيخ عبد الرحمن من سجن القلعة وجعله في احد (٥٥٦) مساجد دمشق وما زال يقوم بجميع نفقاته. ولا يخفى ان هذا عبد الرحمان يتحدّر من عبدٍ من عبيد الخليفة المستعصم وهو روميّ المحتد. ولمّا

١) انّ ما يحدث في الدنيا ليس متأتياً عن سير الكواكب او اجتماعها بل يجري بمشيئته تعالى لان عصفوراً واحداً لا يسقط على الارض دون مشيئته (متى ١٠ : ٢٩).

فتح التتر بغداد افلت من القتل وسار الى الموصل وتعاطى التجارة في أخذ اسواقها وكان قد اتقن تلك الصناعة واحبها . ثم انطلق الى قلعة العمادية وقابل لعزّ الدين صاحبها انه قادر ان يعمل اعمالًا عجيبة التقفها بوحي روحاني . فمضى به الى آباقا وحادثه وقال له : مُر بذهابي الى خزانتكم في قلعة تلا كي أبدي لكم صناعتي . فمضوا به اليها وجعل يقيس أرضها هنا وهناك ثم انتصب في مكانٍ ما وأمر ان يحفروه وهو واقف بعيدًا . فحفروا وعثروا على خاتم له فصّ عجيب غالي الثمن فاخذوه الى الملك . ولمّا تحققت كلمته في هذا جعلوا يصدّقونه في كلّ ما يقوله . من ذلك انه قادر ان يطرد الشياطين ويطلع على اسرارها . واحتظى لدى اولاد الملوك حتى انهم ولوه سياسة الدولة كلها ولا سيما في اثناء مملكة احمد القطيرة . قيل ان المغول لمّا نهبوا خزانة الخليفة استاقوه هو كذلك الى قلعة تلا وجعل يدخلها حاملًا بعض الاغراض وفي جملتها الخاتم المذكور وهو الذي طمره في تلك الارض .

وفي كانون الثاني من هذه السنة وجه ارغون ملك الملوك مناشير الى كل البلاد يقول : « ان احمد خالف شرائع آبائنا وسار في طريقة الاسلام التي جبلوها فقد اتفق ابناء الملوك قاطبةً وعزلوه ووجهوه الى الخان ابينا ليحاكمه وأجلسوني على عرش المملكة التي تمتدّ من جيحون حتى بلاد الفرنج . فطيبوا نفساً . ولينصرف كلٌّ الى عمله وليحذر الولاة والحكّام في كل مكان من ان (٥٥٧) يتعدّوا على احد . والّا فلا بدّ من فلق رؤوسهم .

وبلغنا في هذه الايام ان صاحب مصر أرسل الشيخ عبد الرحمان واصحابه من دمشق الى قلعة صفد واعتقلهم هناك ولا يُرجى خلاصهم .

وفي هذه السنة ١٥٩٦ لليونان (١٢٨٥ م) باضت في برطلي دجاجة بيضة تحاكي بكبرها بيضة الوز . وفي اسبوع الآلام الخلاصية باضت دجاجة اخرى هناك بيضة صغيرة عنقها رقيق معوج طويل مثل القطينة وشاهدناها بعيننا .

وصباح الاحد ٢٩ تموز انقضّ جيش سورية في ستمائة فارس من اكراد واتراك وبدو على بلد اربيل ونهبوا وقتلوا رجالًا كثيرين من عمكاباد وسبرهجان وغيرهما من القرى . وخرج بهاء الدين الامير الكردي من اربيل ليناوشهم فانكسر وانقلب عائدًا الى المدينة . وقد استاق اولئك الخبثاء النساء والبنات

واشياء كثيرة وذهبوا .

وفي السنة ١٥٩٧ لليونان (١٢٨٦ م)[1] احتشد زهاء اربعة آلاف فارس من لصوص الاكراد والتركمان والعرب وانضمّ اليهم فيما قبل ثلاثمائة فارس من مماليك مصر واقبلوا في ١٧ حزيران الى بلد الموصل واكتسحوا القرى في طريقهم وانقضّوا على المدينة صباح الاثنين ٢٢ ربيع الاول ٦٨٥ للعرب (١٢٨٦ م) فركب الملك مسعود وسائر الفرسان الذين (٥٥٨) في المدينة وخرجوا لمناوشتهم . ولكنّهم لمّا شاهدوا كثرتهم وعجزوا عن مقاومتهم عبروا دجلة وتوجهوا الى دير مار متي واقاموا هناك بضعة ايام . امّا اللصوص الخبثاء فقد دخلوا المدينة واستقبلهم العرب اهلها باطعمة فائضة ومياه باردة . وفرحوا بهم فرحاً عظيماً ظانّين انهم سيناوشون النصارى دونهم ويغزونهم ويقتلونهم . امّا نصارى حيّ بيعة التكريتيّين فقد ذهبوا بنسائهم واولادهم واموالهم الى دار نقيب العلويّين ابن عمّ النبي معتقدين ان اللصوص لن يتعرّضوا لها احتراماً للنقيب وتعذّر على سائر المسيحيين الهرب الى تلك الدار فانزووا في بيوتهم خائفين مذعورين يبكون وينوحون ويندبون سوء حظهم . لكنّ الامر جرى عكس ما توهموا فانّ اللصوص جعلوا يسألون عن المسيحيّين فقال لهم اسلام المدينة بفم واحد انهم في دار النقيب . فاستجمعوا قواهم وساروا اليها واقاموا السلالم وتسلّقوا واحتلّوا الدار وانتهبوا وسبوا كل من فيها . وأصيب رجل نصراني بسهم قضى على حياته . وجعل اللصوص ينكّلون بالنصارى والمسلمين معاً ويفضحون النساء والبنين معاً والبنات وهم داخل المسجد دون حياء . وبعد هذا توجهوا الى حيّ اليهود ونهبوا بيوتهم وسبوهم جميعاً .

امّا النصارى الذين ظلّوا في بيوتهم متروين فلم يؤذهم احد بل لم يشاهدوا اللصوص باعينهم . غير ان بعض التجّار النصارى والمسلمين القادمين الى المدينة والنازلين في فنادقها الخارجية نجوا من اللصوص . ولكنهم (٥٥٩) بسبب خوفهم خسروا كمية وافرة . وذلك انهم ذهبوا بأحمالهم الى المدينة ووضعوها في سوق البزّازين حيث كانت تحفظ ارزاق الاهالي . وكان كل من اولئك

١) في ٣٠ تموز من هذه السنة توفي ابو الفرج ابن العبريّ مؤلف هذا التاريخ . وقد أكمل كتابه هذا أخوه برصوما الصفيّ .

التجار يسابق صاحبه في وضع بضائعه هناك . وماثلهم في ذلك اهل المدينة فنقلوا الى ذلك السوق ذهبهم وفضتهم وامتعتهم وثيابهم . وبعد هذا كله زحف اللصوص وحطموا ابواب السوق ودخلوا واحتووا كل ما وجدوه . وكان جمهور من الشبان واقفين على باب السوق فجعلوا يخطفون ما تيسر من الغنائم وينهزمون . وكان بعضهم يتركون خيلهم على الباب ويدخلون لينهبوا فكان الشبان يركبون تلك الاحصنة ويفرّون بها . وظلّ اللصوص من الصباح حتى المساء يطوفون الاسواق والشوارع ويسرقون من الاحصنة والبغال والحمير والبقر عددًا وافرًا . واعتقلوا نحو خمسمائة من العبيد والجواري اغلبهم مسلمون ويهود. وبعضهم نصارى كانوا في دار النقيب .

على ان صائغًا مسيحيًا مشهورًا حاول ان ينقذ ابنه الفتى من ايديهم فثار عليه اولئك اللصوص الاردياء وضربوه بالسيف واقام ثلاثة ايام ومات .

ولم يهلك من اولئك الملاعين سوى عشرة فقط كانوا يطوفون في الاسواق التي لا منفذ لها فوثب اليهم الاهالي وتلوهم رجمًا بالحجار . على ان الاهالي المسلمين لو عرفوا ان اللصوص ابناء دينهم سيعاملونهم مثل تلك المعاملة الفظيعة لفتكوا باغلبهم في الازقة الضيّقة ولكنّهم أمسوا يعضّون اصابعهم دون جدوى.

ثم ان اللصوص ذهبوا بالغنائم الى خارج المدينة وظلّوا الليل كلّه هناك وغاب على ظنّ الاهالي انهم سيعودون في الغد (٥٦٠) الى النهب ثانية . غير انهم نقلوا ما نقلوا وانقلبوا لئلا عائدين ولم يبق منهم احدٌ قطعاً .

وفي ٢٨ نيسان ١٥٩٩ لليونان (١٢٨٨ م) ثارت فتنة بين الاكراد والمغول المجاورين فحقد المغول عليهم ولاذ الاكراد بالفرار وظلّ منهم ستة اختفوا في طريق الموصل . واتفق ان اثني عشر شابًا من قرية خوريدة (قرقوش) مرّوا من هناك فثار عليهم اولئك الاوغاد وذبحوهم ذبح الخراف دون رحمة في ضحى النهار والشمس في قبة السماء . وبعد ساعة اقبل بعض المواصلة وشاهدوا اولئك الشبان المظلومين مضرّجين بدمائهم وكان احدهم على آخر رمق فحملوه الى القرية وهو الذي اخبرهم بما جرى وذكر لهم اسماء القتلة الكفّار . وما عتم ان قضى نحبه وهو كذلك بعد ثلاثة ايام .

امّا ارغون بن اباقا فبعدما استقرّت له المملكة أحسن الى بوغا الذي أنقذه

من احمد كما ذكرنا سابقاً . وقد عظم امره وارتفعت منزلته جداً حتى ان ابناء الملوك والملكات والعرائس والقوّاد كانوا يختلفون اليه ويقفون على باب داره يطلبون ارزاقهم ومعايشتهم. واصبح الملوك والامراء في كل بلاد التتر يأتمرون بأمره ويحملون رايته الحمراء . وهذا بوغا اقام اخاه آروق إماماً مطلقاً في بلاد بغداد واذربيجان وما بين الهندين وكان يهابه جميع العسكر المغولي وسائر الملوك والسلاطين والكتّاب في الاقطار كلها . وقد تولى هذان الاخوان سياسة الدولة المغولية ستّ سنوات واحرزا شرفاً وسيماً (٥٦١) يفوق الوصف .

غير انهما أغمضا عن مراجعة ارغون ملك الملوك وجعلا يحشدان الاموال والخيل والذهب والفضة والامتعة. واضطر الملك ان يقيم لخدمته امراء يركبون معه ابنا ذهب ويواكلونه ويشاربونه ويطلعونه على ما يحدث في المعسكر وفي البلاد القاصية والقريبة. وذكروا له من الجملة ان بوغا لا يزال يتفاخر ويتباهى ويستنقصهم ويتدين في الامور مستبداً كيفما شاء . وهكذا جعلوا يناقضونه ويعارضونه لدى ملك الملوك في كل ما يأمر به او ينهى عنه .

ثم ان ثلاثة من اعيان بغداد قصدوا المعسكر الملكي وطفقوا يتظلمون من آروق ويصرحون بأنه لا يزال يتعدّى ويظلم ويجمع لنفسه ما يجمع من الاموال . عند ذلك أمر الملك ان يُحتفَظ باولئك الثلاثة مكرّمين ريثما يصل آروق الى المعسكر . اما بوغا فبعث وقبض على ثلاثتهم وقلع هامهم دون فحص او سؤال ودون اذن القضاة . فاستفظعت الدولة هذا العمل وأتيح لخصوم الاخوين ان يسترسلوا في مناهضتهما حتى أصبح كلامهم مقبولاً ومصدّقاً لدى الجميع .

اما ابناء الملوك فقد شق عليهم قتل اولئك الاعيان الثلاثة وسخطوا جداً. الّا ان بوغا استمالهم اليه بالرشوة وانصرف . ومما مر القليل حتى نهض سعد الدولة اليهودي وهو حمو حاكم بغداد وقصد الامراء في المعسكر وقال لهم : اذا صرفتم آروق عن الرجوع الى بغداد فاني اتعهد بكل ما يلزم العسكر حولاً فحولاً . وللحال صدر الامر بعزله (٥٦٢) وتولية اليهودي مكانه . واصبح عرش آل العبّاس وحكمهم في قبضة ذلك اليهودي. هكذا ذلّت الامة العربية بسبب سوء تصرّفها وعتوّها المتواتر .

وتتابعت الشكاوى على آروق منذ إذ وسار من الجملة عبد المومين الفقيه الفارسي الى المعسكر وقرّر ان آروق وامراءه وحكامه وكتّابه قد اخربوا جميع المدن والبلاد التي بولايته . فاذا قوّاه امراء التتر وساعدوه فهو يحصّل لهم مائة ربوة من الدنانير الذهبية . فاستصوبوا حديثه ووافقوه في مأربه الخبيث واستمهلوه حيناً .

اما بوغا فلمّا شعر بان الشكاوى عليه وعلى اخيه قد احرزت القبول والرضى خامره الشك وعاد ادراجه وتمارض ولزم بيته . وكان اذا زاره الامراء في مرضه هذا يتأوّه ويتأسف امامهم على ما اصطنعه عند ارغون اذ انقذه من احمد ولم يكافه مكافأةً حسنةً . ثم جعل يفتكر في الايقاع به . وكشف سره هذا لبعض الاقطاب الذين وافقوه علماً منهم بانه رجل محنك وقد توصّل بدهائه الى تعزيز ارغون وخذل احمد وفشله . اما ارغون وقد عرف ذلك معرفة تامة فجعل يتوقى بوغا ويحسب له الف حساب . غير ان الامراء الملازمين له اطّلعوا على فكرة بوغا السيئة وعرف بوغا ان مكره قد افتضح . فحصل في خوف شديد وحار في امره واستعجل فامتطى حصانه وانهزم يريد معسكر الخاتون الجي الكبيرة كي يستغيث بها . ولمّا سمع ارغون وامراؤه ركبوا هم كذلك وتتبّعوه حتى ادركوه وقبضوا عليه واستاسروه فأقرّ بالدسيسة الا انه قرّر بانه لم ينوِ ايقاع الاذى بتلك الملوك بل (٥٦٣) بالامراء الذين ما برحوا يعادونه ويتهمونه ويستحقرونه . غير انهم لم يسمعوا له بل انقضّوا عليه وقطعوه ارباً ارباً وتمّ ذلك يوم الجمعة ١٤ كانون الثاني ١٦٠٠ لليونان (١٢٨٩ م) ونهبوا بيوته وامواله ونقوده واجهزوا على اولاده وعلى كتبة اسراره .

وقُتل في اليوم ذاته القسيس شمعون الطبيب وابو الكرم الفقيه النصرانيّ الاربليّ وغيرهما من المغول الذين لم نعرفهم . وبعد هذا غادر بتميش البطل الشجاع المعسكر الملكي وانطلق في ايام يسيرة من موغان الى آمد وحشد جيوش المغول وانقلب الى الموصل يريد آروق . وكان هذا يمشي في الضواحي يأكل ويشرب في ايام عيد المغول المعروف بعيد البياض وهو يجهل ما حدث لاخيه بوغا واهله . وما ان شاهد الجنود محيطين به حتى حار في امره وركب حصانه واخذ امرأته واولاده ولاذ بقلعة الكشاف الصغيرة الى ان أصبح الصباح .

وعند ذلك ارسل بيتميش يقول له : لا يجمل بك ان تعصى . فاجابه آروق اني لم اقصد هذه القلعة قصد العاصي المتمرّد ولكني لم اعرف ماذا حلّ ولايّ سبب احتشد هولاء العسكر هنا فأخبروني لاكون على بصيرة . فدنا بيتميش من باب القلعة وقال له : ان يوغا اخاك قد خان الملك وصدر الامر بقتله واقبلنا لنقبض عليك ونذهب بك الى خدمته ولسنا ندري هل يقتلك ام لا فهو يعرف . عند ذلك فتح آروق باب القلعة وانحدر هو واهله وقال : أمر الملك على الراس والعين. فاوثقوه بالقيود وارسلوه محفوظاً الى المعسكر وصدر الامر بقتله هناك . وتمّ القبض عليه يوم الاثنين من صوم نينوى سلخ كانون الثاني (٥٦٤) من تلك السنة . وجرى قتله بعد اسبوع .

اما الفقيه الفارسي الذي افترى على آروق وقرّر ان يُحصّل مائة ربوة من الدنانير يجمعها من الملوك والكتّاب والحكّام كما سبق القول فقد تولى الامير بيتميش أمر محاسبتهم وانزال العقوبة دون شفقة بمن يستحقها منهم .

اما مسعود بن قوطي واخوته وانسباؤه فلم يكونوا يراجعون في المعسكر الملكي الا يوغا وحده لا يكترثون لسائر الامراء. ولا يتنزلون ليحيّوهم بالسلام. معتقدين ان اوامر يوغا تعلو على اوامر جميع الامراء . ولذا تشبثوا بطاعته دون غيره . وهذا ما حمل الجميع على ان يبغضوهم ويلوموهم . وطالما نصح لهم اولئك الامراء كي يبذلوا الطاعة والخضوع والانقياد للامراء الملازمين للملك ولا يتشبثوا بطاعة الواحد ويخالفوا البقية . اذ يتفق ان ذلك الامير الواحد الذين يثقون به تعرض له محنة ولا يسعه من ثم ان يساعدهم .

بيد ان مسعود بن قوطي غير الناضج بعقله وغير الرزين باعماله جعل يقول متفاخراً : اني لست ابغي ان اعيش دون يوغا فاذا مات يوغا فضلتُ الموت على الحياة بعده . وقد صح ذلك لانه يوم القبض على آروق اقاموا حراساً يحرسون مسعوداً ريثما وصل عبد المومين الفقيه الفارسي . واذ ذاك ثار الاضطهاد والغضب على النصارى المظلومين وجعلوا ينكلون دون شفقة بهم ولا سيما بتاج الدين بن المختص (٥٦٥) صاحب اربيل . فقد اوثقوا رجليه ورفعوه نحو ذراع عن الارض ونشبوا يصفعونه حتى خارت قواه ثم انزلوه وجعلوا يصفعون صدره وظهره حتى أمسى على آخر رمق . ثم احضروا ناراً في طستٍ ووضعوه على

صدره . وانزلوا به اعذبة فادحة حتى استنفدوا منه نحو خمسين الف دينار . وقد ألقي بذاته غير مرة في دجلة لعله يفارق الحياة وينجو من الاعذبة والضربات .
اما مسعود المذكور فلم يصفعوه بسبب مرضه وخوفهم ان يقضي ويضيع ماله معه . فجعلوا يعدونه مواعيد فارغة مصرحين بانه اذا دفع لهم عشر ربوات من الذهب أبقوه مكرماً معززاً . فغلب على ظنه انهم لن يزذوه كرماناً له . ولهذا ظلّ يتباخل ويحادثهم بكلمات فظة . فجعلوا يضربونه تارة وطوراً يهددونه حتى استحصلوا منه ما طلبوا ثم مضوا به الى اربيل وقتلوه يوم الاثنين من اسبوع الآلام رابع نيسان من تلك السنة . واعتقلوا ابنه . وانهزم الى قرية بيت سحرايا اخوه شهاب الدين ولم يدركوه . وبسببه قتل دبيس احد اهالي تلك القرية وقد سألوه عنه فانكر وقال اني لم اشاهده . فقبضوا على فتى اقرّ بذلك وأطلعهم على مكانه . فساقوا دبيس المنكود الحظ الى الموصل واجهزوا عليه ورجمه الاهالي بالحجار .

وبعد ما قتل دبيس ضج المواصلة على صبيّ نصرانيّ وادّعوا انه فاجر يرتكب الفحشا مع النسا المسلمات فبطشوا به وجرّوه في شوارع المدينة وكوّموا عليه الحطب واحرقوه واخذوا راسه (٥٦٦) وطافوا به على ابواب الكنائس وهم يسخرون بالمسيحيين . على ان ما احتمله المواصلة في هذين الشهرين من العذاب والاضطهاد لا يتيسر للسان ان يعبر عنه ولا للقلم ان يصفه . ألا ايا الرب العادل استيقظ وانظر دما عبيدك تهراق دون رحمة وارث لحال كنيستك ورعيتك التي ينهشها المضطهدون !

على انه يوم قتل بوغا وزحف بيتيش الى بلاد الغرب وتوجه المغولي ليأخذوا آروق اضطرب اهالي سورية وشملهم الخوف والهلع ظانين ان المغول مزمعون الزحف اليهم . فاستجمعوا قواهم وحشدوا جيوشاً ضخمة واستعدوا للمبارزة . ولما استيقنوا ان المغول منهمكون في شؤون دولتهم لا يفتكرون في غيرهم عوّلوا على الزحف الى طرابلس بساحل البحر المتوسط وحاصروها حصاراً شديداً . فارسل الاهالي يستنجدون بانسبائهم الفرنج في جزيرة قبرس فاقبل منهم في السفن عددٌ قليل . وما ان وصلوا حتى تشجع الطرابلسيون ووقفوا على الاسوار وحاربوا الخوارج حرباً عنيفة استغرقت زهاء ثلاثة اشهر . غير ان الخوارج تقوّوا

وخرقوا السور بالمنجنيقات فانهزم اغلب المسيحيين الى السفن وعادوا الى قبرس .
وبعد هذا دخل العرب المدينة واستلوا السيوف واشتبكوا ببقية الاهالي وحدثت معركة هائلة باد فيها الكثيرون من الطرفين . ثم سخط العرب كل السخط وقوّضوا المدينة المنكودة الحظ ولم يدعوا برجاً او كنيسة الا اخربوها واحتووا على اموال طائلة تفوق حد الكثرة واعتقلوا من البنين والبنات جمهوراً غفيراً وبطشوا بكهنة وشمامسة ورهبان وراهبات لا يحصى عددهم وتركوا المدينة خاوية وانقلبوا . وتمّ ذلك في نصف نيسان (٥٦٧) من السنة ١٦٠٠ لليونان (١٢٨٩ م) .
وفي هذه السنة عينها احتشد زهاء. الفي فارس من لصوص سورية وزحفوا الى نواحي سنجار وباعربايا لا يغزون ولا يسلبون حتى شارفوا قرية فيشابور على ساحل دجلة وباتوا هناك . ثم استيقظوا ليلًا وعبروا النهر وتوجهوا نحو واسطو قرية النساطرة الكبرى وانقضوا عليها فجر الاحد ١٤ آب . وغلب على ظن الاهالي ان اللصوص قليلون فخرجوا ليناوشوهم . غير انهم لما شاهدوا كثرتهم عادوا الى القرية ولاذ بعضهم بالكنيسة فنجوا وتشتت البعض الآخر في البساتين والكروم . اما اللصوص الخبثا. فقد احتلوا القرية وانتشروا في القرى السبع المجاورة وعاثوا فيها باجمعها واجهزوا على اكثر من خمسمائة نسمة واعتقلوا زهاء. الف من النساء والبنين والبنات واستحوذوا على الشيء الكثير من الاموال والغنم والبقر وانقلبوا عائدين في ذات الطريق التي قدموا منها وساروا هادئين مسرورين حتى بلغوا نهر الخابور وعليه جسر ضيق فمكثوا مدة بسبب كثرة الغنائم والاسرى الخائري القوى . وبلغ امير المغول في الموصل خبرهم فبادر في عساكره اليهم وشاهدوا اغلبهم قد عبروا الجسر في الغنائم. فاجهزوا على البقية الباقية واستردوا نحو ثلاثمائة من النساء والبنين والبنات وعادوا فردوهم الى اصحابهم وذويهم .
وفي هذا الصيف عينه زحف نحو الفي راكب من سورية الى بلاد ملطية والحصن فسمع القائد كربندا وحشد جيوشه وسار الى مناوشتهم فانكسر وهلك من اصحابه جمهور غفير واعتقل بعض اصدقائه وانسبائه (٥٦٨) وابناء اخوته . وأفلت هو واربعون من رجاله وتوجهوا الى الدار الجديدة التي ابتناها في بلد الحصن الذي يقال له بالارمنية حسنونا . واذ كانوا جالسين مغمومين

مهمومين يفتكرون في انقاذ الاسرى خطر ببالهم ان تلك العركة انما حدثت بسبب النصارى فيجب ان يؤخذ منهم مقدار من المال يفتدون به أسراهم . وجعلوا يفرضون على كل مدينة وبلدة كمية من الذهب قدر امكانها . غير ان العدل الالهي لم يحتمل ما اجترموه فأهبط عليهم فوراً تلك الدار الجديدة واهلكهم قاطبةً . ولم ينجُ الا حارس الباب لا غير اذ سقط الجسر على جنبه ودفعه خارجاً فظل حياً يرزق .

وفي افتتاح السنة ١٦٠١ لليونان (١٢٩٠ م) وجه آلا الميش صاحب ميافرقين عدو النصارى فقتل غيلةً صاحب موش الرجل المسيحي الارمني ونكّل برهبان دير مار قوما . فنهض احد اولئك الرهبان مستبسلاً وقصد المعسكر التتري وشكا آلا الميش المذكور. واتصل بملك الملوك نفسه وحادثه بدالّة تامّة واصغى الى حديثه . وفيما كان راكباً مجتازاً يوماً بجسر نهر كوردر قبض الراهب على لجام فرسه وأقسم انه لن يتركه ما لم يأمر باهلاك آلا الميش . فأمر الملك ان يُقتل للحال .

وفي تلك الايام نهض فرج الله الفقيه والكاتب القبطي الجليل في الموصل ففضح خيانة عبد المومن الفقيه الفارسي المذكور آنفاً مصرحاً بانه قد قتل مسعود بن قوطي ظلماً ونكّل بالنصارى كثيراً وحشد لنفسه اموالاً وافرة. فأمر ملك الملوك ان يبحثوا عن ذلك ولما ثبتت خيانته أصدر الامر بقتله وانتقم منه العدل الالهي سريعاً. واطّلع ملك الملوك مذ ذاك (٣٦٩) على مكر العرب وقحتهم وعلى تصرفهم بالخداع والرياء في معاملاتهم . وسمى سعد الدولة اليهودي والي بغداد رئيساً للكتّاب اعني صاحب الديوان في كل اصقاع المملكة . ونهى نهياً مطلقاً عن اقامة كاتب مسلم . فتفاقم لذلك بغض العرب وشرهم. وما ان تولى ذلك اليهودي حساب الدولة حتى وجه اخاه الى بغداد ليقوم بمقامه ووجه اخاه الثاني مع تاج الدين بن المختص بمثابة قائد عام في الموصل وماردين وديار بكر جمعاً . فخاف منهم مباذر بك الامير الكردي المتولي في اربيل وظن انهم سيسيئون اليه وتوجه حالاً الى المعسكر معتقداً انه اذا احتظى لدى ملك الملوك يزول عنه كل خطر . غير انه لما سار اليه وجه اولئك الامراء الشكاوي عليه ونوى الملك ان يفتك به ولكنه علله ساعةً وبعث سفيراً تحت السر يسعى

للقبض اولاً على اولاده واهله وعشيرته كي يستأصلهم كافةً ثم يقضي عليه بالموت كذلك .

بيد ان امرأة اطلعت على السر وقصدت مباذر بك الكردي ليلاً واخبرته بذلك فنهض للحال دون مانع وركب هو وخادمه وفرّا من المعسكر كالعصفور من الفخ واستعجلا في السفر حتى سبقا ذلك السفير ووصل مباذر الى بيته ورحّل اهله وامواله ولاذ بجبالٍ عاصيةٍ لا تقهر. ولما وصل السفير اخذه الذهول والعجب مما جرى . اما ملك الملوك فقد احتدم سخطاً (٥٧٠) لا لفرار الكردي من بين يديه بل خصوصاً ليطّلع على الذي نقل اليه الخبر من المعسكر . فارسل الجنود ليحاصروا جبال الاكراد ويغلقوا الطرق دونهم . وكان الثلج قد تراكم فيها فلم يتمكنوا من الاعداء. وانقلبوا عائدين الى السهل حيث كان يقيم الاكراد الفلاحون المساكين المؤدون الضرائب . فسبوا وقتلوا ونهبوا واحرقوا بيوتهم وذخائرهم . وألحقوا الاضرار خصوصاً بالنصارى المساكين الجبليين المعروفين باسم قياخية اعني قاطني الكهوف . فقد قتلوا الرجال منهم دون شفقة واستأسروا النساء والبنين والبنات وانتهبوا من ذخيرتهم ما امكنهم حمله واحرقوا ما تبقى. ذلك ما حمل العرب على بغض النصارى كافة مدّعين بانه لولا هؤلاء الجبليون لما اساء المغول الى الاكراد قطعاً . وغير خافٍ ان اغلب المغول في زماننا قد دانوا بالاسلام واصبحوا يدافعون عنهم اللهمّ الا اذا اضطرهم الزعماء ان يقاتلوهم ويبطشوا بهم .

ولما اقبل الصيف وارتحل المغول من بلاد الموصل واربيل انحدر الاكراد من قمم الجبال واحتشدوا الوفاً وربوات واقبلوا الى السهل فانهزم الاهالي ولاذوا بالمدن والقلاع. وقصد جميع اهالي اربيل القلعة فحاصرهم الاكراد ولكن العناية الالهية اطفأت نيران سخطهم وخيّبت آمالهم فكانوا كلما هجموا ليناوشوهم خسروا سبعة او ثمانية من رجالهم . وظلوا كذلك مدة ١٧ يوماً .

واتفق اذ ذاك ان مائتي رجلٍ من الفرنج (٥٧١) ركبوا نهر دجلة ويمموا الموصل تلبيةً لطلب ارغون ملك الملوك قاصدين الذهاب الى بغداد ليهيئوا المراكب وينحدروا الى البصرة ومنها الى بحر النيل ليقاتلوا المصريين. وسار زهاء سبعمائة منهم في البر واقاموا في بغداد كل الشتاء. ريثما اكتمل غرضهم . وقد جرى

لهم هناك حادث يستحق الاعتبار سنورده فيما بعد .

والآن فلنعد الى خبر الاكراد المذكورين سابقاً . فهؤلاء لما سمعوا ان الفرنج بلغوا الموصل غلب على ظنهم انهم انما وافوا لمناوشتهم فتركوا القلعة وتفرقوا شذر مذر . ولما نجا الاهالي الذين في القلعة من شرهم قصدوا التوجه الى قرية بيت صيادة ليأتوا باهلها اليهم فينقذوهم من الاكراد . غير انهم لو تركوهم في قريتهم لما اصابهم أذى.هكذا انحدر مائتا رجل من اولئك الجبليين القباحية من القلعة كما قلنا وقصدوا بيت صيادة لا يتوخون من ذلك كله الا الاستفادة منهم.ولما وصلوا اليهم تزلوا عن احصنتهم وقدّموها لاولئك الفلاحين وساروا هم امامهم مشياً على الاقدام.وتفرقوا وتشتتوا وأصبحوا بلا قائد يتودهم حتى شارفوا المدينة . وعند ذلك انقضّ عليهم الاكراد الذين كانوا يكمنون لهم وينتظرونهم فقتلوا فريقاً منهم واستأسروا اغلبهم وانتهبوا كل ما صادفوه.

اما لصوص سورية فلما بلغهم ان الاكراد يحاصرون قلعة اربيل غلب على ظنهم انهم بعد ما يحتلونها سينهبون ويقتلون ويستأسرون ويزحفون الى سورية. فاحتشد زهاء الفي رجل واقبلوا ليساعدوهم ولكنهم لم يصادفوهم ولم يتجرأوا ان يهاجموا القلعة لخوفهم من ان يبطش بهم اهلها وهم اشداء اقوياء في الحروب. غير ان مائتي رجل منهم حاولوا ان يجرّبوا فافترقوا من اصحابهم ودنوا من (٥٧٢) باب القلعة. فانحدر اليهم اصحابها وناوشوهم وانتزعوا منهم بعض افراسهم وعادوا الى قلعتهم . عندئذ انقلب اولئك اللصوص فارغين خائبين ولم يستفيدوا شيئاً من قدومهم ولا من الاكراد المجاورين. وتمّ ذلك يوم الثلاثاء ٢٧ حزيران.

وفي تموز تلك السنة سار الى حصن زياد راهب ارمني تقي من الرهبان الذين يطوفون البلاد ويعظون المؤمنين ويحرّضونهم على التوبة والفضيلة والاقرار بخطاياهم. واقام هناك شهراً وسُر المسيحيون بمواعظه كل السرور وجعل الفتيان يلازمونه ويجتمعون اليه ليلاً يأكلون ويشربون ويتحدثون باخبار القديسين وجهاد الشهداء . وما ان سمع العرب ذلك حتى حقدوا عليهم وسار فريق منهم ليلة الجمعة واخذوا كلباً ميتاً علقوه على باب المسجد الكبير . ولما اصبحوا وذهبوا ليصلّوا وشاهدوا الكلب الميت سخطوا كل السخط وادّعوا قاطبةً بان ذلك الراهب الارمني والذين يجتمعون عنده هم الذين فعلوا هذا الفعل المنكر. فامتشقوا

السيوف وقصدوا الراهب المظلوم وبعض اهالي المدينة الذين عثروا عليهم وذهبوا بهم الى دير الباعوث وخاضوا قلالي الرهبان ونهبوا كل ما فيها واجهزوا على الراهب المسكين وعلى اثنين او ثلاثة من الاهالي وانقلبوا الى المدينة. وقصدوا بعض بيوت المؤمنين المسيحيين ونهبوا كل ما فيها وصفعوا الكثيرين من الكرام الاجلاء. صفعات مؤلمة . وامست المدينة شهراً كاملاً كَسَدَ فيها الاخذ والعطاء والبيع والشراء .

وفي تلك الغضون قوي أمر فرج الله الفقيه القبطي الذي فضح خيانة الفقيه الفارسي كما ذكرنا وطفق يتباهى ويتفاخر لكونه نجح في تلك القضية (٥٧٣) وقصد معسكر التتر ولفّق الدعوى على تاج الدين بن المختص وذكر انه قد حشد اربعين ربوة من الذهب لنفسه . وما ان سمع اليهودي صاحب الديوان حتى تجبّر وتكبّر وقال: ان ثبتت الدعوى على تاج الدين فلا بد من ان تثبت كذلك على اخيه الذي فاقه في الاستبداد وفي الاخذ والعطا.. ومن ثم جعل يملّق فرج الله القبطي ويقول : ان هذه الدعوى لا تضر تاج الدين فحسب بل تضر اخاه اكثر منه . غير ان فرج الله التاعس الشقي لما عرف انه يتعذر عليه مناهضة اليهودي ومقاومته وأنه اذا عدل عن الدعوى حكم عليه امراء المعسكر وقتلوه استند الى مشورة بعضهم فكتب بخط يده مصرّحاً بان ما قاله انما قاله في حالة السكر وان ذينك الشخصين اعني تاج الدين وصاحبه لم يتعديا على احد ودفع الورقة الى صاحب الديوان . وهذا بدوره التقفها ومضى بها الى ملك الملوك وقال له : ما رأيك في رجل حدّثك أمس حديثاً انكره اليوم بخط يده ؟ فقال الملك : انه يستوجب الموت بلا ريب . وهكذا قُتل فرج الله حالاً .

ثم ان اليهودي صاحب الديوان ذكر لملك الملوك ان لفرج الله في الموصل رجلين اخبث منه . فامر الملك كذلك ان يُقتلا وارسل الى الموصل بدلاً منهما المؤيد بن المؤيد الكاتب وامين الدين بن المحتسب الاربيلي .

وبعد ايام وجه التتر من المعسكر الى سعود الامير متى الشجاع بعمود المسيحيين بالموصل كي يجبي من اهاليها الجزيه كالوف عادة المغول . غير ان السعوديين (٥٧٤) خصوم المسيحيين استفظعوا تسليط رجل مسيحي عليهم فاستلوا السيوف والخناجر واغاروا عليه في الدار التي كان مقيماً بها وبطشوا به يوم

الاثنين ٣١ تموز من تلك السنة . فسارع اولاد متّى المنكورد الحظ الى المعسكر وعرضوا على ملك الملوك ما جرى فأصدر الامر بقتل القاتلين واستصفاء عشر ربوات ذهباً من السعوديين . وما ان وصل الوفود الى المدينة حتى جهزوا على سبعة او ثمانية من وجهائها . ونفذوا ما امر به ملك الملوك .

وفي افتتاح السنة ١٦٠٢ لليونان (١٢٩١ م) رُفعت الدعوى على رجل كردي يقال له سجال الدين الازخيّ من بلد جزيرة فردو والحلي امره لدى البطل بيتميش فقتل ببلد الموصل هو واحد ابنائه .

وفي تلك الايام توجه بعض الاسمعيليين بزي التجار الى الموصل يحاولون الوثوب الى امرائها وزعمائها والبطش بهم كي لا يتولى فيها بعد نصرانيّ او يهوديّ في بلد من البلدان واذا تولوا فلا بد من قتلهم سراً بالحيلة . ولما بلغوا الموصل ونزلوا في احد الفنادق كعادة التجار جعلوا يتخاصمون معاً ويتماحكون . فارتاب في امرهم بعض من سمعهم وسارعوا فأخبروا الامراء . فبادروا اليهم وقبضوا عليهم وجعلوا يضربونهم فما كان من شيخهم الا ان قال لهم : لا حاجة الى الضرب فنحن ثلاثة رجال انا جئنا لنقتلكم وقد ذهب ثلاثة آخرون منّا الى بغداد ليقتلوا اليهودي الذي هناك وثلاثة توجهوا الى المعسكر ليفتكوا بصاحب الديوان. وللحال أجهزوا على الثلاثة شنقاً وارسلوا الى بغداد من قبض على الثلاثة الآخرين وبطش بهم . اما الذين ساروا الى المعسكر فقد ادركوا غايتهم دون عناء وتعب . فيا لغرابة الطبع البشريّ فانه اذا ضلّ في أمر من الامور واكرم الدنيء ورفعه فلا بد من انه بعد زمن وجيز (٥٧٥) يفتضح امره فيندم على غلطه ولات ساعة ندم !

على انه مذ ظهر العرب حتى اليوم لم يترقّ يهوديٌ واحدٌ في بلادهم فكلهم اما دباغون او صبّاغون او سكّافون . واذا كان بينهم طبيبٌ او كاتبٌ فانما يقيم في اماكن لا يرضى الاقامة فيها غيره . على ان المغول لما استولوا على بلاد الغرب لم يخصّوا بالاكرام من يستحق الاكرام بل لم يولوا المدن التي احتلّوها من تسلسل من الاسر الملكية . اذ لا فرق عندهم بين العبد والحرّ والمؤمن والكافر والمسيحيّ واليهوديّ فهم يسوسونهم بصولجان واحد . واذا اختلف اليهم احدٌ وقدّم لهم شيئاً من المال التقفوه منه وعزّزوه ولبّوا طلبه مهما كان .

سرا. أكان متضلّعاً خبيراً ام جاهلاً غبيّاً . انما يطلبون خدمة متواصلة وخضوعاً وانقياداً تامّاً وكفى .

فهذا اليهوديّ المذكور قد ارتقى في عهد ارغون ملك الملوك اعظم الرتب وأصبحت الشؤون السياسية بيده وحده . فتناهى عن مراجعة اقطاب العسكر ونهاهم عن الاخذ والعطاء. وجعل يستحقر الامراء الاوّلين والنوّاب جميعاً . لا يتجرأ احد منهم ان يقصد باب البلاط في شأن من الشؤون المفيدة او الضارّة اللهمّ الا اذا كان يهودياً . ولهذا السبب تقاطر اليه جماهير اليهود من مختلف الاقطار وجعلوا ينادون ويهتفون بحياته وهم يقولون : انه لقد رفع شأننا واقام لنا قرن خلاص وزجاء ومجد . وبينا هم على ذلك من التفاخر والتباهي اذ (٥٧٦) شعر الملك ارغون بداء الفالج وتقلب في مرضه هذا زهاء شهر . وكان ذلك اليهودي يفرغ كل الجهد في معالجته . اما الامراء واقطاب العسكر الذين كان يستحقرهم فقد قطعوا الرجاء من بقاء ملك الملوك في قيد الحياة معتقدين ان ذلك اليهودي هو الذي عجّل موته بسبب سوء تصرفه وراحوا يزأرون كالاسود حتى قضى الملك نحبه يوم الاربعاء سلخ كانون الثاني ١٢٩١ لليونان (١٢٨٠ م) .

وما عتم ان سخط الله تعالى على اليهود في كل الامصار فقد بطش التتر اولاً بسعد الدولة صاحب الديوان اليهودي المذكور . ثم وجهوا وفوداً الى بلاد المغول كلها فقبضوا على اخوته وانسبائه وأوثقوهم بالقيود ونهبوا اشياءهم واخذوا ابناءهم وبناتهم وخدامهم وجواريهم وكل اموالهم . وبعد ان قتل منهم من قُتل عادوا الى حالتهم السابقة . فالذي كان في الامس يحل ويربط ويرفل بالحلل الملكية أمسى اليوم متردياً مسحاً خلقاً وبداه موسّختين اعني امسى صبّاغاً لا كاتباً ومستعطياً لا آمراً ومسلطاً . ويقصر اللسان عن ذكر كل ما حدث لهم من الاسواء . ففي بغداد على اثر قتل اليهودي المذكور ثار العرب عليهم وتسلحوا وقصدوا محلتهم الملاصقة لمحلة المسلمين وحاولوا الدخول اليها للنهب والسلب . فناهضهم اليهود مناهضة قوية وقتل من الفريقين من قُتل وانتهت المعركة .

وذكروا ان اليهودي المذكور لما عظم شأنه وعلا كعبه ارسل فابتنى له بلاطاً في تبريز واخفى فيه خوابي كثيرة مملوءة ذهباً وفضةً اطّلع عليها التتر عندما اخذوا ينكلون باهله وانسبائه . وقد استغرق حكمه (٥٧٧) زهاء

سنتين لا غير ثم قُتل واضمحل ذكره وأمسى اليهود بسببه منبوذين مرذولين في الدنيا كلها .

بعد ارغون بن اباقا اخوه كيخاتو الذي دُعي ارتاجين تورجي

لما جلس ارغون على عرش الدولة التترية سار اخوه كيخاتو في ربوة من الجنود ليحافظ على البلاد المجاورة لبلد الروم وظلّ مقيماً هناك مدة حياة اخيه فاستطاب البلاد ولم يرَ ان يغادرها حتى توفي ارغون واجتمع اولاد الملوك قاطبة وقدّروا ان يخلفه في العرش الملكي على كرهٍ منه لانه كان في ولايته راتعاً في بحابح الطمأنينة والسلام يأكل ويشرب ويتقلب في الملذات الدنيا . ولا سيما لانه شاهد الملكين اللذين سبقاه توفيا في شرخ الشباب ولم يشبعا من هذه الحياة . ذلك ما حمله على التخلي عن عرش المملكة والاكتفاء بالبلاد التي كان يتولاها . وبعد هذا عاهد التتر وعلل اولاد الملوك والاقطاب بانه في السنة القابلة يعود فيستوي على التخت ، ثم تركهم وعاد الى بلاد الروم فشاهد التركمان الاوغين المنتمين الى قرامان يتعدون على المغول سبياً ونهباً فحشد جنوده وزحف الى قمة طنكرلو الشهيرة واحتلها بالسيف وأجهز على خلق كثير وبطش بسائر الاوغيين المنهزمين الى القرى بطشاً تاماً .

على انه لما كان اخوه ارغون (٥٧٨) في قيد الحياة كان وفود الفرنج يتقاطرون اليه قادمين من قبل البابا الروماني والملوك الفرنج ليتفقوا معاً ويزحفوا الى محاربة المصريين الذين عتوا ورفسوا وجعلوا يضطهدون النصارى . وقد وجه ارغون كذلك الى الحبر الروماني بنيابة سفير الربان صوما الراهب الايغوري الذي قدم مع الجاثليق مار يهب الآها من بلاد التتر[1] الى زيارته . ولما وصل الربان الى رومية قرّر مع البابا ان يزحف التتر والفرنج معاً لمناوشة العرب . غير ان ذلك الاتفاق لم يتم .

امّا كيخاتو فلما سار من بلد الروم الى جبال ارمينية الكبرى اجتمع ابناء الملوك ثانيةً واقطاب المغول وأجلسوه على سرير المملكة في ٢٩ حزيران

١) نشر الاب بولس بيجان اللعازري تلك الرحلة عام ١٨٨٨ وذكرناها نحن كذلك في كتابنا « الحروب الصليبية في الآثار السريانية » صفحة ٢٣٣ = ٢٠٢

١٦٠٣ لليونان (١٢٩٢ م) . ولما سمع المصريون نبأ وفاة الملك ارغون خشدوا ربوات من الجنود واقبلوا الى عكّة مدينة الفرنج الكبرى الشهيرة على ساحل البحر المتوسط وحاصروها حصارًا شديدًا مدة شهرين . ولم يشأ الفرنج بسبب عنفهم وكبريائهم ان يغلقوا تجاههم ابواب المدينة ليل نهار لكنهم جعلوا يخرجون اليهم ببسالة راكبين ويحصدونهم حصاد المنجل للقمح . وبلغ عدد القتلى العرب فيما قيل عشرين الف نسمة . وظل الفرنج يحرسون المدينة حتى اصيب الكونت قائدهم بسهم أودى بحياته وعند ذلك ارتخت عزائمهم وتقوّى المصريون فاقاموا زهاء ثلاثمائة منجنيق على السور الذي في البرّ وجعلوا تحت كل برج زهاء الف من الكمناء ينقبون الارض وقوضوا برجًا او برجين .

واخذ الاخوة الدواوية وسائر الزعماء يدخلون الدور الحصينة ويحاربون العدوّ . ولما احتل العرب (٤٧٩) تلك المدينة التاعسة طفقوا يلاطفون من في الدور لينصرفوا دون اذى وينحدروا الى البحر ويذهبوا هم ونساؤهم وبنوهم وبناتهم ويتركوا جميع اثاثهم واموالهم . غير انهم ما كادوا يفتحون الابواب ويدخلون حتى ابصروا فتيانًا وفتيات كالاقمار فتصدوا لهم . عند ذلك ثار ثائر الفرنج واستلوا سيوفهم ووثبوا الى العرب فالتحمت المعارك بين الفريقين وقتل من الجانبين جماهير غفيرة تفوق حد الكثرة . وهكذا قوّضوا تلك المدينة الجميلة الخصبة ولم يدعوا للفرنج في ساحل البحر موضعًا يسندون اليه رأسهم . وتمّ ذلك في نيسان السنة ١٦٠٣ لليونان (١٢٩٢م) .

وبعد هذا احتشد المصريون كذلك وزحفوا في جيوش ضخمة الى قلعة الروم التي على شاطئ الفرات واحتلوها في مدّة عشرين يومًا وقتلوا وسبوا ونهبوا واستأسروا جماهير وافرة من البنين والبنات . ثم قبضوا على الجاثليق الارمني وعلى جميع رهبانه وذهبوا به الى اورشليم مكرّمًا يوم السبت ٢٨ حزيران من السنة المذكورة وما زال مقيمًا هناك . وروى بعضهم انهم صلبوه واوثقوا الذين معه واستاقوهم الى مصر . غير اننا لم نثبت الامر بعد . والصحيح ان الجاثليق قضى نحبه في سجن دمشق . ولما اطلع الارمن على ذلك اصطفوا رجلًا موافقًا ورقوه الى الرتبة الجاثليقية وجعلوا سيس مركزًا له .

اما كيخاتو فلما استتب له الملك انصرف الى اللهو والنهم والخلاعة لا

يعنيه امر المملكة وجعل يستدعي ابناء الاعيان وبناتهم ويسافحهم دون حياء وخجل . وافضى الامر بفريق من العفيفات الشريفات النبيلات الى الهرب منه . وجعل فريق منهن (٥٨٠) ينقلن بنيهنّ وبناتهنّ الى اماكن بعيدة تملصاً من شره ونهمه . وظلّ ينغمس في تلك القبائح زهاء اربع سنوات حتى سقط من عيون ارباب الدولة وأبغضوه بغضاً شديداً .

وفي تموز السنة ١٦٠٥ لليونان (١٢٩٤م) حضر عنده الامير بيدو احد ابناء عمه وكان له ابن جميل الطلعة . وجلسا يوماً يشربان ويأكلان ويمزحان واتفق ان كيخاتو شتم بيدو فبادله بيدو بالشتم وسمّاه ابن زانية . فاحتدم كيخاتو سخطاً وصاح الذين حوله وأمرهم ان يجرّوه خارج المعسكر ويضربوه ضرباً مميتاً . ذلك امرٌ لم يخطر البتة ببال بيدو ولم ينتظر ان يعامله كيخاتو مثل تلك المعاملة مهما اذنب . وبعدما استاقوه وصفعوه واحتقروه جداً مضوا به الى خيمة حقيرة وانتووا ان يبطشوا به .

نام بيدو هنيهة في الخيمة ووجه كيخاتو بعض الزعماء ليعاتبوه على ما جرى . فجعل يضحك ويمزح وهو يقول : لا يخطر ببالي ما صار ولست أدري ما تقولون ؟ واين هو كيخاتو ؟ واتوني بخمر لنشرب . وما الذي حدث يا ترى ؟ وكيف وصلتُ الى هذه الخيمة ؟ بمثل هذه العبارات ادهش اولئك الزعماء وحيّرهم واقتنع اغلبهم بحقيقة قوله .

وقد انخدع كيخاتو نفسه واغترّ حالاً وندم على ما اصاب بيدو من الصفع . وجعل يفرغ محلّ الجهد (٥٨١) ليهدئ روعه ويتلافى ظلامته . وبعد هنيهة وجه زعماء آخرين يسألونه : هل يتذكر ما تكلم به حين سكره ؟ اما بيدو فانكر ذلك مطلقاً وقرر بانه لم يشعر بضربة ما . واستحلف اولئك الزعماء ليصرحوا له هل ما يقولونه صحيح ام يمزحون معه ؟ ولما سردوا حقيقة ما جرى بينهما جعل يتجاهل ويجاهر بقوله لهم : ان محبة كيخاتو لي لا مثيل لها ولولا ذلك لكان حقه ان يفسخني ويقطعني ارباً ارباً . ولما بلغ كيخاتو كلام بيدو هذا اطمأن باله واضمحل قلقه وسار بذاته الى خيمته وعانقه وقبّله وجاء به الى خيمته واحضر ثياباً ملكية وشحه بها . وتظاهر بيدو بانه مذنب ومسيء ومستوجب للموت . وجعل يتأوّه ويبكي وهو يقول : لست ادري اني اذنبت

واذا كان حدث ما حدث جهلًا مني فارجو ان تلقي لحمي لكلابك ولا تشفق علي .
ازداد كيخاتو حبًّا وعطفًا وبالغ في السخاء على بيدو حتى انه في تلك الايام الثلاثة أنفق عليه زهاء اربعين ربوة من ذهب وفضة وحلل مذهبة فاخرة ومناطق مرصّعة بالياقوت والحجار الكريمة هذا سوى الخيل والبغال والافراس . على ان آل كيخاتو جعلوا يلومونه ويقولون له : كان الاجدر بك ان تتحاشى احتقار بيدو وان لا تدفعه الى اناس يسحبونه من شعره ويصفعونه ويجرحونه . واذ قد صار ما صار فالهدايا لا تفيده والتملق لا ينفعه . بل يجب ان تتحذر كل الحذر منه . وكان فريق آخر يقول له : ان الخليق بك ان تقضي عليه قضاء مبرمًا والا فسيبدو منه ما لا تحمد عاقبته . وقال له بعضهم كذلك : اياك ان تنيط به خدمة من الخدم (٥٨٢) والاحرى ان يبقى طول حياته مأسورًا كي لا يمدّ يده او يؤذي احدًا البتة .
غير ان كيخاتو لفساد اخلاقه وخبث نياته وانهماكه في قضاء أوطاره تجرّأ ان يقول لبيدو اني احب ان يكون ابنك في خدمتي مقيمًا لدي كرفيق وصاحب . فما كان من بيدو الا ان هشّ وبشّ لطلبه وأمر ان يرسل حالًا من يأتي به . فقال له كيخاتو : كلّا بل اذهب انت عاجلًا الى آلك قبل ان يعرفوا ما جرى بيننا من المشادّة وعند وصولك اليهم وجه اليّ ابنك . فقال له بيدو على الرأس والعين . ثم غادر المعسكر مغادرة العصفور للفخ وجعل ينظر وراءه وهو مستعجل يقطع في يوم واحد مرحلة اربعة ايام حتى وصل الى بيته مطمئنًا وأرسل ابنه الى كيخاتو وانتقل هو الى جبال همذان كأنه ذاهب الى القنص . ووجه من هناك رسولًا الى قازان بن ارغون يتظلم ويشكو ويقص عليه كلّ ما اصابه .
امّا كيخاتو فلم يشعر بذلك كله بل ظلّ كعادته منهمكًا في قضاء وطره ينفق الاموال الطائلة دون حساب . واتفق لسوء الحظ ان حضر اليه يومئذ صدر الدين الفارسي رئيس الكتاب اعني صاحب الديوان وذكر له ان خزائن الدولة قد فرغت وانه جعل يستقرض ويصرف ولم يبقَ لديه خروف واحد يهيئه لطعام الملك . عند ذلك تولى امر النفقة رشيد الدولة اليهودي ونهض بهمته نهوضًا مشكورًا حتى انه اشترى بماله ربوات من الغنم والبقر وأعدّ الطهاة

والطباخين (٥٨٣) على أن يؤدي له صاحب الديوان ما ينفقه. غير ان الخزانة كانت فارغة خالية فاضطر ان يكتب الى البلاد صكوكاً في طلب النفقات ولم يحصل على شيء . اما اليهودي فقد انفق كل ماله وعجز عن مواصلة عمله واضطر ان يلوذ بالفرار . هكذا ظلت الاحوال ضيّقة وتعذر على صاحب الديوان ان ينهض بما يحتاج اليه ملك الملوك من المبالغ الطائلة .

عند ذلك افتكر كيخاتو ان يستنبط عملةً جديدة اذ لم يستطع ان يحصل على ذهب وفضة فأصدر امرًا ملكيًا نهى فيه استعمال الذهب والفضة على الاطلاق وانشأ رقعاً من القراطيس ذات علامة حمراء. ودوّن فيها لفظة دينار او دينارين او ثلاثة او اربعة او خمسة حتى العشرة واطلق عليها اسم « شاو » . ونادى المنادون في المدن أن كلّ من يبيع ويشتري ويأخذ ويعطي بسوى الشاو يقتل قتلًا . وكل من بيده فضة لا يذهب بها الى الدار التي يطبع فيها الشاو ويأخذ بدلًا منها شاوًا يقتل قتلًا. هكذا تقلب الناس في ضيق شديد وصعوبة شاقة مدة شهرين كاملين حتى أمست تبريز عاصمة المغول كأنها قفراء. اذ انهزم اهاليها وتفرّقوا واختفوا وغدت أغلب اسواقها مغلقة . وحصل فيها غلاء وجوع وضيق شديد جدًا . ذلك لان الاهالي لم يروا ان يستعملوا تلك الرقاع الحقيرة وخافوا ان يتعاملوا بالفضة . واحتشد الاهالي عند صاحب الديوان يصخبون ويضجون ويسبونه ويشتمونه اقبح الشتائم ويسمعونه عبارات الاستهزاء والاستحقار (٥٨٤) لا يريدون ان يذعنوا لقوله او يخضعوا لامره حتى اخذه الذهول وحار في أمره وخجل ان يعود في كلمته ولم يستطع الى تكميل مرامه سبيلًا .

وراح الشعراء ينظمون ابيات القدح والهجاء في حقه ولم يبقَ مطرب او مغن الا انشأ الاهازيج ونظم الاغاني والزجليات في ذمه والتهكم به . ولما رأى ان الخاص والعام جميعًا يناهضونه أصدر امرًا ملكيًا اطلق فيه الحرية في التعاطي بالشاو او الفضة على حد سوى . واعلن ملك الملوك بقوله : اننا لم نأمر باستعمال الشاو الا ترويجًا لمصالح الاهالي ليعيشوا عيشة هادئة مطمئنة . وقضى كذلك بالغاء الجزية والضريبة. وذكر ان الحاجة الى الاموال اضطرته ان يأمر بطبع الالوف والربوات من القراطيس الى ان قال : والان فلسنا نضطر الاهالي في ذلك بل نطلق لهم الحرية في التعامل كما يشاؤون. عند ذلك

شمل السرور جميع البلاد والمدن وفتحت الطرق والاسواق بعد ما ظلت شهرين كاملين مغلقة لا بيع فيها ولا شراء ولا أخذ ولا عطاء .

ولما دخلت السنة ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥ م) عاد بيدو ليشتي بيامد دقوقة كعادته وانتوى الخروج على كيخاتو ومناوأته وتآمر سراً مع القواد المغول المجاورين له وحشد الجنود واقبل بذاته الى بلد الموصل وقبض على القائد الذي فيها وبطش به . وارسل فبطش كذلك بالقائد في بغداد . فتخوف سائر الزعماء المغول جرأته وانضوا اليه مسرورين مبتهجين وسيّروا الوفود الى قازان معربين عن موافقتهم له وذكروا : ان كيخاتو قد خالف طريقة المغول واستخف بأبيهم جنكزخان وأتلف خزائن الدولة اذ انفقها في الخلاعة واسرفها في البذخ والشهوات الدنيوية لا يهمه امر الدولة ونجاحها . بناء عليه اجمع الاقطاب والزعماء والابناء والبنات والنساء والعرائس على خلعه . (٥٨٥) ثم صرحوا لقازان بانهم متفقون على مبايعته بالخلافة المغولية .

اما قازان فارسل يقول لبيدو : انك عظيم في اسرائيل واننا باجمعنا موافقون لك وسائرون حسب سياستك . فاصنع كل ما يلزم ويوافق ويفيد بشرط ان تظل دعائم الدولة راسخة غير متزعزعة . واستطرد يقول : ان الذي يتولى تخت المملكة يلزمه ان يحجم عن البذخ والرفاهية في المطعم والمشرب ويكف عن الاسراف وعن السخاء في غير وجوهه . ويفرغ كل جهده في المحافظة على الدولة ويفتكر دائماً في مناهضة الاعداء ومقاومة من يقاومه اذ ان المملكة لا تتعزز بربوات الجنود والجيوش بل بحكمة الملك وخبرته .

ولما عرف الاقطاب وابناء الملوك والقواد والضباط ان قازان وبيدو قد اتفقا اتفاقاً حبياً وجعلا يتفاوضان على يد السفراء في من يخلف كيخاتو في العرش الملكي قرّروا طبقاً لشريعتهم ان يتولى قازان ولا سيما لان بيدو يناضل في سبيل ذلك بكل قواه . بناء عليه اغمضوا عن كيخاتو وهو لا يدري ولا يعرف ما يصير اذ كان كألوف عادته منصرفاً الى قضاء اوطاره وتكميل شهواته . غير انه لما اطلع الخاص والعام على المؤامرة وبلغوه ايّاها أفاق من غفلته ووجه سفيراً الى نواحي ديار بكر اعني الى الاقطار الشمالية ليحشدوا الجنود ويتوجهوا فيقبضوا على بيدو . لكن السفير عند بلوغه الى تلك الاطراف

رأى ان الجيوش قاطبة متفقون مع بيدو وانهم متأهبون ان يزحفوا ويناوشوا كيخاتو . فانقلب اليه فورًا فاخبره بما ينوونه . وتبادر الى ظنّ كيخاتو ان بيدو مزمع ان يتوجه الى مقر قازان فحشد العساكر واغلق الطرق والثغور المؤدية الى خراسان . وجهز طاشر القائد الكبير في ربوة من الجند وارسله (٥٨٦) ليصدّ بيدو عن العبور في جبال شهرزور. ثم وجه كذلك حماه آغ بوقا في ربوة ثانية وعوّل ان يزحف هو ايضاً في ربوة ثالثة ويتوجه الى مبارزة بيدو .

ولما شارف كيخاتو مدينة تبريز وحل في مكان يقال له اوجان وصل اليه طاشر وآغ بوقا في ربوتيهما ونزل الجميع في لحف جبل شهرزور من الناحية الشرقية . وكان بيدو ورجاله في الناحية الغربية فوجه سرًا الى طاشر يقول : اني متحرق غيرة على تعزيز الدولة المغولية ولست أتوخى الا القضاء على كيخاتو بسبب أعماله الشائنة ولا سيما لاني علمت انه لم يترك لكم نساء او ابناء او بنات الا انغمس معهم في الدنس . فالخليق بنا ان نتحد كلنا قاطبة ونعزله ونقيم قازان خلفاً له في العرش الملكي ونخضع له باجمعنا .

أعجب طاشر بخطاب بيدو ووافقه في رأيه وارسل من ساعته يخبر رفيقه آغ بوقا ويصرح له بانه مخالف لبيدو وموافق له وانه مزمع ان ينضم اليه . ثم طلب منه ان يطلعه على هدفه . غير ان آغ بوقا لكونه حما كيخاتو لم يعجبه رأي طاشر بل تكدر خاطره ونوى ان يعود الى كيخاتو في الجنود الذين معه. ولما اصبح الصباح ركب طاشر كأنه يريد التوجه الى بيدو وغلب على ظنّ اغ بوقا انه مزمع ان يناوشه وينهزم فسارع في بعض جنوده يريد كيخاتو وحار في امره واستدعى اليه باريم القائد الذي معه وقال له: ارى ان عساكري قد انتقضوا عليّ فكن شجاعاً بطلًا واحمل عليه ولا تتأخر. ثم أحضر ثياباً والبسه.

(٥٨٧) اما باريم فركب حصانه كأن يريد المعسكر حيث كان اهله ونساؤه وترك الخيام والمضارب وما كاد يبتعد نحو مرمى سهم، حتى كبس خيام كيخاتو وهزمه وجعل يتبعه . وكان كيخاتو قد ارسل فطلب روكل قائد العسكر الكرجي فاقبل اليه في ربوة من جنوده وشاهد هناك الجنود مزدحمين ينهبون ويخطفون وقد وقعت بينهم الفتن والخصومات والمنازعات. وما مرّ القليل حتى وصل كيخاتو في اربعة او خمسة نفر فوثب اليه باريم واحدق به روكل

كذلك واجهز عليه معاً في ٥ اذار ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥ م) دون ان يشعر بيدو بما جرى .

على ان بيدو لم يكن ينوي الفتك بكيخاتو بل كان يروم ان يقبض عليه ويعتقله في احدى القلاع وقد وجه بعض الجنود ليأتوه به ولكنهم شاهدوه قد مات فعادوا واخبروه بما صار .

وبعد هذا اجمع الاقطاب والبنون والبنات والاصهار والعرائس على التسليم والخضوع لبيدو . وهذا بدوره ارسل سفيراً الى قازان يستقدمه عاجلاً . وكان قازان مقيماً في بلد بعيد والشتاء شاملاً الاقطار والبراري خالية من العشب فتعذر عليه تلبية طلبه حالاً . اما اصحاب بيدو فلما استبطأوا قدوم قازان جعلوا يقولون له : ان المملكة جديرة بك لا بقازان الفتى الصغير السن الذي لا يتيسر له النهوض بسياستها . فاذا اعرضت عنها وسلمته تدبير المملكة اسست احوال الدولة مشوشة مضعضعة . فاغترّ بيدو بكلام المملقين وجعل يتباهى ويتفاخر وعدل عن (٥٨٨) انتظار قازان . ووجه من نقل من تبريز العرش الملكي الفخم الذي تبوّأه آباؤه وارغون وغيرهما واقامه قرب اوجان واستوى عليه معتقداً ان المملكة قد استقرت له . وبعد ما اقام هناك اياماً معدودة مستسلماً للاكل والشرب ارتحل الى نواحي سياهكوه وحالفه من كان هناك من الابناء والبنات والاخوة والانسباء والقوّاد والزعماء قاطبة واخذ يسوس الجميع سياسة هادئة مطمئنة . وخصص لكل من الاخوة وابناء الاعمام ناحية يستغلون مواردها ويتمتعون بها . وقرر بانه اذا فضلت فضلة يبعثون بها اليه . واذا عازهم شيء يطلبونه منه . هكذا ودعوه جميعاً مجبورين يؤدون الشكر لله تعالى على استتباب الامن والاتفاق ما بين الجنود والزعماء قاطبة .

اما قازان فلما شارف سياهكوه وعرف ان بيدو قد استحل المملكة واستوى على العرش خلافاً للشرع احتدم غيظاً ولحقه ما لحقه من الكمد متأسفاً على ما كابده هو وجنوده من المشقة والعناء في طريقهم الطويلة الصعبة . وجعل يقول : أليس بيدو هو الذي استدعاني ؟ فلماذا لم يصبر ؟ وعلامَ جلس على العرش دون موافقتي ؟

اما بيدو فكان واثقاً بانه يهدئ روع قازان ويسايره ببذل العطايا الفائضة

وبالكلمات الحلوة والعواطف الرقيقة ويجعل تحت سلطته خراسان كلها وشيراز والبحرين وكرمان ويتخلى له عن جميع معسكر ارغون ابيه وعن جميع الخيل والبقر والقطيع والاموال والارزاق ينقلها معه الى خراسان متى شاء .

وقد وصل قازان الى قونطوراولان وبقي (٥٨٩) بينه وبين بيدو مرحلة يوم واحد فشاور نوروز بن ارغون قائد جيشه وكان هذا محنكاً بالحروب بطلاً في المامع واتفقا كلاهما ان ينقضا بغتةً على بيدو دون ان يشعر بذلك . غير انهما لم يتوفقا في ما اعتزما . ذلك لانهما لما ركبا ليلاً وسارا بقوة شديدة تفجرت ميازيب السماء . وهطلت الامطار وارعدت الرعود وهبت الرياح والعواصف فضلّا الطريق وتاها وسارا يتسكعان في الدياجير حتى اصبح الصباح فاذا هما قريبان من معسكر بيدو لا يتجاسران الدنو منه بسبب ما لحقهما من الرطوبة والعناء . والضعف فضلاً عن تشتت جيشهما وتبعثره وهكذا أقاما حائرين مدهوشين .

اما بيدو واصحابه فقد استحوذ عليهم الرعب والهلع وركبوا هم كذلك وخرجوا ليبارزوا قازان . فلما رأى قازان ان لا سبيل الى القتال انحدر من حصانه وسارع الى بيدو وقبّل احدهما الآخر يُجلان ان يقضي احدهما لصاحبه بما نويا وبما حدث . فبيدو بسبب تسرعه وعدم انتظاره قازان وقازان بسبب قدومه الى بيدو ليلاً ليوقع به . وفي الحقيقة انه لولا الامطار والبروق والرعود لَقُضي على بيدو وعلى اصحابه قاطبةً لا محالة .

ومن ثم فلما اتفقا وتصالحا وجعلا يتعاتبان ويتعاذلان أبدى قازان لبيدو خضوعاً جميلاً وذكاء مفرطاً وحكمةً جديرةً بالملوك مصرحاً بانه تسالم وتصالح معه وأخفى على كل ما قيل له . واقسم احدهما للآخر بالاّ (٥٩٠) يتنازعا ويتحاكما فيما بعد وان يسيرا معاً بالهدوء والسلام والحب والاتفاق والوئام .

ثم ان بيدو عرض على قازان ان يتوجها الى المعسكر ليأكلا ويشربا ويتمتعا مسرورين بما جرى بينهما من الصلح والموادعة . لكن قازان احتج بما اصابه من العناء والتعب في الليلة السابقة وقال : الاولى ان يعود كل منا الى مكانه ليأخذ نصيباً من الراحة ثم نعود فنجتمع صباح الغد . فاقتنع بيدو لبساطة قلبه واطلق له الحرية في ما رغب . ولما فارق بيدو امتطى ظهر حصانه

وظل يطارد منذ عشية ذلك النهار والليل كله وهو ينظر غير مرة الى ورائه متعجباً بافلاته من يد بيدو .

وراح بيدو يهيء في المعسكر الوان الاطعمة والهدايا الوافرة دون ان يهدأ او يكل او يرقد وهو يفتكر في تهدئة خاطر قازان وارجاع المياه الى مجراها . ولما اصبح الصباح بعث بعض الزعماء ليسلموا عليه ويستفسروا عن صحته . فساروا فرسخاً وفرسخين وثلاثة واربعة ولم يشاهدوا في تلك الطريق سوى بعض احصنة مهجورة او ميتة . فانقلبوا عائدين واخبروا بيدو بما كان. فتأكد له ان قازان لا يزال على كيده وحقده وانه انما عاد لكي يحتشد بالاكثر وينقلب الى مناوشته . فخاف كل الخوف وارسل في استحضار الاقطاب والجنود جميعاً كيما يعارضوا قازان ويناهضوه عند عودته .

اما قازان فقد شاور البطل نيروز واتفقا على ان يرسلا الى بيدو سفيراً يرطّب خاطره ويلهيه عن حشد عساكره ومناوشة خصمه . معتقدين انه اذا حاول حشد الجنود تيسّر له ان يجمع منهم الوفاً وربوات ويصبح قازان غير قادر على مبارزته (٥٩١) . ثم اتفقا على ان يصرح السفير لبيدو بان جنود قازان قد خارت قواهم وان دوابهم ضعفت بسبب قلة الغذاء. ولا سيما لان تلك السهول خالية من الحشيش والمرعى ولا يتيسر لهم الحصول على العلف لدوابهم وعلى القوت لطعامهم. وبعد هذه المحادثة رضي نيروز ان يقوم هو بتلك السفارة. ويقنع بيدو كيفما كان كي يلزم السكينة مطمئناً ولا يتحرك .

وصل نيروز ورحب به بيدو كل الترحيب وكشف له مضمرات قلبه حتى افضى الامر بنيروز ان يقول لبيدو : ان كنت في ريب او شك من قازان فانا مستعد ان اعود فأتيك برأسه في طبق. قال هذا وهو يتذرع بكل الذرائع ليتملص ويعود بالسلامة . اما بيدو فقد سُر بتصريح نيروز وقال له : اذا تيسر لك ذلك فاني مستعد ان استودعك جميع ذخائر مملكتي ثم اسنى اليه هدايا قيمة ودفع له ربوات من الذهب وكتب الى صاحب قزوين ليدفع له ربوة اخرى وصرفه .

ولما وصل نيروز وأخبر قازان بما صار اخذهما العجب والتحير معاً ولا سيما لحصول نيروز في قبضة بيدو وتصرف بيدو معه بكل سذاجة دون ان يبطش

به . ومن ثم جعلا كلاهما يستعدان للحرب ويحشدان العساكر من كل ناحية . وتولى نيروز عنه قيادة الجيش. وارسل قازان مع نفر قليل الى جبال مازندران ليلتهي بالقنص . ووجه شرزمةً الى جهةٍ اخرى وظل هو وخواصه في جهة ثانية.

اما بيدو فظل يتقلى ويتشكى وهو يقول : اين هو قازان ونيروز ؟ وبماذا يشتغلان ؟ وهل من نيتهما ان يحاربا ام لا ؟ وجعل يرسل الوفود تترى ليطلع على حقيقة امرهما . ولما وصلوا (٥٩٢) وقابلوا نيروز وطلبوا ان يواجهوا قازان نفسه ويحادثوه شخصياً جعل نيروز يقول لهم : ما الفائدة من مقابلتكم فتًى غبياً لا يعرف شيئاً ؟ ها هوذا يطوف الجبال والوهاد لا يهمه الا القنص . فاذا كان لا بد لكم من مشاهدته فهنذا أبعث معكم من يدلكم على مكانه . وبالفعل سار اولئك الوفود في فريقٍ من الرجال مضوا بهم في طريق قفراء. وطوّحوهم من قريةٍ الى قرية ومن مدينة الى مدينة حتى اوصلوهم بعد ايام كثيرة الى مكان قازان . وما قابلهم قازان حتى طفق يشكو ويتذمر من بيدو وهو يقول : اين العهود التي عاهدني بها ؟ واين العسكر ونساء ابي ووصائفه وقد وعدني بان يوجههم اليّ ؟ فاذا كان ينقض العهود كان حقه ان يعلمني لاترك كل شيء ، واعود الى خراسان .

عاد الوفود الى بيدو وجعلوا يحلفون ويؤكدون له ان قازان لا ينوي المحاربة وانه لم يحشد الجنود على الاطلاق وهو ينتظر ان تنجز له وعدك ليعود الى مكانه . فاقتنع بيدو وارتضى ان يوجه الى قازان كل ما وعده به . غير ان الاعيان لم يوافقوه مؤكدين له ان في الامر دسيسة وخداعاً وخيانة. وان قازان انما يحاول الاستيلاء على معسكر ابيه لكي يزحف ويأتي لمناوشتك . ولا بد من ان يتبعه وينضم اليه ربوات من الامم والشعوب في الوف من الحِيل والاعتدة.

وبعد قليل وجه قازان الى بيدو يقول : استعجل في ارسال العساكر لان الاعداء الشرقيين الذين في سواحل جيحون متحفزون للزحف الى ناحية خراسان وقد ظهر كثير من الخوارج وانضموا اليهم . غير ان الاعيان والزعماء الذين لدى بيدو قرروا بان تلك الاخبار مموّهة كاذبة لا حقيقة لها .

اما قازان فلما أخفق (٥٩٣) في ما نوى ارسل يقول لبيدو : لا حاجة الى العساكر . ذلك لكي ينفي عنه كل ظنٍّ سيء . اما بيدو فقد تمهل مدة

يخيل له الظل جسماً ويحسب تلك الحيل لا صحة لها وراح ينهمك في المطاعم والمشارب . ولكنه لم ينصرف الى الخلاعة نظير كيخاتو سالفه بل كان يسير سيرة مرتبة منتظمة حميدة يجامل الفضلاء والحكماء والاعفاء والنساك من اية امة كانوا ويجزل لهم المواهب ويوشحهم بحلل ملكية . وبما ان دهسبينة ابنة ملك اليونان قرينة اباقا كانت مقيمة لديه منذ بضع سنوات فلذلك كان يميل الى العطف على المسيحيين وينقل معه في معسكره كنيسة وناقوساً . غير انه لم يستحسن المجاهرة بالدين المسيحي لان المغول في عهدنا كباراً وصغاراً قد انضموا الى الدين الاسلامي واختتنوا وجعلوا يزاولون الغسل والصلوات الخاصة به مما حمله على المجاهرة بالاسلام نظيرهم تحبباً الى اقطاب دولته . ومع ذلك كله لم يتمكن من الاستغناء عن النصارى اذ لم يكن يثق بغيرهم في شؤون الدولة وحساباتها . وهذا ما حمله على ان يعرج على الجنبين اذ كان يقول للنصارى انه نصراني والصليب معلق في عنقه ويقول للمسلمين انه مسلم ولكنه لا يستطيع ان يمارس غسولهم وصلواتهم . وكان اذا حضر لديه ايمة المسلمين وقاموا للصلاة وجه ابنه ليصلي معهم (٥٩٤) تأميناً لافكاره وتهدئة لسخطهم . وقد عرف المسلمون حق المعرفة انه يميل الى المسيحيين اكثر من ميله اليهم . وظلّ زهاء خمسة اشهر يسوس مملكته على هذا النسق .

اما هيتوم ملك قيليقية العادل الصدّيق[1] فلما بلغه نبأ انتصار بيدو واستوائه على عرش الدولة المغولية ومحبته للنصارى وميله الى عقيدتهم اكثر من سائر العقائد عوّل على زيارته شخصياً توطيداً للعلاقات بينهما . فغادر وطنه واستغرق سفره زهاء شهرين . وعند وصوله الى سياهكوه اتفق وصول الامير نوروز كذلك في عساكره لكي يقبض على بيدو . وانصرف بيدو الى استدراك امره فوجه سفيراً الى هيتوم الارمني يقول له : ارجع الى مراغة وانتظر هناك ريثما اطمأن واعود الى المعسكر فاكتب اليك في الشخوص اليّ . فسار هيتوم الى مراغة واقام فيها زهاء عشرة ايام وسمع ان بيدو قد فرّ من وجه نيروز البطل الكبير ووصل قازان ملك الملوك وتوجه الى تل الاسود بجانب ديهورقان

(١) هو هيتوم او حاتم الثاني ملك الارمن وقد انضم الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وتوشح في اواخر حياته بزنار رهبنة مار فرنسيس وتوفي راهباً .

وعند ذلك تهيأ هيتوم وانطلق الى زيارته وقدّم له هدايا وافرة فقال له قازان: انك ما جئت لتزورنا بل لتزور بيدو . فقال له هيتوم : ينبغي لي ان اودي الخضوع لسلالة جنكزخان بأسرها واوافي للنهوض بخدمة من يستوي على عرشها. عند ذلك رحب به ملك الملوك ترحيباً جميلا ووشحه بحلل ملكية وأمر ان يسجل له الفرمان (٣٩٣) وتنفذ مسائله كلها .

وكان قبل هذا التاريخ قد صدر الامر بتقويض الكنائس فالتمس الملك هيتوم من ملك الملوك ان يأمر بابقائها لكونها دور الله عز وجل وبيوت الصلاة. فاصدر ملك الملوك فرماناً قرَّر فيه ان تبقى الكنائس على ما هي وان تحول بيوت الاصنام الى مساجد ومدارس اسلامية . هكذا بواسطة هذا الملك الارمني حفظت كنائس جمة ولم تتقوّض. وغادر هيتوم المعسكر الملكي مجبور الفؤاد مبتهجاً كل الابتهاج وكان ذلك يوم الاحد ٩ تشرين الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) .

اما نوروز فقد انقض في جيشه على بيدو في مكان يدعى قونغور اولان ولم يتيسر لبيدو ان يبارزه او يقاتله ساعة واحدة لكنه انقلب سريعاً وانهزم من وجهه يوم السبت ٢٤ ايلول ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥م) وظل نوروز يتبعه حتى يوم الخميس سادس تشرين الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) فادركه وبطش به.

وبعد هذا صدرت الاوامر بان تقوّض الكنائس وبيوت الاصنام ومعابد اليهود وان يقتل احبار الوثن ويحتقر الاساقفة ويؤدوا الجزية والضريبة. واضطرّ النصارى ان لا يظهروا الا بمنطقة على حقويهم وان يتخذ اليهود علامة على رؤوسهم.

وثار الاهالي يومئذ في تبريز وقوضوا جميع كنائسها وشمل الحزن جميع النصارى في كلّ الدنيا . ولا يتيسر لنا ان نحصي جميع ما كابدوه من الاهانة والاحتقار والذلّ ولا سيما في بغداد فقد بلغنا ان الرجال المسيحيين لا يتجرأون ان يظهروا في السوق وان نساءهم يخرجن ويدخلن ويقمن بالبيع والشراء لانهن لا يتميّزن عن النساء المسلمات في زيّهن (٥٩٦) واذا اتفق المسلمين ان يعرفوهن انصبوا عليهن بالضرب واللطم والسبّ والشتم. فاصبح النصارى في تلك النواحي متقلبين في اتعس الحال واشقى الحياة يسخر بهم اعداء العدالة والانسانية ويقولون لهم : اين هو الاهكم ? واين من يساعدكم وينقذكم ويخلصكم ?

على ان هذا الاضطهاد قد شمل النصارى واليهود معاً . امّا احبار الوثن عبدة الاصنام فكان ملوك المغول يخصونهم بكثير من الاجلال والاكرام . حتى انهم كانوا يجودون عليهم بنصف واردات الدولة ينفقونها في سكب الاصنام الذهبية والفضية . فلمّا شملهم اضطهاد التتر جاهر اغلبهم بالاسلام .

وبعد هذا اصدر ملك الملوك اوامر قاطمة وبعث وفوداً مخولين الى كل مدينة وبلد في هدم الكنائس ونهب الاديار. فكان اولئك الوفود اذا شاهدوا مسيحياً ينهض بخدمتهم ويدفع لهم مبلغاً من المال اغمضوا عنه وتركوه وشأنه. اذ كانوا يفضلون حشد المال على تقويض الكنائس .

وقد توجه المأمورون التتر الى اربيل واقاموا عشرين يوماً ينتظرون اعيان النصارى كي يأتوا الى زيارتهم ويتعهدوا لهم بمبلغ من المال حرصاً على كنائسهم. غير ان المطران ذاته لم يهمّه هذا الامر الخطير . وبالجملة فان كلًّا من الاهالي كان منصرفاً الى تدبير بيته فقط. ذلك ما حمل المأمورين على ان يفسحوا المجال للمسلمين فوثبوا باجمعهم الى كنائس المدينة الثلاث الفخمة فاخربوها وقوضوها من اساساتها . وجرى ذلك (٥٩٧) يوم الاربعاء ٢٨ تشرين الثاني من تلك السنة .

ولما بلغ النصارى المواصلة ما جرى هناك من الاهوال والغوائل خافوا خوفاً عظيماً . وما ان وصل المأمورن الى نواحيهم حتى خرج اليهم فريق ممن امتازوا بتفانيهم وحرصهم على الكنائس المقدسة وقرروا ان يدفعوا لهم مبلغاً من المال وافراً . واضطروا بسبب فقر حالهم ان ينتزعوا اواني الكنائس وامتعتها فلم يتركوا صليباً ولا صورة ولا مبخرة ولا انجيلًا مرصعاً بالذهب او الفضة الا اخذوه. ولم يكتفوا بذلك كله بل فرضوا مبلغاً على المؤمنين في المدن والقرى وجمعوا زهاء خمسة عشر الف دينار ادوها للتتر في سبيل انقاذ الكنائس وتسديد الضرائب.

وحدث في تلك الغضون خلاف بين ملك الملوك وبين بعض المغول الاورتيين الذين يقضون فصل الشتاء حوالي دير مار متّى بناحية الموصل فوجه اليهم وفوداً يتوعدونهم ويتهددونهم لانهم في عهد الملك بيدو كانوا قد تعدّوا على التركمان وانتزعوا غنمهم وبقرهم وقطعانهم وخيلهم وبغالهم وجمالهم . فصدر الامر من لدن قازان ملك الملوك بان يردوا الى التركمان كل ما سلبوه منهم والا فاذا تمردوا ولم يطيعوا وجب ان يقتلوا جميعاً .

على ان اولئك المغول الاورتيين كانوا قد اتلفوا أغلب ما سلبوه من التركمان مما حمل الوفود التتر والتركمان معاً على الاساءة اليهم ومضايقتهم كل المضايقة . فما كان من اولئك الاورتيين الا ان حملوا (٥٩٨) حملة واحدة على الوفود وعلى التركمان معاً وبطشوا بهم . ثم جمعوا اهلهم وكل ما امكنهم حمله وانهزموا الى سورية وكان عددهم ربوة كاملة بينهم رجال حرب وقتال . وتمّ ذلك يوم الثلاثاء ١٩ كانون الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦ م) .

وفي هذه السنة لم يزحف لصوص سورية الطغاة الى هذه الناحية الشرقية . لان الله جلت احكامه سمع صوت دماء المظلومين وصراخ المساكين فانتقم من اعداء الانسانية وسلط عليهم الغلاء والطاعون ولا سيما في مصر . فقد قيل ان الاسكندرية فرغت من السكان بالكلية . غير ان هذا الخبر لم يثبت عندنا بعد فلم نرَ التبسط في ذكره ومما لا شك فيه ان الغلاء والوباء قد فتكا بالمصريين فتكاً ذريعاً .

وفجر الاثنين ٢٠ حزيران ١٦٠٨ لليونان (١٢٩٧م) زحف علاء الدين ابن جاجا الى مدينة آمد في جيوش كثيفة من العرب قادمين من سورية . وسبوا اهاليها سبياً اليماً واستأسروا منهم اثني عشر الفاً واجهزوا على جمهور غفير من المسيحيين . ونكلوا بالسيد غريغوريوس مطران المدينة تنكيلاً فظيعاً وبطشوا به . واقتحموا فدخلوا كنيسة والدة الله الكبرى وانتهبوها واحرقوها بالنار فتشوهت ابنيتها وتضعضعت سقوفها واعمدتها الجليلة العجيبة وامست بسبب اللهيب والحريق الفظيع كومة من الحجار . وظلت النيران مشتعلة فيها نحو شهر .

وانما جرى ما جرى لان اهالي آمد انتقضوا على الملك الصالح صاحب ماردين فارسل يستقدم ابن جاجا المذكور فزحف اليها في اثني عشر الف (٥٩٩) فارس وفتح لهم الابواب اميرها علم الدين وادخلهم دون ان يشعر احد من الاهالي وانهزم الى ماردين . فاحتلوا المدينة واخربوها . وكانوا يدخلون بيتاً فبيتاً ويشاهدون الرجل وامرأته واولادهما راقدين فينبهونهم ويقتلون الرجل ويستأسرون المرأة والاولاد ويستاقونهم .

الحمد لله تعالى في البدء والنهاية

كتاب
الدر المرصوف في تاريخ الشوف (تبع)

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

الامير جهجاه الحرفوش

وفي سنة ١٢٠٢ (١٧٨٧) حضر والياً على دمشق الآظن ابرهيم باشا. وبعد وصوله تقدمت اليه الشكايات على الامير جهجاه الحرفوش حاكم بلاد بعلبك انه عاصي الدولة ولا يدع احد يتولى بلاد بعلبك سواه وانه حارب الدولة مرارًا وقتل كثيرًا من رجالها. فغضب الآظن ابرهيم على الامير جهجاه وارسل الى الامير كنج ابن الامير محمد الحرفوش ان يكون والياً على تلك البلاد وامره ان يطرد عمه الامير جهجاه من هناك وامدّه بعسكر من اصحابه. ولما بلغ الامير جهجاه ذلك امر اهل مدينة بعلبك وقراها ان يرحلوا. وتهدد بالقتل كل من يخالف امره. وكسر حجارة الرحى التي هناك. فرحلت جميع الناس. ونهض بعشيرته الى قرية من معاملة بعلبك يقال لها ضبره. وحضر عسكر دمشق الى بعلبك فسار به الامير كنج الى ضبره وحاصر الامير جهجاه بها وضايقه وقطع عنه السبيل وتضايق الامير جهجاه وكاد يغلب. وكان قد ارسل الى الامير يوسف الشهابي مستغيثاً به. واستنجد الامير شديد مراد ايضاً. وبينما هو في ذلك الضيق اقبل عليه عسكر الامير يوسف فقوي عزمه وخرج الى قتال الامير كنج فقتل من عسكر الدولة نحو خمسين نفرًا. وانهزموا.

ثورة المماليك

وفي سنة ١٢٠٣ (١٧٨٨) تباين لاحمد باشا الجزار خيانة بين سراريه مع البعض من مماليكه. فعزم على قتلهم وترقب الفرصة حتى صادف البعض من

المماليك في الدار فهجم عليهم . ولما ايقنوا بالهلاك وثبوا عليه فجرحوه وقامت الضجة في داره . فسمع باقي المماليك ونهضوا لاسعاف اصحابهم . وتعصبت لهم قواد العساكر لان الجميع كانوا قد ضجروا من ظلم الجزار وكرهوا دولته . وخرجوا جمهورًا الى خارج البلد وخرج معهم سليم باشا . ولم يبق عند الجزار الا نفر قليل . وشاع الخبر ان مماليك الجزار قتلوه فسرت الناس بذلك واستبشرت وتعصبت الارط ضد الوزير واما لوا اليهم سليمان باشا واتفقوا على انهم يأخذون اولا مدينة صور فيجعلونها حصنًا ومتركًا ثم يرجعون الى عكا . فراسلوا اهل صور على ذلك فلم يجيبوهم خوفًا من غائلة الجزار . فنهض سليم باشا بالعسكر وحاصر صور وضايقها فتحها بالسيف وكان يومًا هائلًا على اهلها من كثرة القتل والسبي والنهب واعملوا السيف في عسكر الجزار الذي كان بها فلم يسلم احد منه . وكان الجزار قد ارسل عسكرًا من المغاربة لاسعاف اهل صور وكان باقيًا خارج البلد فرجع اليه سليم باشا . ولما رأت المغاربة ذلك هربت الى عكا وتبعها سليم باشا بمن معه ونزلوا خارج عكا وارادوا ان يفعلوا بها كما فعلوا في صور فخاف الجزار من ذلك ولم يجد له سبيلًا الا الفرار فعزم ان ينزل في البحر ويترك لهم المدينة . وكان يومئذ الشيخ محمد القاضي في عكا فاشار على الجزار ان يتجهز للسفر ويعد له سفينة في الميناء حتى يتوسط الليل فيخرج من عنده من الرجال بالمدافع ويكبس المماليك وهم نيام فان ظفر بهم فهي الحاجة والا فالسفينة حاضرة . فاعجب الجزار هذا الرأي وتأهب للسفر وارسل الرجال الذين عنده فكبسوهم ليلًا وكان القوم نيامًا فما انتبهوا الا والرجال قد احاطت بهم والهبتهم بالمدافع فانذعروا ولم يقدروا على الثبات فانهزموا وقتل منهم جماعة وتركوا اثقالهم وخيلهم وسلاحهم فطاب قلب الجزار وكان قد قبض على جملة مماليك فقتلهم وقتل جميع السراري التي عنده واستخدم القره محمد وعبد الرحمن الطوير وجماعتها مكان الرجال الذين كانوا عنده وتشتت المماليك واحزابهم في كل مكان .

وفي هذه السنة تقدم الامير علي ابن الامير اسماعيل حاصبيا الذي مات في سجن الامير يوسف فاستغاث بابرهيم باشا والي دمشق وقدم له هدايا واموالا وسأله الاسعاف على الامير يوسف في رجوع ولاية حاصبيا اليه ليطرد الامير

اسعد الذي كان اقامه الامير يوسف حاكماً . وقبل وصول العسكر بلغ الامير يوسف ذلك فجهز عسكراً من البلاد وارسله الى وادي التيم. فلما سمع عسكر دمشق بقدوم عسكر الجبل خشي وعاد راجعاً الى مكانه ولما رأى الآظن ابرهيم قوة الامير يوسف وشدّة بأس قومه اراد مصادقته فكتب اليه كتاباً لطيفاً يتضمن المعاتبة له على محاماته عن الامير جهجاه الحرفوش وقتاله لعسكر الدولة . فالطف له الامير يوسف في الجواب واعتذر . واخيراً صار الاتفاق برضى ابرهيم باشا ان يبقى الامير جهجاه حاكماً في بلاد بعلبك وان يبقى حاكم حاصبيا في تصريف الامير يوسف . وكان الواسطة في ذلك الشيخ عباس التل حاكم الزبدانه ودفع الامير جهجاه الى ابراهيم باشا خمسة عشر الف غرش وحضرت له خلعة الولاية وارسل الوزير قبض على الامير كنج وطلب منه سبعة آلاف وخمسمئة غرش بدعواه انه صرفها على العسكر الذي جهزه معه . ولم يكن عند الامير كنج مال . فوضعه في السجن . وكان وقت طلوع الحج . فخرج ابرهيم باشا مع الحجاج . وبلغ الامير جهجاه ذلك فارسل ورشى متسلم المدينة على قتله وطلب له حكم بلاد بعلبك الذي لا يليق لسواه .

وفي اواخر هذه السنة لما حضر الآظن ابراهيم باشا من الحج نهضت ضده اغوات الارط واكابر البلد وحاربوه وقتلوا من عسكره مقدار ثلاثمئة نفر وطردوه من دمشق الشام . فمضى واقام في مدينة حمص وعرض الى البـاب العالي بما كان فاتاه الجواب بما يرضيه وحضر له تقرير ولاية دمشق .

وفي هذه السنة توفي الامير اسماعيل ابو اللمع . وكان اكبر امراء المتن ورأس سمية بني قايدبيه . وكان صاحب سطوة ونباهة. وتخلف له ثلاثة اولاد وهم الامير حسن والامير عساف والامير حيدر .

وفيها توفي الشيخ كليب نكد في دير القمر وكان رأس سمية المناصف واكبر اصدقاء الامير يوسف .

وبها صارت ثلجة عظيمة اتصلت الى حدود سواحل البحر .

وبها في اليوم الرابع والعشرين من شهر نوار انكسفت الشمس عند الظهر وذلك في هلال رمضان .

حكم الامير بشير الثاني ١٢٠٤ – ١٢٥٦ (١٧٨٩ – ١٨٤٠)

الحقبة الاولى[1]

وفي سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) لما حضر التقرير للآظن ابرهيم على ولاية دمشق الشام حضر ايضاً امر لاحمد باشا الجزار والامير يوسف في اسعافه على الدخول اليها والانتقام من العصاة الذين بها . وكان ابراهيم باشا قد انفذ الاوامر وتوجه الى دمشق فلم يقبلوه ايضاً فمكث في الخارج حتى وصل الاسعاف من الجزار والامير يوسف . فنهض وحاصر المدينة مقدار عشرين يوماً وفتحها . واما الامير علي ابن الامير اسماعيل فلما فرغت يده من الآظن ابرهيم في توليته حاصبيا التجى الى احمد باشا الجزار فقبله وطيب قلبه وكتب الى الامير يوسف ان يعطيه حاصبيا ومرجعون . فأبى وغره الطمع وانقاد الى رأي الشيخ غندور الخوري وذي ما اصابه من جرى ذلك. فغضب عليه الجزار وعزم على خلعه من الولاية. ثم جهز عسكراً وارسله مع الامير علي الى حاصبيا فترح الامير اسعد الذي كان والياً عليها من قبل الامير يوسف وعزم الامير يوسف على مقاومة الجزار فجمع عسكراً من البلاد واستنجد الامير جهجاه الحرفوش. فاجابه وجمع رجال بلاد بعلبك. ومشى عسكر الامير يوسف والامير جهجاه على حاصبيا . والتقت العساكر في وادي ابي عباد وكان ذلك في العشرين من تموز . وانتشبت الحرب بين العسكرين فاقتتلوا قتالاً شديداً وهجم الامير جهجاه على عسكر الدولة فاذاقهم الوبال . وجاهدت رجال البلاد فكسرت عسكر الدولة ورجع الى عكا منهزماً وقد قتل منه نحو مئتي نفر . فاشتد غضب الجزار وجهز عسكراً آخر وارسله الى البقاع واخذ يضبط الغلال التي هناك يريد بذلك مضايقة اهل البلاد لكي يطلبوا الراحة لانفسهم بتركهم الامير يوسف . وارسل فقند المشايخ بني جنبلاط . وهم اخذوا يفتدون اهل البلاد . فهاب الاكثرون . ولهجت الناس بتنزيل الامير يوسف ولاموه لمخالفته امر الجزار طمعاً في مرجعيون التي وقعت كل تلك البلابل بسببها على غير احتياج اليها . ولما رأى الامير يوسف ان اكثر المناصب خانت عليه وان الجزار قد صار خصماً له علم انه لا يقدر على الثبات فعزم على ترك الولاية من نفسه وجهز نساءه واولاده الى

[1] تمتاز هذه الحقبة بقلة الاستقرار وبكثرة ارهاق الشعب بالضرائب .

المتن . وراسلت المناصب بعضها . واتفق الجمهور على تولية الامير بشير ابن الامير قاسم وعرضوا بذلك الى احمد باشا الجزار فاجاب واستدعى الامير بشير اليه . فواجه الامير يوسف واتفق معه وعاهده الامير يوسف ان يخلي له دير القمر وينزل في اواخر البلاد . وتعهد له الامير بشير انه لا يضره ولا يسعى فيه بما يؤذيه. وحضر الامير بشير الى عكا برضى الامير يوسف واعطاه نفقة السفر. ولما دخل على الجزار رحب به والبسه خلعة الولاية وجهز معه عسكرًا نحو الف نفر اوصلوه الى دير القمر. فحضرت اليه المشايخ الجنبلاطية والعمادية والنكدية واكثر مناصب البلاد . وكان الامير يوسف يومئذ قد حضر الى المتن . وكان الشيخ محمد القاضي في عكا . وقد ذكرنا ان الامير يوسف كان قد حبس الشيخ محمد في نوبة الامير اسماعيل وعذبه عذاباً شديدًا حتى ان المغاربة الذين كانوا يتولون عذابه كانوا يقطعون لحمه ويطعمونه منه . وكان بعد ان قطع الامير يوسف لسانه صار يتكلم ولكن كلاماً ضعيفاً . ولما وجد سبيلًا عليه عند الجزار قال له : يا مولاي ان الامير يوسف ما دام في البلاد لا يكون فيها راحة ابدًا . فان رأيت ان تأمر الامير بشير في طرده فتنقطع آماله وتنكسر عزائم احزابه. وكان الجزار معجباً برأي الشيخ محمد من وقت نوبة المماليك فقبل كلامه وارسل معه كتاباً الى الامير بشير ان يقوم لطرد الامير يوسف فارسل الامير بشير الى الامير يوسف يعلمه بذلك. واشار عليه ان يتوجه نحو جرد كسروان . فقام الى هناك وانتهى الى وطا الجوز . ونهض الامير بشير من دير القمر وسعى في اثره امتثالًا لامر الوزير حتى وصل الى المتن فاعلم الامير يوسف ان يقوم الى بلاد جبيل . فقام الى قرية لحفد ومن هناك الى العاقورة . وما زال الامير بشير ساعياً في اثاره . ولمح الامير يوسف انه قد اعتمد ذلك باطناً ونقض العهد الذي كان بينهما . فعزم على مقاومته ونبه على رجال جبة بشري ورجال المشايخ الحمادية وارسلهم الى وادي الميحان حيث يعلم ان الامير بشير يسلك اليه . وهو مكان عسر لا تسلك فيه الخيل الا على طريق ضيق حرش. فاكمنوا هناك حتى وصل عسكر الجزار والامير بشير معه. ولم له علم بهذه المكيدة . فخرجت عليهم الرجال والهبتهم بالرصاص فانذعرت المغاربة والارناؤط وانكسروا من وجه القوم . وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وتفرست رجال الامير يوسف . وكاد ان ينكسر كل عساكر الامير بشير . فانتخى الامير بشير حينئذ وجرد سيفه وحمل قدام العسكر ودعاه الى القتال. فتبعته الرجال وصدموا عسكر الامير يوسف فكسروه وهرب الامير يوسف الى الجبة . ومن هناك الى طاريا . ثم الى بلاد بعلبك . ثم الى الزبدانه . ثم الى منين في نواحي دمشق . ثم الى بلاد حوران . ورجع اكثر اصحابه . وقتل في تلك النوبة الشيخ ابو دعيبس جنبلاط .

موقعة بعلبك

وفي هذه السنة اتجد للامير بشير ولد وسماه الامير قاسم باسم جده .

وفي هذه السنة حدث فتنة بين الامير جهجاه الحرفوش حاكم بعلبك وبين رجل من الاكراد يقال له الحاج اسماعيل. فمضى الرجل الى دمشق الشام واشتكى على الامير جهجاه الى الوزير مدعياً انه اختلس منه دراهم جزيلة المقدار. وطلب منه ان يوجه معه رجالا اليه وكان الوزير يرغب ذلك لان ولاية الامير جهجاه كانت على طريق الغلبة كما مر . فجهز له عسكرًا من رجال الدولة . وكان الامير جهجاه في احدى قرى بعلبك . فما شعر الا والحاج اسماعيل كبس تلك القرية . فخرج الامير جهجاه منهزماً . ودخل الحاج اسماعيل بالعسكر فنهب القرية وكان الامير جهجاه مستوطناً باهله هناك فنهب كل ماله وسبى نساءه. ومضى بهن الى دمشق فاكرمه الوزير وانعم عليه والبسه خلعة حكم بلاد بعلبك. وارسله اليها بعسكر عظيم . وكان الامير جهجاه قد رجع الى مدينة بعلبك . وامر ان ترحل سكانها واهالي قراها فرحلوا وحضر هو الى زحله برجال قلايل واستعد لقتال الحاج اسماعيل .وطلب من اهل زحلة انه اذا اقبل الحاج اسماعيل وخرج اليه يخرجون ايضاً معه لا ليقاتلوا لكن يكونون كالمتفرجين ليريه جمهورًا كبيرًا . وفي اثناء ذلك وصل الحاج اسماعيل الى بعلبك فلم يجد فيها احدًا. وبلغه ان الامير جهجاه في زحلة . فقصده الى هناك . وخرج الامير جهجاه الى لقائه وشاع الخبر في المكان . فخرج اكثر اهل زحلة . ونزل الامير جهجاه باصحابه . وصادم عسكر الدولة بجرأة عظيمة ولما رأى عسكر الدولة ذلك الاقدام ورأى التلال قدامه قد امتلأت بالرجال غلب عليه الخوف فانهزم وسعى

الامير جهجاه في اثرهم. فانثنوا عليه وقاتلوه فظفر بهم وساق وراءهم حتى قتل منهم ما ينوف عن مئتي قتيل . ورجع ظافرًا منصورًا . وعاد الحاج اسماعيل الى دمشق مخذولًا . فاشتد غضب الوزير وعزم ان يجهز عسكرًا عظيمًا على زحلة ويخربها وينكب الامير جهجاه . فقيل له ان اهل زحلة ليس هم عصاة ولا حاربوا الدولة فحربهم حرام . والامير جهجاه متى رأى عسكرًا لا طاقة له على لقائه يهرب نحو الجبل ولا تقدر ان تملكه ولا يمكن ان يدع بلاد بعلبك تعمر ولا يتولى غيره عليها . وحضر الشيخ عباس التل الى مجلس الوزير. فتوسط امر الامير جهجاه واطلق له تساء تحت ايراد عشرين الف غرش واخرج له خلعة حكم بلاد بعلبك وارسل اخاه الامير سلطان الى دمشق رهنًا على ايراد المال .

وفي هذه السنة تقدمت الشكوى من الامير بشير ونائبه فارس ناصيف على الشيخ محمد القاضي الى احمد باشا الجزار بانه رجل خبيث لا يفتر عن السعي بين اهل البلاد ومناصبها وهو يدعو الناس الى الامير يوسف خلافًا لامر الوزير. وانه ما دام في الحياة لا تكون راحة في البلاد ولا مصلحة للاموال السلطانية. وكان الشيخ محمد يومئذ في عكا لانه كان يتردد كثيرًا على الجزار وهو ينتظر الانعام منه جزاء على منفعته في نوبة المماليك. ولما تقدمت هذه الشكوى عليه امر بقتله فاذا هو الجزاء . وكان الشيخ محمد من اعقل الناس واسدهم رأيًا واعظمهم دهاء وانفذهم حيلة .

وفي هذا العهد التجأ الامير قاسم الحرفوش الى الامير بشير الشهابي وطلب اسعافه على ابن عمه الامير جهجاه لينزعه من الولاية ويتولى مكانه . فاجابه الى ذلك وجمع له عسكرًا من الشوف وارسله معه الى زحلة وكتب الى اهلها ان ينهضوا معه وكتب ايضًا الى اهل المتن واورانها . وكثر جمهور الامير قاسم وتوجه الى قتال ابن عمه الامير جهجاه. وكان الامير جهجاه مقيمًا في قرية تنين. فلما علم بقدوم الامير قاسم خرج الى لقائه . وانتشب القتال بينهم في ارض ابلح . ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى انكسر عسكر الامير قاسم وولى منهزمًا في تلك القفار . فساق الامير جهجاه في اثرهم حتى ابعدهم عن تلك الديار ، ولم يأذن لاصحابه في القتل منهم فكانوا يسلبون خيلهم وسلاحهم

وبتركونهم . وقبضوا في تلك الموقعة على الامير شديد ابي اللمع واحضروه لدى الامير جهجاه . فامر له برد سلاحه وجواده واطلقه عزيزاً كريماً . ولم يقتل في ذلك اليوم الا رجال قلايل . ولم تكن رجال الامير جهجاه مقدار ربع العسكر الذي اتى به . ولما رجع العسكر الى البلاد منهزماً جرد الامير بشير عسكراً آخر واقام عليه اخاه الامير حسن وارسل معه بعض امراء ومشايخ من البلاد فقصدوا الامير جهجاه الى بعلبك ولما بلغ الامير جهجاه قدومهم اليه ترك المدينة خالية من السكان وتقدم الى تلك القرى . فوصل العسكر الى هناك ولم يجد ما يقتات به . فما اقاموا الا قليلًا وانثنوا راجعين . وعاد الامير جهجاه الى بعلبك فاقام بها . وكان من حين كبسه الحاج اسماعيل الكردي ما زال واضعاً ارصاده على مشارف الطرق التي يظن فيها اقبال العدو فاذا لاح لهم قوم انذروه بهم . فان كانوا ممن يستطيع الثبات لهم ثبت والا اخلى المدينة ورحل . وكان في خلال ذلك لا يستقر في مكان خوفاً من غدر الغادرين . واما الامير قاسم فلما رأى ان الامير بشير لا يكفي لقضاء حاجته التجأ الى احمد باشا الجزار فجهز له عسكراً من الدولة والمغاربة وارسلهم معه ومعهم بعض مشايخ بلاد الشوف وامرهم ان يطردوا الامير جهجاه من جميع تلك الاطراف ويتبعوه اينما سار الى ان يأمنوا رجوعه . فساروا حتى رجعوا الى قرب بعلبك . وعلم الامير جهجاه بقدومهم فنهض الى راس بعلبك واقام هناك . فدخل العسكر الى بعلبك فلم يجد فيها احداً وبلغهم انه في راس بعلبك فقصدوه الى هناك . ولما علم الامير جهجاه بقدومهم نهض واقبل على مدينة بعلبك من طريق آخر فما وصلوا الى راس بعلبك حتى كان قد وصل الى بعلبك فنهب ما وجد في تلك الاطراف . وتوجه الى جهة المشرق ووصل الخبر الى الامير قاسم فرجع الى بعلبك واقام بها .

وفي سنة ١٢٠٥/١٧٩٠ كان الامير يوسف قد ارسل الى احمد باشا الجزار يطلب صفو خاطره عليه وكان لم يزل مقيماً في بلاد حوران . فاتاه الجواب بالاجابة ودعاه ان يحضر اليه . فحضر الامير يوسف الى عكا ودخل على الوزير وفي عنقه منديل الخضوع . فقبله الجزار واكرمه واعطاه الامان واقام الامير يوسف في عكا مقدار ستة اشهر . وكان الامير بشير بعد خروج الامير يوسف

من البلاد قد تمكن من الولاية وطابت له الايام. فاخذ يوزع اموالاً على البلاد ويطلب مطاليب لم تسبق بها العادة وفرق الحوالات في السبع مقاطعات وضجت الناس بالشكوى من ظلمه الشديد وعجزت عن القيام بمطاليبه . وفي اثناء ذلك امر الجزار الامير يوسف ان يحضر نائبه الشيخ غندور الخوري الى عكا ليبقى رهناً عنده ويلبس الامير يوسف على حكم الجبل ويبقى يورد المال عن يد الشيخ غندور . وكان قد حصل الاتفاق بينهما على ستمئة الف غرش . وكتب الجزار الى الشيخ غندور كتاب الامان وارسله اليه الامير يوسف ودعاه الى الحضور وكان يومئذ في ضواحي الضنية . فاقبل مسرعاً الى عكا ودخل على الجزار فرحب به واكرمه وانعم على الامير يوسف بخلعة الولاية . وكان ذلك في اول شهر كانون الثاني وارسل الشيخ غندور الكتب الى مناصب البلاد يعلمهم بذلك. وشاع الخبر واستبشرت الناس بزوال حكم الامير بشير عنهم. وقامت الافراح والتهاني في جميع البلاد وهربت حوالة الامير بشير من كل مكان. ونزح الامير بشير من دير القمر الى الشوف . ونزل في قرية نيحا لانه لم يبق له صديق في البلاد الا الشيخ قاسم جنبلاط لا غير . وذلك لكثرة ظلمه وجوره . لانه لم يترك احداً سالماً من نكبة حتى انه بلص الامراء بني عمه ولم يحفظ حرمتهم ولم يدع مكاناً خالياً من الحوالات حتى اديرة الرهبان. وكان طلبه شديداً فاحشاً. وكان يرسل الحوالات ويردفها حالاً باخرى. ويطلب من الانسان اكثر ما يملك كثيراً. ولم يكن يقبل شفاعة ولا عذر ولا واسطة ولا يرثي لاحد ولا يشفق على احد . واشتد العسر في ايامه حتى كان لا يباع شيء. ولا يشترى لان من كان عنده فضول مال لا يجسر ان يشتري بها خوفاً من الشهرة بوجود المال . فرخصت الارزاق والاراضي والامتعة حتى صار ثمن قنطار الزيت بخمسين غرشاً وما دون وحمل الورق بخمسة غروش واقل. وكذلك باقي المبيعات وكان يتولى امر البلص فارس ناصيف وجدعون آغا الترك . ولم يكن عندهما اثر من رحمة الله وخوفه . وكان عندهما رجل من مزرعة العرب المجاورة لبيروت يقال له مخائيل ابو خليل . فكان يسعى بالناس ويفرض عليهم كما يخطر على باله وهو لا يعرف المفروض عليه اكثر الاحيان ولا يعرف ما عنده. فربما كان ما يفرضه عليه بقدر ما يملكه اضعافاً. ومتى جرى القلم بشيء.

لزم استيفاؤه على حكمه فلا يترك منه شيء مطلقاً . فجمعوا من البلاد اموالاً لا يعلمها الا الله . وضاقت صدور الناس ونفد ما في ايديهم . ولما شاع خبر الامير يوسف املوا بالفرج من تلك الشدائد. وحضر الى دير القمر بعض افراد البلاد ومشايخها . وتوجه كثيرون الى ملاقاة الامير يوسف. وبينما الناس كذلك وهم ينتظرون قدوم الامير يوسف الى البلاد . ركب الامير بشير ونزل الى عكا وتعهد للجزار بالمال الذي تعهد به الامير يوسف فتبل منه وانعم عليه بتقرير الولاية . وامر بالترسيم على الامير يوسف وبعض اتباعه . فرجع الامير بشير مسرعاً الى دير القمر . وفي رجوعه ادرك الذين كانوا توجهوا لملاقاة الامير يوسف . فامر اصحابه ان يسلبوا كل سلاحهم وبعض ثيابهم . واطلق بعضاً منهم واستاق بعضاً الى السجن واقام في دير القمر . وعادت الحوالات اشد مما كانت قبلاً .

ابو عسكر يونس وفارس الدهان

وفي هذه السنة حدث بين ابي عسكر يونس نقولا وبين فارس الدهان خصومة. فاراد ابو عسكر ان ينتقم من فارس فوشى به عند احمد باشا الجزار. فقبض عليه وطلب منه خمسين الف غرش . واستورد ذلك المال تحت ضمانة ديوان بيروت . وعاد فارس فوشى على ابي عسكر . فقبض عليه واخذ منه خمسين الف غرش ايضاً واطلقه . فرجع الى بيروت ومرض وتوفي . وكان رجلاً عاقلاً وديعاً محمود السيرة والسريرة . وكان له منذ حكم الامير ملحم الشهابي متسلماً ديوان بيروت ولم ينازعه احد عليه وكان محباً للجميع محبوباً من الجميع معتبراً عند الجمهور حتى انه كان ينهض كل يوم من داره الى الديوان فحيثما مر في الاسواق قامت اليه الناس من الاسلام والنصارى تحية فلا علك ان يرد تحية بكل الفاظها . فيقتصر على البعض . وكان له اخ قاصر العقل والهمة . حدث يوماً ما مشاجرة بينه وبين رجل من المسلمين يقال له سيد احمد الزوين. وكان سليط اللسان فشتمه فمضى الى اخيه وشكا اليه ذلك واقسم انه لا يجاوزه ما لم ينتصف له من خصمه . فقال : نعم . علي ذلك . وساجله اذل من قيسي بحمص . فانصرف عنه ودعا ابو عسكر ببعض الحمالين . فاعطاه

قفة من الارز يحملها الى سيد احمد الزوين . وكان سيد احمد قد قدم بعد ذلك خوفاً من ابي عسكر ولامه الناس على جسارته وبينما هو كذلك اقبل الحمال بهدية ابي عسكر . فكاد ان يذوب خجلاً واخبر قومه بذلك . ولما كان المساء اجتمعوا ومشوا الى دار ابي عسكر حتى دخلوا عليه فاكرمهم . واقبل الرجل على ابي عسكر واراد ان يقبل يده فامتنع عنه . واخذ يعتذر اليه . وكان تلك الليلة ذلك الرجل وقومه مثل الغلمان يخدمون في مجلسه . ثم لم يزالوا كذلك الى النهاية . واما اخوه فغضب من ذلك لانه كان يرجو ان ينتقم منه فاذا هو قد احسن اليه . فقال له : يا جاهل ! واي انتقام اعظم من استخدامنا رجلاً مسلماً غنى عليه بقبولنا له ؟

وبعد وفاة ابي عسكر استمر فارس الدهان متسلماً ديوان بيروت . وكان على ثروته شحيحاً حتى قيل انه كان يرسل ولده فضل الله الى بساتين له حول نهر بيروت فاذا اراد ان يرسل اليه غذاء ذلك النهار ارسله مع خادمه وكتب اليه رقعة يذكر له فيها عدد الخبز وما يتبعه من ادم كالجبن والبيض ونحوها . وكان لا يبالي بمعروف ومنكر . فمضى الى عكا ولمح ان الجزار يريد ان يطلب مالاً من نصارى بيروت . فضمن ذلك المال بمئتين وخمسين الف غرش طمعاً في تحصيل اكثر فيربح الفاضل . واصحبه الجزار بامر في القبض على النصارى . وفي نصف شهر آذار حضر الى بيروت وارسل الجزار اليها متسلماً صارماً قاسياً . فاعطاه فارس كتاب الوزير في القبض على النصارى . فقبض على اكابرهم والتاجر في السجن واقام عليهم العذاب وكانت الاعوان تعذبهم عذاباً شديداً لا يطاق . فاذا دفع احدهم مالاً خففوا عنه العذاب . وفي غضون ذلك توجه نصور التويني الى عكا وقدم للوزير دفتراً باسماء النصارى مفروضاً فيه على كل واحد منهم مبلغاً من المال بزعمه انهم يقدرون على ذلك ولا يتضايقون به . فكان مجموع هذا الدفتر ثمانمئة الف غرش . فارسل الجزار هذا الدفتر الى فارس الدهان لكي يأخذ بحسبه . فاجابه انه يفرغ جهده في ذلك بحيث انه يأمر بقتل نصور التويني . فامر بقتله . ومضى الى لعنة الله . واشتفى به غليل القوم وتمنوا مثاله لفارس لان سعيهما كان واحداً . والله على كل شيء قدير .

وزاد الطلب بعد ذلك على الناس واشتد عليهم العذاب . فصاروا يبيعون

املاكهم ونيابهم وامتعتهم بابخس الاثمان واقاموا في السجن ثلاثة عشر شهرًا. وكان اطلاقهم عن يد يوسف ابن قره علي الحلبي ترجمان البنادقة لانه كان له دالة على الجزار فشفع بهم عنده وقبل شفاعته واطلقهم . وكان جملة ما دفعوه من المال اربعمئة الف غرش . لكنهـا بمنزلة ستمئة الف واكثر لانهم باعوا املاكهم بابخس ثمن واحتاجوا الى رشوات كثيرة . وتكاليف شتى.. واما فارس الدهان فالهم الله الجزار وارسل قبض عليه والقاه في السجن قبل خروج المسجونين وطلب منه مئة الف غرش واقام عليه العذاب الشديد. ومكث في الحبس مدة حتى مـات تحت العذاب ، وكان ذلك عيدًا للنصارى في بيروت يتباشرون به . وقد خف عنهم بذلك ما لحقهم من الهموم والاحزان شماتـة وسرورًا .

وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد السلام العماد وكان رأى سمية بني يزبك . وكان رجلًا حكيمًا فصيحًا سديد الرأي حسن التدبير. وكان قد تجاوز في العمر السبعين سنة .

وفي سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠) كان الامير قاسم الحرفوش قد رجع الى بعلبك واقام بها كما مر . وبينما هو كذلك اقبل عليه الامير جهجاه فخرج اليه وثارت بينهما . فظفر به الامير جهجاه وقتله وقتل بعض اصحابه وهرب من سلم منه. ودخل الامير جهجاه المدينة وعاد الى ولايته. وكان احمد باشا الجزار في الحاج.

اما ما كان من الامير بشير فانه بعد رجوعه الى دير القمر تشدد كثيرًا في البلص والظلم وطلب الاموال من جميع البلاد عمومًا وخصوصًا . وكان يرسل الحوالات في طلب جانب من المال لا يتبين مقداره فيهتمون في تقدمة ما يقدرون عليه من المال ويلتمسون منه ان يعرفهم مقدار المطلوب فيفرض عليهم بعد ذلك مالًا يستطيعون عليه ولو باعوا كل ما يملكون ثم لا يزال عن طلبـه ولا يترك شيئًا منـه الا نادرًا . فضجت الناس وضاقت صدورهم ولم يعد لهم سبيل الى الخلاص وكادت البلاد تخرب واهلها يترحون .

وفي سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) بينما النـاس في ذلك الضيق توفي الامير محمد قايدبيه في رأس المتن . فاجتمعت في مناحته افراد المتن واعيان الطوائف. وكان ذلك في شهر نوار. وفي ذلك الاجتماع تحدثوا في امرهم وعزموا على طرد الامير

بشير واختاروا مكانه الامير حيدر ملحم والامير قعدان . وتعاهدوا وتحالفوا على ذلك. وكتبوا الى امراء البلاد ومشايخها واعيانها وطوائفها بجميع المقاطعات. ونهضوا برأي واحد . وطردوا الحوالات واهانوهم ثم تظاهروا بالعصاوة . ولما رأى الامير بشير قيام الناس ضده وعلم ان منشأ هذه الحركة من المتن استدعى بعض امراء ومشايخ كانوا يميلون اليه وجمع رجاله ورجالهم وتوجه بهم الى عين داره عازماً على قصاص اهل المتن وارسل ابن عمه الامير حيدر احمد بجانب من العسكر الى كفرسلوان وامره ان يبتدئ في احراق منازل بني حاطوم . ولما وصلوا الى هناك قامت اهالي كفرسلوان عليهم وامتد الصوت في المتن . فحضرت الرجال . وانتشبت بينهم الحرب فكانت النصرة لاهل المتن . وقتل انفار من رجال الامير بشير وسلب اكثر خيلهم وسلاحهم وارتدوا خاسرين . ولما علم الامير بشير بذلك نهض لدير القمر خوفاً من اهل المتن ان يجتمعوا اليه ومسابقة للامير حيدر والامير قعدان على امتلاك الدير . وعند وصوله عرض الى احمد باشا الجزار ان البلاد قد عصت عليه وحاربته وطردت اصحابه من بينها وان كل ذلك بسبب الامير يوسف وتابعه غندور الخوري لان كتاباتها متصلة الى البلاد . فغضب الجزار وامر بقتل الشيخ غندور . فقتلوه شنقاً . وقيل انه مات قبل وصوله الى المشنقة فعلقوه ميتاً وشنقوا معه ابرهيم عزام واحد اولاده. وكان ابن الشيخ غندور محبوساً في عكا . فمكث في السجن حتى توفي به عن قليل . وانتهت حياة الشيخ غندور وسعادته على هذا المنوال . وترك مرجعيون التي كان لا يقنع بكل ما في يده حتى يسلبها من امراء وادي التيم ويقطع ارزاقهم كما تقدم الشرح. وبقي الامير يوسف في عكا ينتظر ما يقضى له وعليه . وكان وقت طلوع الحج فخرج الجزار الى دمشق الشام .

موقعة زحلة

وكان بعد رجوع الامير بشير الى دير القمر حدثت فتنة بين اهل الدير وعسكر الجزار المقيم عند الامير بشير. فتأيدت رجال الدير وقتلوا من العسكر مقدار ثلاثين نفراً وطردوه من الدير وقاموا ضد الامير بشير . فخشي من ذلك ورأى ان اكثر البلاد صار ضده ولم يبق من حزبه الا بعض المشايخ بني

جنبلاط . فجمع عشيرته وتوجه الى صيدا ومعه الشيخ قاسم جنبلاط . ومن هناك ارسل الى دمشق يعلم الجزار بما كان . فامر بقتل الامير يوسف من غير مراجعة . فقتل شنقاً كما قتل الشيخ غندور . وكتب الجزار الى متسلم عكا ومتسلم صيدا ومتسلم بيروت ان يكونوا مؤازرين للامير بشير في الرجال والذخائر . وقبل خروجه الى طريق الحج امر متسلم دمشق ان يجهز عسكراً لمحاربة جبل الشوف . فجمع عسكراً من الدولة والهوارة والمغاربة والارناؤط واقام عليهم قره محمد وكان رجلاً شديداً من وجاق الدالاتيه . فاتوا وضربوا وطاقهم في بر الياس وهربت اهالي الجبل من جميع قرى البقاع . ثم ركب العسكر على زحلة ولم يكن فيها سوى اهلها . فثاروا على حريمهم واموالهم وصادموا العسكر بعزم شديد فكانوا هم الغالبين وارتد عسكر الدولة خاسئاً . وارسل القره محمد اعلم متسلم دمشق بما كان . فانفذ اليهم رجالاً يستعينون بها في القتال وكان قد بلغ اهل الجبل ما حدث في زحلة . فانتخت اكابرها وجمعت عسكراً وتوجهت به الى زحلة لاسعاف اهلها . ونزل عسكر البلاد في زحلة فوقعت منه ثقلة على اهل المكان . وكان في العسكر اقوام غلاظ . فانكر اهل زحلة عشرتهم ولم يكن لهم سبيل الى رفعهم فاخذوا يرحلون نحو الجبل واخلوا لهم المكان. فاقبل عسكر الدولة على زحلة واحرقها بالنار وكان ذلك في السادس والعشرين من شهر تموز. مع ان اهل زحلة كانوا كفؤاً لعسكر الدولة لو لم يحضر اليهم عسكر الجبل . فكان ذلك عليهم ضرراً جسيماً . وبعد قليل من الايام ركبت الدولة على ارض تعنايل وكان بها اناس من الجبل يجمعون غلالهم اختلاساً . فادركتهم الخيل ولم يعد يمكنهم الهرب . فدخلوا الى مكسة وهي قرية خربة وتحصنوا بها واحاطت بهم الدولة وانتشب بينهم القتال . وكانوا مقدار ستين رجلاً لا غير . وكان معهم راهب من بني الخازن وبعض رجال اشداء. فشجعوا بعضهم وناضلوا عن انفسهم وصادموا الدولة وثبتوا كذلك الى ان امتد الصوت الى الجبل واقبلت الرجال الى اسعافهم فارتد عسكر الدولة عنهم مخذولا . وقتل منهم اثني عشر رجلاً ومن الدولة مقدار اربعين . واقام عسكر الدولة بعد ذلك في بر الياس مقدار خمسين يوماً. وامتد الصوت في جميع البلاد فتقاطرت الرجال من كل جانب واقبلوا على

عسكر الدولة وحملوا عليه حملة صادقة. فولت الدولة منهزمة الى دمشق وتركت كثيرًا من الاسلاب والغلال التي جمعتها من اراضي البقاع . فاغتنمها عسكر البلاد واحرق بر الياس ورجع كل احد الى مكانه .

واما الامير بشير فكان لم يزل مقيماً في صيدا واسعفه متسلم عكا ومتسلم صيدا بعسكر عظيم من رجال الدولة فاقبل به على حرش بيروت واخذ يتطاول على املاك اهل الجبل وبساتينهم التي هناك وارسل جانباً من العسكر الى انطلياس فاحرق بعض البيوت وامتد الصوت نحو قاطع المتن وازواق كسروان. فاقبلت الرجال ولم تجد احدًا لانهم كانوا هربوا ولم يجسروا ان يلحقوهم فرجعوا الى مكانهم . ثم طلع جانب من العسكر الى الشياح واحرق بعض بيوت . فادركتهم بعض رجال الغرب وحدث بينهم قتال . فقتل من الفريقين انفار . وانهزمت الدولة الى الحرش. ثم طلع جانب من العسكر الى المكلس واحرقوها جميعها وبينما انطرح الصوت على بيت مري وبرمانا كفت الدولة راجعة الى مكانها . وتفرست الدولة واستهانت باهل البلاد . لانهم كانوا لا يجسرون ان يتطوروا معهم الى السهل خوفاً من سباق الخيل. فامر الامير بشير ان يركب العسكر جميعه ويطلع نحو الغرب. واذا ملكوا قرية يحاصرون بها ولا يهربون. فركبوا حتى وصلوا الى حدث بيروت . ولم يجدوا احدًا في جميع تلك الديار لان اكثر اهل السواحل هربوا واخلوا منازلهم . فاحرقوا الحدث . وتقدمت المغاربة والارناؤط حتى وصلوا الى بعبدا . فوجدوا فيها بعض رجال . فثار القتال بينهم. فاستظهرت الدولة عليهم وطلبوا الهرب ولم يجدوا سبيلًا اليه فدخلوا الى دار الامير حيدر ملحم. ولم يكن بها احد . فاحاطت بهم الدولة واتصل بينهم ضرب الرصاص والى ان وصل باقي عسكر الدولة هناك كان قد امتد الصوت في الغرب واقبلت الرجال فانتشب بينهم القتال واشتد العراك وجاهد كل فريق منها على قدر ما استطاع . وكانت النساء تدخل بين القوم حاملة لرجالها الماء. وهي ترمي الدولة بالحجارة. وكان عسكر الدولة يقلّ لما يفقد منه من القتلى وعسكر البلاد يكثر لما يقبل اليه من الانصار . وطلبت رجال الدولة الفرار فلم يجدوا سبيلًا لاحاطة الرجال بهم . وقتل منهم في ذلك اليوم مقدار اربعمئة نفر واغتنم عسكر البلاد خيلهم وسلاحهم ولم يقتل منه سوى

رجلين فقط . والجرح اناس قلايل . ولم يكن في ذلك اليوم من الدروز الا نفر قليل وحسبت تلك الموقعة للنصارى . وكان عندهم يومئذ عيد مريم الواقع في خامس عشر من شهر آب .

وفي ذلك النهار رجع الامير بشير وخشي ان تنزل اليه رجال البلاد فنزل في البحر وسافر الى صيدا . وتبدد العسكر الذي كان معه . والشيخ قاسم جنبلاط تركه ايضاً ورجع الى مكانه .

وفي اثناء ذلك حضر احمد باشا الجزار من الحج ومضى اليه الامير بشير واخبره بكل ما توقع واجتمعت المناصب من جميع البلاد في دير القمر وجددوا العهود بينهم على ان يكونوا قلباً واحداً ويداً واحدة في مصلحة البلاد. وكتبوا الى الجزار انهم قوم يطيعون الله والسلطان ويطلبون صفو خاطره . وانهم لا يقبلون الامير بشير حاكماً عليهم لاجل ظلمه وانهم لا يدفعون الا المال السلطاني المرتب من قديم الزمان . وسألوه ان يرسل خلعة الولاية للامير حيدر والامير قعدان. فضرب الجزار صفحاً عن سؤالهم ولم يرد لهم جواباً وطيب قلب الامير بشير وجهز له عسكراً عظيماً وارسله الى وادي التيم وارسل الى متسلم عكا ومتسلم صيدا ان يجمعا عسكراً ويرسلاه الى جسر صيدا. ففعلا وارسل الجزار عسكراً آخر الى بعلبك. وكان قصده ان يضايق البلاد من كل الجهات ليأخذها قهراً. ولما بلغ الامير جهجاه الحرفوش قدوم العسكر الى بعلبك اخلى المدينة ودخلها العسكر ونزل بها مطمئناً . وسار الامير جهجاه برجاله خفية وكبس بعض القرى من معاملة دمشق الشام . فنهب مواشي كثيرة وتوجه الى حيث لا يقدر الجزار ان يظفر به . والعسكر الذي حضر الى وادي التيم اتاه عسكر من جبل الشوف ووقع القتال بين العسكرين فانكسر عسكر الجزار وهربت الخيالة منه ودخلت المشاة الى سراي حاصبيا فحاصرت بها . فاقاموا عليهم خمسة رجل يحفظونهم من الفرار ورجع باقي العسكر الى البلاد. وكانت السراي خالية من الزاد. فتضايقت المغاربة والارناوط من الجوع وطلبوا من المحافظين عليهم ان يدعوهم ليذهبوا بانفسهم فقط. ويتركون لهم سلاحهم وامتعتهم. فلم يقبلوا . ولكنهم ندموا اخيراً لان الخيل التي هربت ما غابت الا اربعة ايام وفي اليوم الخامس اقبلت ومعها عسكر جزار مع الامير بشير

ورجاله واغاروا على القرية. فامتد الصوت واجتمعت الرجال وثارت الحرب بينهم بالقرب من الخان. والرجال الذين كانوا يحافظون السراي انصرف اكثرهم الى قتال العسكر الذي حضر فصار سبيل للمحاصرين وخرجوا وانضافوا الى عسكرهم وكافحوا اشد الكفاح فانتصروا على عسكر الدروز وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسروهم وما زالوا في آثارهم يقتلون منهم من ادركوه الى ان توسطوا الجبل. فرجعوا واحرقوا حاصبيا. وتركوها خراباً وعادوا راجعين الى عكا. وكان الجزار قد حضر الى عكا واستدعى كل العساكر ما عدا الذين في بعلبك واقام عليهم قواداً واتحفهم بالعطايا وفرض لهم الاقامات الجزيلة وارسلهم الى اطراف البلاد وكانوا مقدار ثمانية آلاف فحضروا واقاموا في عانوت وداريا وشحيم من قرى اقليم الخرنوب واخذوا يقطعون الاشجار ويحرقون المنازل. وينهبون الاموال ويحرشون الناس للقتال. وكان قد وقف اناس من اهل البلاد على حدود البلاد بمقابلة عسكر الجزار لكي يمنعوه عن التقدم ولم يزل في الاقليم. واما العسكر الذي كان في بلاد بعلبك فلم يزل هناك وكان قائده واضعاً ارصاداً على طريق المدينة من جهة القبلة احتساباً من كبسة الامير جهجاه الحرفوش. وكان الامير جهجاه بعد ان كبس بعض القرى في معاملة دمشق ونهبها حضر الى زحلة وعزم ان يكبس عسكر الدولة الذي في بعلبك ولم يكن معه من المقاتلين سوى مئة نفر لا غير. فطلب ان يصاحبه من اراد من اهل زحلة تحت اجرته. فاجتمع اليه مقدار مئة رجل ايضاً فاخذهم ومضى بهم الى نحو بعلبك. وكان قد علم بارصاد الدولة فاخذ بطريق آخر من جهة الشمال وامر اصحابه ان يدخلوا معه دخول اللصوص في سكون وخفة ولا يرفع احد صوته ولا يعجل في مشيه الى ان يكونوا توسطوا المدينة وتفرقوا بهم كما رتبهم. وان يتعاهدوا باسم عبدالله فمن سألوه من انت فقال عبدالله فيتركوه والا فيفتكوا به. وصبر حتى جن الليل بظلامه ودخل المدينة برجاله. وكان معه اخوه الامير سلطان. وكان ذلك بعد نصف الليل فتفرقت رجاله كما امرهم ثم صاح بقومه الباقين معه واطلقوا الرصاص وقامت اصوات البارود وسمعت اصحابه ففعلت كذلك من حيث هي وانقلبت المدينة بضجيجها وصار الامير جهجاه يدعو باسماء لا مسمى لها عنده من الامراء والمشايخ وطوائف المقاطعات ليوهم الدولة انهم في

صحبته وكانت اصحابه تدعو كذلك وتضج حتى ارتجت المدينة في ذلك الليل ووقع الرعب في قلوب عساكر الدولة لانهم كانوا نياماً .. فانتبهوا على صوت البارود وضجيج الناس وصهيل الخيل فظنوا ان رجال عربستان انقلبت اليهم فنهض كل واحد منهم من مضجعه وطلبوا الفرار وكانت رجال الامير جهجاه تسأل كل من لقيته عن نفسه فان لم يقل انا عبدالله اعملت فيه السلاح. فقتلوا جمًا غفيرًا من عسكر الدولة ولم يسلم منهم الا من نجاه الله وكان اكثرهم ينهض من مضجعه وهو لا ينتبه على نفسه من شدة الرعب فيخرج منهزمًا ويترك سلاحه حيث كان . ولما خلت المدينة من رجال الدولة . دخل الامير جهجاه ورجاله الى منازل العسكر فوجدوا كثيرًا من الاسلحة والخيول والاسلاب والاموال فاغتنموها غنيمة باردة ورجعوا الى زحلة .. واقام الامير جهجاه هناك . وكان ذلك في آخر شهر كانون الاول .

وفي هذه السنة حدث مطر عظيم في اراضي دمشق في آخر شهر ايلول . فطاف نهر برده وهدم جانبًا عظيمًا من المدينة وهدم خان الدالاتية واخذ كثيرًا من الناس ولم يحدث مثله في تلك الارض قبل ذلك من قديم الزمان . لان ارض دمشق قليلة المطر لا يقع فيها غالبًا الا رشاشًا .

« الجزار لا يقدر على البلاد »

وفي سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) كان الذين هربوا من كبسة بعلبك توجهوا الى دمشق واخبروا بما جرى عليهم من الامير جهجاه . وكان في دمشق رجل يقال له الملا اسماعيل وكان من رؤساء الدالاتية . فانتخى وتكفل انه يركب على الامير جهجاه ويقتله ويخرب بعلبك .. وكان الملا اسماعيل جبارًا عنيدًا . فركب بالف ومئتي فارس من رجال الدولة وتوجه الى زحلة. ولم يكن يومئذ من رجال زحلة سوى مئتي رجل فما دون ومن رجال الامير جهجاه مقدار مئة رجل. وكان اهل زحلة قد احتسبوا من غدر الدولة فحفروا خليجًا محيطًا بالبلد والسور . ولما اقبل عليها عسكر الدولة انقسم فرقتين لكي لا يقدر احد منهم على الهرب . وكان الامير جهجاه قد امر ان لا يخرج احد خارج الخليج . وهجمت الدولة على البلد من جهة القبلة ومن جهة الشمال .. وثار بينهم القتال وكان بعض رجال

زحلة مكمنين في الخليج الى الجهة القبلية . فكانوا اذا دنت منهم الخيل اطلقوا عليها الرصاص . فقتلوا منهـا وهي لا تراهم . وكان الامير سلطان الحرفوش في الكروم امام البلد ومعه خمسة عشر فارساً . فجال مع الدولة وقاتلها وكان حينما تقدر عليه الدولة يهرب من وجهها فاذا ارتدت عنه ينثني عليها الى آخر الكروم ويرجع . وقتل انفاراً من الدولة واشغل جانباً منها به حتى كادت تستظهر عليه . فتحوّل الى هناك بعض رجال البلد واكمنوا تحت شعاب الكروم فكانوا اذا كرّت الدولة على الامير سلطان يطلقون عليها الرصاص فيقتلون منها وأرصاد الخليج تتناول من لاح لها . فانكسرت الدولة وقتل منها خلق كثير وارتدت على اعقابها خاسئة نحو دمشق الشام . وكان القتال ذلك اليوم قد دام بينهم خمس ساعات على استقصائها . وكنت الفقير يومئذ هناك اسمع وارى . ولم يقتل من اهل زحلة سوى رجل يقال له ابن المبارك وعرجت الدولة في طريقها على مكان يقال له السلطان ابرهيم . فاقامت اياماً هناك . وفي اثناء ذلك اتت سرية منهم نحو بعلبك في الليل فاصبحت في نواحي ابلح الفرزل وهناك صادفوا بعضاً من المواشي فاخذوها واثني عشر رجلاً فقتلوهم وعادوا راجعين .

واما العساكر التي كانت في اقليم الخرنوب فكانت كل يومين او ثلاثة تقصد بعض القرى المجاورة لها فتنهب وتقتل ويتد الصوت فتقبل الرجال عليها فتهرب الى منازلها . وبعد ذلك سار منها شرذمة نحو مزرعة الشوف وكبسوها فهربت سكانها وادركوا انفاراً منها فقتلوهم ونساء . فسبوها ونهبوا ما وجدوا هناك وعادوا . ثم كبسوا غريفة وكان فيها عسكر من اهل البلاد فقاتلوهم وانكسرت الدولة وقتل منها جماعة فانهزمت . وكان ذلك في شهر شباط . ثم عادوا اليها ثانية فالتقاهم عسكر البلاد واقتتلوا طويلاً وجاهدت الدولة ذلك النهار وافرغت كنانة الجهد فاستظهرت على اهل البلاد وقتلت منهم خلقاً كثيراً . ونهبوا غريفة واحرقوها وتشتت رجال البلاد . وكان قد طال المطال على اهل البلاد في الحرب والنزاع وضجروا من كثرة الاجتماع والافتراق وتعطلت اعمالهم ومصالحهم لانهم بينما كانوا يرجعون من السفرة الاولى يجد عليهم الصوت الى الثانية . وراوا ان ذلك مما يطول عليهم ولا يظفرون بطائل منه لان عساكر

الجزار لا تزال تتجدد وتتزوا مكاناً بعد آخر . وكان الجزار قد قطع عنهم سبيل القوت من البر والبحر . فغلت الاسعار وقل الوجود واشتغلت الناس في ذلك . فصاروا بعد ان كانوا يذهبون الى الحرب من انفسهم لا يذهبون ولو بالاكراه والاغتصاب . والذاهب منهم لا يلبث قليلاً حتى يعود . فلما رأت مناصب البلاد ذلك عولت على كبسة الدولة نوبة واحدة اما لهم واما عليهم. فاخذوا يجمعون الرجال ويبذلون الاموال ويرغبون ويتوعدون حتى اجتمع اليهم جمهور كبير فرتبوا الفرسان والرجالة والقواد وساروا ليلا يطلبون قرية شحيم حتى قاربوها فانقسموا ثلاث فرق واحاطوا بها وهجموا هجمة واحدة وعلا صياحهم وضجيجهم وقامت اصوات البارود من كل جانب . وكانت الدولة غافلة في منامها فانذعرت واعجلتها رجال البلاد عن التحفظ . فتركت خيلها وسلاحها وهربت تطلب النجاة . واستطال عسكر البلاد عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة واغتنم كثيراً من الخيل والسلاح والامتعة واحرق جانباً من شحيم وانثنى راجعاً. وكثيرون منه حضروا الى الحرب مشاة فرجعوا خيالة ولما اقبلوا على دير القمر راكبين خيل الدولة ولابسين قلابقهم وثيابهم توهموا ان عسكر البلاد انكسر وان المقبلين عليهم هم رجال الدولة . فخافوا واستعدوا. حتى سبق اليهم اناس وبشروا بالانتصار فقامت الافراح ودارت البشائر في جميع البلاد وكان ذلك في اول شهر آذار .

ولما بلغ الجزار ذلك استشاط غضباً وكتب الى قره محمد وبقية اغوات العسكر يشددهم على الرجوع والثبات واضاف اليهم رجالاً كثيرة وامدهم بذخائر واموال وخيول واسلحة . فنهضوا يطلبون دير القمر. وكان ذلك في ثاني عشر شهر ادار. ولما وصلوا الى قرية عنبال كان فيها قوم من رجال البلاد . فثاروا في وجههم وانتشب القتال بينهم . وكانت رجال البلاد قلائل . فظفرت بهم رجال الدولة وقتلت منهم انفاراً وهرب من سلم منهم الى دير القمر . وامتد الصوت في المناصف والشوف فركب الامير حيدر والامير قعدان وبقية المناصب ورجالهم وتقاطرت الرجال من القرى المجاورة . وكان الشيخ قاسم جنبلاط في كبسة شحيم مع عسكر البلاد . فلما وصل الى هناك خان واعتزل عن العسكر وانحاز الى الامير بشير في عانوت ولما ركبت الدولة هذه المرة على

الدير كان الشيخ بشير ابن الشيخ قاسم جنبلاط في نبع الحمام ومعه جماعة من رجال الشوف . فترك اباه ومضى برجاله الى نصرة البلاد . والتقى الجميع في عنبال ورجع الذين انهزموا من الموقعة . واحاطوا بعسكر الدولة وقامت الحرب بينهم على قدم وساق وعلا ضجيجهم في ذلك الوادي وغطاه دخان البارود وكانت رجال البلاد لا تزال متتابعة عليهم ولما رأت الدولة ذلك الهول طلبت الفرار فلم تتمكن منه حتى قتل منها جانب عظيم . فتبددت في تلك القفار وقتل من اهل البلاد رجال قلايل وعادوا بالظفر والغناء .

وعلم بذلك احمد باشا الجزار فوقع من قلبه موقعاً عظيماً وارسل يدعو الملا اسماعيل من السلطان ابرهيم ووعده بكل جميل فحضر الى عانوت ومعه الف واربعمئة فارس واجتمع بالقره محمد وبقية الاغوات واجمع رأيهم على ان يرجعوا الى الجبل ويجعلوها وقعة الانتصار وركب العسكر باسره يطلبون دير القمر . ولما وصلوا الى السمقانية اقبل عليهم عسكر البلاد ولم يكن كفوءاً لهم فكسروه وقتلوا كثيراً منه . وتداعت الرجال من كل جانب وبادرت الى نجدة قومها وكان اول من وصل الى هناك الشيخ جهجاه العماد ومعه رجال قليلة وكان شجاعاً في الحرب فصدم عسكر الدولة وقاتله قتالاً شديداً وثبت معه من بقي من رجال البلاد الى ان تكاثرت الرجال واشتبك كل فريق على صاحبه وكان المكان سهلاً تجول فيه الخيل فكادت ان تكون الدائرة على اهل البلاد لان اكثرهم رجالة لا طاقة لهم على معاركة الخيل الا انهم كانوا قد تعودوا قتال الدولة وهان امرها عليهم فتجلدوا وكان فيهم رجال اشداء. فتخاضوا بين العسكرين والقوا بانفسهم على الدولة وتشددت اصحابهم وكافحوا اشد الكفاح فكانوا هم الغالبين وانهزمت الدولة من بين ايديهم . فساروا في آثارها واعملوا في اقفيتها السلاح . وقتل في ذلك اليوم خلق كثير من الفريقين. وكانت هذه آخر الوقائع بين الدولة واهل البلاد . وبعد انصراف الدولة تشاورت مناصب البلاد واتفقت على كبس الدولة في عانوت كما فعلوا في شحيم واستعدوا للركوب . وبينما هم كذلك امطرتهم السماء مطراً غزيراً طويلاً فامتنعوا به عن المسير . وفي اثناء ذلك تحدثت رجال الدولة في امرهم ورأوا انهم لا يقدرون على اخذ البلاد لشدة رجاله وكثرتهم وانه قد قتل منهم كثير

ولم يظفروا بطائل فاخذوا الامير بشير والشيخ قاسم جنبلاط ونزلوا الى عكا واعتذروا الى الوزير بان طرق الجبل عسرة ورجاله كثيرون فلا يمكن ان يؤخذ بالغلبة . وقيل انه قتل في تلك الوقائع مقدار ثلاثة آلاف من الدولة وخمسة من اهل البلاد .

ولما رأى الجزار انه لا يقدر على البلاد اراد ان يتلافى الامر بالتي هي احسن . فارسل يطلب الشيخ عبدالله القاضي ليكون واسطة بينه وبين الامير حيدر والامير قعدان ويرسل اليهما خلعة الولاية عن يده ويأمر بفتح صيدا وبيروت قبل خروجه الى الحج . فاحتسب الشيخ عبدالله من مواجهة الجزار لما يعلمه من فعله بالشيخ محمد كما مر . فارسل الامير حيدر والامير قعدان عوض الشيخ عبدالله ثلاثة انفار من عقال البلاد وعقلانها . فواجهوا احمد باشا الجزار وطلب منهم مبلغاً عظيماً من المال بدعواه انه صرف على العساكر اموالاً كثيرة . فقالوا ان نفقة العساكر لا بد منها في الحرب والسلام لانها مقيمة ببابه . واهل البلاد افتقروا من ظلم الامير بشير الذي لم يترك لهم عقالاً . واذا طلب منهم مالاً لا طاقة لهم به فانهم ينهضون على الوالي كما نهضوا على من ولاه . واخيراً صار الاتفاق على مئة الف غرش واخرج الخلعة للامير حيدر والامير قعدان . ودارت البشائر في البلاد وقامت الافراح في جميع الجهات وامر الجزار بالترسيم على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ قاسم جنبلاط وابقاهم في عكا الى ان يعود من الحج . وامر برفع اليسق عن صيدا وبيروت واطلق السبيل . وكان مع الامير بشير جدعون آغا الترك . فهرب والتجأ الى الامير حيدر والامير قعدان فقبلاه ، ثم قبضا عليه وطلبا منه حساباً وحصّلا منه اموالاً كثيرة عن محاسبات للامير بشير واطلقاه ومضى على ذلك مدة طويلة فبلغهما انه يكاتب الامير بشير إخباراً وانذاراً ويدعو اليه الناس من مناصب البلاد ويتخذ بينهم وسائل . فقبضا عليه وشنقاه . وقد ذكرنا ان رسل البلاد كانوا قد تعهدوا للجزار بمئة الف غرش من الامير حيدر والامير قعدان. ولم يكن في ايديهما مال . فطلب المال السلطاني من البلاد وزادا عليه نصف مال ورتبا على كل من يعطي الجزية درهمين فما دون حتى الرهبان وجما تلك الاموال ودفعاها الى خزينة الجزار وارتضت الناس بذلك

وعدته سهلًا بالنسبة لظلم الامير بشير ومطاليبه السابق ذكرها .

حريق في دمشق

وفي سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢) حدث حريق في دمشق الشام وكان عظيماً جدًا. واتفق انه كان في الليل فاحترق به كثير من القواسير والخانات والمخازن والدور واتلف كثيرًا من الاثاث والامتعة والبضائع . وارتجت المدينة بقسرها وكان الصياح في جميع اقطارها وبادرت الناس لتطفئة الحريق بالماء والتراب . واقبل متسلم البلد واتباعه فقالت الناس تلك غيرة منه على عباد الله . فاذا به قد اخذ يضبط ما سلم من الحريق زاعماً انه يحق له . وكان ذلك في فصل الشتاء .

وفي هذه السنة تسلم الامير جهجاه الحرفوش حكم بلاد بعلبك من يد احمد باشا الجزار تحت ايراد خمسة آلاف غرش لا غير .

وبها في اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز حدث مطر عظيم حتى جرت السواقي . وتفاءلت الناس من هذا الامر النادر الوقوع .

وفي الخامس والعشرين من شهر آب كسفت الشمس بعد الظهر بساعتين ونصف واستمر الكسوف اكثر من ساعة .

غلاء ومجاعة

وفي هذه السنة اشتد الغلاء الذي كان ابتدأ من العام الماضي وعظم جدًا. فارتفعت الاسعار كثيرًا حتى صار كيس الحنطة يباع بثلاثين غرشًا وما زال الامر يشتد حتى نفد القوت وكان رطل الدقيق يباع بشجرة من الزيتون . وقد مات كثيرون من الجوع وغيرهم كانوا يقتاتون من عشب البرية كالبهائم وتمضي عليهم ايام لا يأكلون خبزًا ولا طعامًا . فتغيّرت الوانهم وهيأتهم وفسدت امزجة البعض منهم فمرضوا وماتوا . ويحكى ان رجلًا من الشويفات كان يقال له طنوس الدقق غلب عليه الجوع حتى اشرف على الهلاك وكان له بنية خماسية فحدثته نفسه ان يأكلها . فقال لامرأته : اننا لا ننال طعامًا فلعلنا نقتات بالماء . فاخذت الجرة تملأها من العين ودعا بابنته فاخذ بيديها وحاول ان يذبحها

فامتنعت منه وكانت قد سقطت قوته من شدة الجوع فلم يقدر ان يضبطها ولم يتمالك ان يذبحها . فانجرحت في عنقها . وبينما هما كذلك اقبلت المرأة فرأتها على هذه الحال فضربته بالجرة فانصرع واخذت البنت وشدت جرحها وهربت بها الى بيوت الجيران . فخجل الرجل بعد ذلك وندم ولم يسعه الجلوس في بيته . فهام على وجهه الى ان دخل بيت رجل من جيرانه يقال له نمر البريدي . فجلس ساعة حتى بدت له فرصة . وكان في البيت اناء من اللحم المقدد فاختلسه وخرج به حتى اصاب مكاناً مستتراً تحت جدار فجلس يأكل حتى شبع فمات . وافتقدته زوجته تلك الليلة فلم يرجع واخبرها رجل انه رآه ميتاً تحت الجدار ولديه اناء من اللحم قد بقيت فضلة منه . فبكت وقالت خاف ان يموت جوعاً فمات شبعاً . . وكان الذي ضاعف الغلاء ان الجزار امر باليسق على الغلات في صيدا وبيروت لان الامير بشير كان دفع له مبلغاً جزيلاً من المال على حكم البلاد فارسل الجزار يطلب ذلك المال من الامير حيدر والامير قعدان او يسلم الحكم الى الامير بشير . فاعتذرا عن دفعه واراد مضايقة البلاد فامر باليسق ومنع نفوذ الغلات الى البلاد من جميع الجهات براً وبحراً . فتضايقت الناس اشد الضيق وباعوا كل عزيز بثمن بخس ليعتاشوا به .

وبينما هم في ذلك الضيق الشديد حدث الوبا . وكان عظيماً لم يحدث مثله في هذه البلاد . وامتد في كل جانب من القدس الشريف الى حلب الشهبا . واهلك اناساً لا يحصى عددها الا الله ولا سيما في بلاد بعلبك والبقاع وبلاد حمص . وابيات كثيرة غلقت ابوابها ولم يبق احد من اهلها ولم يكن يخلو مكان منه حيث توجد الناس .

جرجس باز واولاد الامير يوسف

وفي هذه السنة كان جرجس باز من ديرالقمر ابن اخت الشيخ سعد الخوري عند اولاد الامير يوسف وكان من خواصهم المقربين وكانوا يومئذ في سن الصبوة . فتسلم جميع امورهم وضمن لهم حكم بلاد جبيل من الامير حيدر والامير قعدان ودفع لهما ستين الف غرش واخرج لهم خلعة الولاية من والي طرابلس على عادتها . فقاموا الى مدينة جبيل واقاموا بها وصارت بلاد جبيل

وكل ما يليها في يد جرجس باز وتصريفه وشرع من هناك في مكاتبة الامراء والمشايخ يستميلهم الى مواليه وفتح يده بالعطايا والهبات وكان من كرم النفس ومكارم الاخلاق على جانب عظيم . فمالت اليه الناس ورغبت في صحبته وقد ظهر ان حكم الامير حيدر والامير قعدان كان في يد اهل البلاد والجزار ارتضى به اخيراً عن عجز منه فلم يكن لهما مزازر في البلاد كغيرهما من الولاة. ولما تظاهر جرجس باز بالدعوة الى اولاد الامير يوسف مالت الناس اليهم واستهانت بهما حتى لم يكن لهما استطاعة على تحصيل الاموال السلطانية . فانصرف عزمهما عن الولاية وارتضيا بولاية اولاد الامير يوسف كما ارتضى اهل البلاد . وتقدم الاعراض الى احمد باشا الجزار بذلك ودفع له جرجس باز مبلغاً عظيماً من المال . فاجاب وارسل خلعة الولاية للامراء اولاد الامير يوسف وحضروا الى دير القمر واقاموا هناك وكان ذلك في شهر آذار . وتنحى الامير حيدر والامير قعدان عن الحكم واضحت الولاية في يد اولاد الامير يوسف بالاسم وفي يد جرجس باز بالعمل لانهم كانوا صبياناً كما مر وكان جرجس باز متصرفاً في جميع امورهم ومهماتهم لا يسأل عما يفعل . وكان بعض المشايخ بني جنبلاط يميلون الى اولاد الامير يوسف وبعضهم الى الامير بشير وكان حزب الامير بشير اقوى من اولئك واطول يداً . ولكنهم خافوا من اولاد الامير يوسف ان يقووا اولاد عمهم عليهم ويقيموهم ضداً لهم فقاموا عليهم بغتة وتناوهم . وحدث لذلك شغب واضطراب عظيم ونهضت اولاد الامير يوسف على القاتلين . فاضطروا ان تركوا مواطنهم ونزحوا نحو وادي التيم فاجروا عليهم القصاص في بساتينهم ومنازلهم . وكان هذا الصنيع بتدبير الشيخ قاسم جنبلاط الذي كان يومئذ لم يزل في عكا مع الامير بشير . وتعاطى جرجس باز ومواليه امور الولاية. وطابت لهم الايام ولم يكن من يقاومهم في جميع البلاد.

موقعة العبادية

وفي سنة ١٢٠٨ (١٧٩٣) حدث خصام بين الامير جهجاه الحرفوش واولاد عمه في بلاد بعلبك واقتتلوا فظفر بهم الامير جهجاه وقبض على اثنين منهم فقتل الواحد واعمى الاخر .

وفي هذه السنة لما كان اكثر مناصب هذه البلاد لا يثبتون على عهد ولا يستقرون على رأي نهض البعض منهم ضد اولاد الامير يوسف ورجوع الامير بشير مكانهم واتفق رأي الاكثرين على ذلك وكتبوا الى احمد باشا الجزار وطلبوا الامير بشير . وكان الجزار يومئذ قد رجع من الحج فاجاب سؤالهم وانعم على الامير بشير بخلعة الولاية واصحبه بعسكر عظيم من رجال الدولة وحضر معه الشيخ بشير جنبلاط الذي كان من اكبر اضداد اولاد الامير يوسف . ولما وصل خبر قدوم الامير بشير الى البلاد توجهت اكثر المناصب لملاقاته . وقام جرجس باز باولاد الامير يوسف الى جبيل واكثر اهل الدير تركوا مواطنهم وارتحلوا والمشايخ النكدية اخلوا منازلهم وتشتتوا في البلاد ودخل الامير بشير واخوه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط واخوه الشيخ حسن مع عسكر الدولة الى البلاد ونزل في عاليه من قرى الغرب الاعلى وارتجت منه البلاد . فاقام هناك ثمانية ايام ونزل الى حرش بيروت واقام هناك مقدار اربعين يوماً . وكانت الناس تتوارد اليه وتقدم له التهانئ والهدايا وكان العسكر الذي معه حيثما مر او نزل يتطاول على كل ما يجده من اموال البلاد ومواشيها وفي اثناء ذلك ارسل الحوالات بطلب اموال وذخائر من الغرب والمتن وكسروان . فنهض بعض طوائف ضده وطردوا الحوالات بغير اذن امرائهم . وكان الامير منصور مراد يميل الى الامير بشير فلما رأى عزم الطوائف استمال اليه بعض المناصب وارباب الكلام وعزم ان يدخل الامير بشير مع العسكر الى المتن وراسل الامير بشير بذلك فركب العسكر وتوجه نحو المتن حتى وصل الى العبادية في اول قرى المتن فالتقاه اهلها ومن يجاورهم في تلك القرى وارادوا ان يمنعوه عن الدخول الى المتن . فقاتلهم واستظهر عليهم وقتل منهم انفاراً . فولوا هاربين . وهجم العسكر على العبادية فنهبها وسبى نساءها . وكان فيها ودائع كثيرة لاهل الشوف والغرب من دراهم وحرير وحلى وامتعة ومختلفات شتى لانه لم يخطر في بالهم ان العسكر يتصل الى هناك . ونهض الامير بشير من هناك الى رأس المتن حتى وصل اليها ونزل بها وكان في مروره ينهب العسكر كل ما يصادفه . وكان دخول العسكر الى المتن بغتة فلم يكن للناس فرصة ان يودعوا اموالهم . فكان الذي نهبه العسكر من المتن اكثر

من الذي سلبه الامير بشير منها في حكمه اضافاً . واقام الامير بشير في رأس المتن بالعسكر . وكان ينوف عن خمسة آلاف . وكان معه اثني عشر مدفعاً وكان يأمر باطلاقها كل ليلة وقت العشاء فترتج منها البلاد . واخذ بعد ذلك يوزع الحوالات بطلب الاموال والذخائر وارسل المباشرين الى جميع دور المناصب واديرة الرهبان يفتشون على ودائع اولاد الامير يوسف والمشايخ النكدية . وحيثما وجدوا شيئاً من ذلك يضبطونه . وشاع الخبر ان الامير بشير يريد ان يتحول الى بلاد جبيل ولكن لم تعلم الناس من اية جهة يكون مروره . فكنت ترى اهل الساحل ينقلون امتعتهم الى الجبل خوفاً من مروره عليهم فيفعل العسكر كما فعل في مروره من المبادية الى رأس المتن واهل الجبل ينقلون حوائجهم الى الساحل واهل الضيع الى المزارع واهل المزارع الى الضيع ولا احد يعلم كيف يتم الامر . وما زالوا كذلك مدة اقامته في الرأس وقلع العسكر اكثر اشجار الرأس وما يجاورها واشعله حطباً فضلاً عن الامتعة والمواشي .

وفي ذلك الوقت عقد بعض اهل المتن رأياً وعولوا على طرد الامير بشير من البلاد وتعاهدوا مع بعضهم وكتبوا الى الامير حسين ابن الامير يوسف في جبيل واستدعوه اليهم فركب الامير حسين بعسكر من نواحي بلاد جبيل وجمع في مروره رجال كسروان وقاطع المتن . واقبل نحو المتن حتى وصل الى بعبدات فارسل علماً الى الامراء والطوائف الذين استدعوه . واستدعاهم الى المبادرة نحوه لكي يهجموا معاً على عسكر الدولة . وكان قد اختلف عزمهم بعد ارسالهم اليه فلم يحضر احد منهم . فرجع الامير حسين الى حيث اتى وتفرقت الرجال التي جمعها وازداد خوف الناس من الامير بشير .

وفي اثناء ذلك توفي الشيخ قاسم جنبلاط في عكا فارسل احمد باشا الجزار يطلب ابنه الشيخ بشير ان يحضر اليه . فلم يجسر على النزول الى عكا فاعتذر اليه . وارسل الجزار الى الامير بشير وقائد العسكر الذي معه ان ينزلا من راس المتن ويقيما في حرش بيروت . فنزلا واقاما هناك . وبعد قليل من الايام ارسل الى قائد العسكر ومتسلم بيروت ان يقبضا على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط وفارس ناصيف الذي كان متسلماً باب الامير بشير

ويرسلوهم الى عكا . وكانوا يومئذ في المدينة . فقبضا عليهم وارسلاهم الى عكا في البحر . وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر آدار .

وفي صباح ذلك اليوم حدث في الحرش خصومة بين المغاربة والدالاتية . وكانت الارناؤط من غرض الدالاتية فانتصروا على المغاربة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى كادوا يفنوهم عن آخرهم. وعلى هذا المنوال تبددت العساكر وشاع الخبر في البلاد وهربت حوالات الامير بشير واستبشرت الناس بالفرج. وكانت اقامته في البلاد تلك النوبة مقدار اربعة اشهر . وفي وصوله الى عكا امر الجزار بالبيت عليه وعلى اخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط وفارس ناصيف. وبقي حكم البلاد سائباً من غير حاكم مدة وجيزة الى ان عرض جرجس باز الى الجزار وطلب منه الخلعة لموالية اولاد الامير يوسف . فاجاب الجزار وانعم بالخلعة عليهم . وقاموا من جبيل الى دير القمر وتقدمت لهم التهاني من جميع البلاد ووزعوا المال السلطاني مضاعفاً . وكان مؤازراً لهم الشيخ بشير نكد والشيخ عبدالله القاضي وارسل جرجس باز الى الجزار مئة الف غرش وارسل اخاه عبد الاحد يقيم في عكا بمنزلة رهن على دفع بقية المال الذي تعهد به . وكان قبل ان يقبض الوزير على الامير بشير واصحابه ارسل الامير بشير قبض على رجل مذنب من اهل ذرعون احدى قرى المتن وسلمه الى متسلم بيروت فامر بقتله. وبعد اخذ الامير بشير الى عكا اراد اهل القتيل ان يأخذوا بثأره فنزل منهم اناس الى نواحي المدينة . فصادفوا رجلاً مسلماً فقتلوه وهربوا . وشاع الخبر في المدينة فخرجت الناس في طلبهم فلم يدركوهم فرجعوا الى المدينة وهم في حدة الغضب فقتلوا كل من كان فيها من اهل الجبل وكانوا مقدار مئة نفر اكثرهم نصارى . وكان القاتلون دروزاً .

وفي ١٢٠٩ (١٧٩٤) ارسل احمد باشا الجزار عسكراً من رجال الدولة الى بعلبك يريد القبض على الامير جهجاه الحرفوش. وكان الامير جهجاه لا يزال على حذر من طوارق الايام كما مر . فعلم بذلك قبل وصول العسكر. وهرب فلم يدركوه . وكان قبل خروجه من بعلبك نادى في اهلها بالرحيل فرحل اكثرهم. وادرك العسكر فارس مسلم فقتلوه وكان من خواص الامير جهجاه.

عبد الله باشا العظم

وفي سنة ١٢١٠ (١٧٩٥) عند رجوع احمد باشا الجزار من الحج اتته العزلة عن دمشق الشام وتولاها عبدالله باشا العظم وارسل خلعة ولاية بلاد بعلبك الى الامير جهجاه الحرفوش فتولى على احسن سبيل . وبعد وصول الجزار الى عكا انعم على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط واخرجهم من الحبس بعد ان كان لهم مقدار سنة في الاعتقال . وولى الامير بشير على حكم الجبل والبسه خلعة الولاية وارسل معه عسكرًا الى دير القمر . وكان جرجس باز في الدير مع مواليه اولاد الامير يوسف فتزحوا الى جبيل ومضت معهم المشايخ النكدية وبعض مناصب البلاد . وارتجت البلاد من دخول الامير بشير واضطربت خوفاً ورحل بعض اهلها وتوجه الامير بشير بالعسكر في طلب اولاد الامير يوسف واصحابهم فاحتموا في طرابلس وطلب الامير بشير من متسلم طرابلس ان لا يقبلهم عنده فلم يجبه الى ذلك ورجع العسكر واقام في جبيل مع الامير حسن . وكان في رجوعه قد مر على بعض قرى واديرة فنبهها . ورجع الامير بشير الى دير القمر وارسل ضبط املاك الامراء اولاد الامير يوسف وامر بقصاص كل من كان معهم وهدم منازل مشايخ النكدية في الدير اساً على اس . وكان ارباب الكلام في دولته الشيخ بشير جنبلاط والشيخ جهجاه العماد والشيخ احمد القاضي والشيخ نجم العقيلي . فاتفقوا على قتل بني عبد الصمد من عين ماطور . وتلافوهم حتى استأمنوا . فغدروا بهم وقتلوا منهم سبعة انفار وقبضوا على جماعة منهم . وكان الوزير قد ابقى عنده على سبيل الرهينة زوجة الامير بشير وولديه الامير قاسم والامير خليل وابن اخيه الامير ابرهيم وزوجة الشيخ بشير جنبلاط . وارسل الامير بشير يطلب دراهم من اهل البلاد يرضي الوزير ويطلق اولاده ومن معهم هناك وجمع مالاً جزيلاً وارسل الى الجزار دفعة من المطلوب . فاطلق له زوجته واحد ولديه وابقى الاخرين تحت البقية . وما زال الامير بشير موزعاً الحوالات في البلاد يطلب المال لانه كان قد تعهد للجزار بان يدفع له كل شهر خمسة وعشرين الف غرش وكان يطلب منه نفقة عسكر ومنافع لاصحابه وكان الطلب كثيرًا متصلاً . وكان

المطلوب من اهل كسروان وهي اصغر المقاطعات خمسين الف غرش . وبعد الشفاعات والوسائل ترك لهم خمسة الاف واخذ البقية . وكان اكثر الطلب والظلم على النصارى لانه كان يراعي الدروز بعض المراعاة احتساباً منهم اي من قيامهم عليه .

وفي ذلك الوقت اتفق ان الامير منصور مراد حضر من المتين الى دير القمر لمواجهة الامير بشير . ولما اراد الانصراف منعه الامير بشير وقيل انه رسم عليه بامر الجزار وبلغ الخبر الى المتن فاحتسب اهلها من ذلك ثم ان الامير منصور صنع حيلة وهرب ليلاً مع نائبه ناصيف الحويس ماشين وتركا جواديهما في الدير وصار فرح عظيم في جميع المتن وامر الامير منصور اهل المتين واهل بسكنتا ان يقيموا نساءهم واولادهم وانتقالهم الى مكان آخر ولا يبقى منهم الا رجال الحرب . ففعلوا وارسل الامير بشير حوالة على الامير منصور يطلب جانب من المال . ورأى الامير منصور ان بني عمه لا ينهضون معه فقبل الحوالة واكرمهم وتوسط امره بعض المناصب واصلحوا بينه وبين الامير بشير وصفا خاطره عليه .

الجزار وقلعة سانور

واما اولاد الامير يوسف فكانوا لم يزالوا في طرابلس . وكان الوزير في الجردة . فلما حضر طلبوا منه الاسعاف وجمعوا العساكر بامداده وعزموا على غزو الامير حسن والعسكر الذي معه في جبيل . وبلغ الخبر الى الامير بشير فارسل نجدة الى اخيه . وكذلك الجزار ارسل نجدة في البحر ونهضوا جميعاً من جبيل وخرجوا الى ملاقاة عسكر طرابلس فانهزم من غير قتال ورجع اولاد الامير يوسف نحو بلاد عكار . ورجع اكثر اصحابهم الى البلاد وطلبوا رضى الامير بشير . فعفا عنهم وطاب له الحكم في تلك الايام .

وفي هذه السنة لما زالت ولاية دمشق عن احمد باشا الجزار رفع الحرب عن الشيخ يوسف الجرار صاحب قلعة سانور التي بالقرب من جبل نابلس . وهي قلعة عظيمة حصينة على جبل لا تسلك اليه الخيل الا على طريق واحد عسر . وكان الجزار قد حاصرها مقدار سبع سنوات ولم يقدر عليها . وكان كل سنة يجدد الركبة عليها مرتين وثلاثة ولم يظفر منها بطائل . وعزم في بعض تلك

السنين على بناء قلعة بازائها . فاحضر اهل الصناعة وشرعوا في البناء . فخرجت رجال الشيخ يوسف الجرار ليلاً وهجموا على العسكر والعاملين معه في ذلك البناء . فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وهرب من سلم منهم فتبعوه الى ابعد مكان وقتلوا من ادركوه ورجعوا فهدموا ما كان قد قام من البناء ، وعادوا الى القلعة . وفي نوبة اخرى امر الجزار ان يفتحوا خليجاً في الارض تحت القلعة فيهدموها بالبارود . فاحتفروا سرباً تحت الارض ولم يقدر الشيخ يوسف ان يمنعهم حتى قربوا من ارض القلعة . فاخرج اناساً يجلسون فوقهم ويضربون بالمطارق والحجارة على الارض في النهار والليل . ولما سمعوا اولئك من تحتهم توهموا انهم صاروا تحت القلعة وان ذلك وقع حوافر الخيل واعمال الخدم فلم يتقدموا . ووضعوا هناك صناديق شتى من البارود ورتبوها حسب صناعتهم والقوا عليها النار فاشتعل البارود وزعزع تلك الارض وحمل صخوراً عظيمة وقطعاً من ذلك الجبل . فوقعت على العسكر فقتلت منه خلقاً كثيراً وطلب الباقون الفرار . فخرجت اليهم اصحاب الجرار وقتلوا من ادركوه منهم واغتنموا كل ما كان معهم من ذخائر واموال وآلات فتقووا بها وعادوا الى القلعة . فغضب الجزار على الحفارين وقتلهم جميعاً . وجدد الركبة على القلعة . وما زال ينفق الاموال ويهلك العساكر ولا يظفر بمراده حتى زالت عنه ولاية دمشق وتولاها عبدالله باشا فتقدم له الشيخ يوسف الجرار التقادم الفاخرة ودفع له الاموال السلطانية المعتادة . فارسل اليه خلعة الولاية على جبل نابلس . ولم يعد سبيل للجزار عليه .

وفي هذه السنة اتفقت امرأة من زحلة مع رجل على ان يقتل زوجها ويتزوج بها . فاتى الرجل ليلاً . وقام هو والمرأة على زوجها فقتلاه وحملاه على دابة ومضى به الى بعض الغواب فالقاه هناك ورجع . ليقال انه قتل في الغابة فلا يتهم بقتله . وكان اهل القتيل ينكرون على قاتله انه يتردد على بيته ولا يحسنون الظن فيه . فلما فقدوا نسيبهم سعوا في طلبه فلم يجدوه وسألوا المرأة فقالت لا ادري الى اين مضى ورأوها غير مبالية بامره فقبضوا عليها وعذبوها فاقرت بما كان . فارسل الامير مراد ابن الامير شديد ابي اللمع فقتل الرجل والمرأة .

موقعة جبيل

وفي سنة ١٢١١ (١٧٩٦) جدد جرجس باز واولاد الامير يوسف ركبة ثانية على جبيل واستنجد والي طرابلس ايضاً واستغاث بمحمد بك الاسعد صاحب عكار وجمعوا عسكراً من معاملة طرابلس وعكار ينوف عن خمسة آلاف محارب واقبلوا نحو مدينة جبيل . فخرج الى لقائهم الامير حسن ومن معه من عسكر الجزار وكانوا قلائل . فثارت بينهم الحرب . ولما اشتد القتال خان محمد بك الاسعد وتقهقر باصحابه الى الوراء. فانكسر العسكر جميعه وقتل منه اكثر من ستين نفراً. ورجعوا الى نواحي طرابلس. ورأى جرجس باز ان لا سبيل له الى اخذ البلاد الا باهل البلاد فوقعت المراسلة بينه وبين امراء المتن وصار الاتفاق على حضور الامراء الى ارض البقاع . فحضروا . وارسلوا يستغيثون بعبدالله باشا والي دمشق. فارسل اليهم الملا اسماعيل بعسكر من وجاق الدالاتية . وحضرت الامراء الى زحلة . واخذ عسكر الدولة ينهب قرى المشايخ بني جنبلاط . وكان الامير بشير ارسل يخبر الجزار بذلك والقى النفير في البلاد فجمع عسكراً واتاه عسكر من عند الجزار . وساروا جميعاً الى قتال الملا اسماعيل . فكسروه وقتلوا جماعة من رجاله . فرجع الى دمشق الشام وتبعه الامراء باصحابهم الى هناك. وفي اثناء ذلك توسطت امراء المتن والشيخ عبدالله القاضي والمشايخ النكدية واصلحوا بينهم وبين الامير بشير . فاستأمنوا وحضروا الى دير القمر وواجهوا الامير وخلع عليهم وطيب قلوبهم واقاموا في منازلهم الى حين . فغدر بهم وقتلهم . وقيل انه وقع على كتابات منهم ضده . وكان الذين قتلوا في السراي الشيخ بشير واخوته الشيخ واكد والشيخ سيد احمد والشيخ قاسم والشيخ مراد . والذين قبضوا عليهم وقتلوهم فيما بعد اولاد الشيخ بشير الشيخ علي والشيخ جهجاه والشيخ سعد الدين والشيخ كليب وابن الشيخ واكد. وكان قتلهم عن يد المشايخ بني جنبلاط وبني العماد . ولما قضوا عليهم ارسلوا حالاً الى كل البلاد يطلبون من بقي منهم عازمين ان يمحوا ذكرهم عن وجه الارض . فلم يظفروا بهم وبقي منهم ستة عشر ذكراً رجالاً وصبياناً . وكان اكبرهم الشيخ سلمان . فهربوا الى اراضي دمشق وانضموا الى اولاد

الامير يوسف واحتموا هناك . واقاموا مدة من الزمان فضاق ما في ايديهم ورأوا ان الفرج بعيد فراسلوا احمد باشا الجزار وطلبوا منه الامان . فاجابهم بالرضى والقبول ودعاهم اليه . فحضروا جميعهم فاكرمهم وطيب قلوبهم وقرض لهم نفقات كافية واقاموا عنده مستأمنين . وبعد حين من الدهر حضر منهم اناس الى صيدا ينتظرون ما يكون من تصاريف الايام . وكان الامير بشير قد ضبط املاكهم واملاك اولاد الامير يوسف ووزع بعضها على المشايخ الجنبلاطية والعمادية والبعض من بني عمه وكان قد تعهد للجزار بثمانية آلاف غرش مقسطة على ست عشرة سنة . فرأى ان محاصل البلاد لا تفي بذلك فجمع من البلاد المال السلطاني طاقاً ونصف طاق وفي آخر السنة فرض شاشية على كل رجل ثلاثة غروش من الدروز والنصارى خلا العقال والرهبان . فاوردت الناس لكن اهل القرى صاروا يحسبون انفسهم اقل عدداً مما هم . فاقام الطلب على كل مكان بحسب كثرة اهله وقلتهم من غير اعتبار العدد على شرط التأجيل الى ست عشرة سنة . ودام ذلك الى ان فات الاجل فجعله مالاً سلطانياً يستورد كل عام . ثم زاد عليه طاقاً فطاقاً حتى صار ستة اضعاف . وهو الى يومنا هذا كذلك . والعوذ بالله من الزيادة ايضاً .

وفي هذه السنة بعد غياب الشمس بساعتين ظهر في السماء شهاب من نار عظيم جداً مخالفاً لهيئة الشهب المعتادة . فاضاء منه الوجود مقدار مدة صلاة الفاتحة . وكان منظراً هائلاً متجهاً من ناحية القبلة الى ناحية الشمال . وتفاءلت[1] الناس منه . وكان ثمن كيل الحنطة في ايام البيادر من ستة غروش الى سبعة ثم تناقص فرجع الى الخمسة .

وفي هذه السنة اتى جراد من جهة القبلة وكان كثيراً جداً . فمر بسواحل البحر وباض هناك ثم تولد . وكان عاماً من بلاد صفد الى طرابلس . ولما صار يزحف توجه نحو المشرق وامتد في كل البلاد وانتهى الى الجرد وبلاد البقاع وبعلبك . واتلف غراساً واشجاراً لا تقدير لها . وعطل اعمال الناس لاشتغالهم بتحويله عن ارضهم . ولما نبتت اجنحته وصار يطير اتاه الله بطائر السمرمر فنفاه وافناه . وكان ذلك في آخر شهر حزيران . وكان قبل ذلك لم يترك

[1] تفاءلت الناس . يقصد « تشاءمت » وخافت .

في جميع الاراضي التي مر بها نباتاً اخضر قط ، الا غصناً دقيقاً من الدفلة على جانب نهر الصفا كان يجتمع عليه فيلوي الى الماء .

الافرنسيون في مصر

وفي سنة ١٢١٢ (١٧٩٧) اقبلت العساكر الفرنساوية نحو الديار المصرية فتحوا مدينة الاسكندرية ومصر القاهرة . واقبلوا نحو غزة ويافا وبلغوا عكا فحاصروها ومسك احمد باشا الجزار طريق البحر فكان يضبط كل ما يجده من السفن وامر باخراج النصارى من الاساكل البحرية واستعد لحرب الافرنج استعداداً بليغاً وذاقت نصارى المدن تلك السنة البلاء الشديد .

وفي هذه السنة توفي الامير سيد احمد اخو الامير يوسف الشهاب في حدث بيروت . وكان الجزار قد غضب على الامير بشير واراد ان يخلعه من الولاية وينصب مكانه اولاد الامير يوسف . فاوسلوا يبشرون عمهم بذلك . ولما وصل المبشر الى دار الامير سيد احمد اراد ان يخرج لمواجهته ، وكان قد افقد بصره اخوه الامير يوسف كما مر . وكان في غرفته دون الباب مسطبة على ذراع فسقط منها فاغمي عليه ساعة . ورفعوه الى مضجعه فمات بذلك . وفي غد ذلك اليوم توفي ابنه الامير يوسف في الغرب الاعلى وكان مريضاً . وكان ذلك في شهر تشرين الثاني .

دراسات تاريخية ادبية

«الغزل في شعر مزيد الحلي الأسدي»

بقلم عارف تامر

...بالامس وعلى صفحات مجلتي « الاديب والحكمة » اللبنانيتين تحدثت عن شاعر عربي كبير طمست الايام على اثاره الادبية ، وفارس من الفرسان صال وجال في حلبة الشعر والادب ، وامير من الامراء العريقين تربع عـلى عرش القريض في عصر من عصور التاريخ ساده الاظلام والانحطاط . هذا الشاعر هو « الامير مزيد الحلي الاسدي » الذي قدمتـه يومئذ كشاعر مبرز سار في الطليعة وحاز قصب السبق ووصل الى الذروة ولم ازد على ذلك لان المصادر الشعرية لم تكن متوفرة لي انذاك لاستكمال الحديث وايفـاء الموضوع حقه وايراد الحوادث الثابتة والشواهد الدامغة والتوسع في البحث وطرق كافة الابواب والنواحي ذات الصلة المباشرة بحياة هذا الشاعر المبدع وعهده الادبي المشرق وفنه الشعري الاخاذ. وها اني اعود الآن بعد ان تعمقت بدراسته وعرفت كل شيء عنه لاتحدث عن موضوع هام يلعب دوراً رئيسياً في حياته الادبية ، ويلقي ضوءا مشعاً على نقطة حساسة مجهولة اكتنفها الاهمال والنسيان وهي : « الغزل في شعره » واني قبل ان ابدأ بالتحدث عن هذه الناحية الادبية الهامة لا بد لي من تقديم عرض تاريخي موجز عن الوضع السياسي في تلـك الفترة المضطربة المظلمة المغمورة التي عاش فيها «مزيد» وما كانت عليه بلادنا قبلها وبعدها معتبراً هذا العرض مقدمة للدخول في الموضوع الذي انا بصدده .

غير خاف على كل مهتم بالتاريخ الشرقي ومتتبع للدراسات الاسلامية ان منتصف القرن الرابع للهجرة المحمدية وما يليه كان عهداً عنيفـاً بحوادثه وتقلباته ومفاجئـاته ، مضطرباً اشد الاضطراب ويكاد يكون منعدماً من اي اثر لاثار الهدو. والاستقرار والاطمئنان ، فالرئاسة العليـا كانت موضع اخذ ورد تتنازعها دولتان كبيرتان يقوم على راس كل منها زعيم سياسي كبير

اتخذ لنفسه صفة دينية تلزمه بخلافة المسلمين واقامة الخطبة الدينية في المساجد والمعابد باسمه والزامه بكافات الامتيازات والصفات التي يتطلبها هذا المركز الخطير فالدولة الاولى كانت « العباسية » ومركز عاصمتها بغداد ، والثانية « الفاطمية » وعاصمتها القاهرة ، أمَّا الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت في كلتا الدولتين خلال تلك الفترة فتتلخص بما يلي :

انقسام خطير في الدولة العباسية بين القائم بالله العباسي الخليفة السادس والعشرين والقائد العام للجيوش العباسية « ابو الحارث ارسلان البساسيري » الملقب « بالمظفر » الذي يقال انه ينتسب الى امراء بني بويه الشيعيين واضطرار الخليفة العباسي للاستنجاد بالقائد السلجوقي التركي الاصل « طغرل بك » وفي هذه الاثناء يفد داعي دعاة الدولة الفاطمية « المؤيد في الدين » هبة الله الشيرازي او « لورنس الفاطميين » كما اسميه الى العراق للاتصال بالبساسيري وتشجيعه على ثورته ويضع تحت تصرفه جميع الامكانيات المادية والمعنوية التي تكفل له التغلب والانتصار على العباسيين وحمله على مواصلة القتال ثم اغراء القبائل العربية المجاورة على شق عصا الطاعة والثورة على نظام الحكم العباسي تحت تأثير الاموال الكثيرة والهدايا والخلع التي كان يغدقها المؤيد على الزعماء والشيوخ والامراء بلا عد او حساب، وفي هذه الفترة يستولي « ثمال بن صالح بن مرداس « تاج الامراء » على حلب ويباشر حرباً شعواء مع (منيع بن شبيب النميري) صاحب حران بشأن الرقة ، اما البيزنطيون والسلجوقيون فيوقعون معاهدة صداقة وتحالف تقضي بغزو املاك الدولة الفاطمية في الشام واعالي الجزيرة بينما ينضم الى جيش البساسيري بتوجيه المؤيد في الدين كل من الامير نور الدين بن دبيس بن مزيد امير بني مزيد الاسديين وصاحب (الحلة) العراقية وهو جد شاعرنا الكبير وقريش بن بدران العقيلي ، مضافاً الى كل ما ذكرناه نشوب معركة سنجار الكبرى ودخول جيوش البساسيري بغداد والموصل والكوفة وواسط واعلان الخطبة باسم الامام الفاطمي المستنصر بالله وقد ظلّت الخطبة قائمة ببغداد مدة تزيد على العشرة شهور ثم ضرب السكة باسمه وانشاد الاذان الفاطمي « حيَّ على خير العمل » ولقد اقصي ايضاً الخليفة العباسي القائم عن بغداد بعد ان وقع صك التنازل وانتزعت عمامته وشرفة من قصره وبردة النبي وارسلوا جميعهم الى القاهرة اشعاراً بالظفر ، وفي

هذه الاثناء يستخلص القائد الفاطمي « ابي علم بن ملهم الخويلدي » حلب من ثمال بن صالح بن مرداس ، واخيراً وبعد كل هذه الانتصارات يدب الانقسام في جيوش البساسيري الى شيع واحزاب وتذر الطائفية والعنصرية بقرنها معلنة الفتنة العمياء مما مهّد « لطغرل بك » الانتصار على البساسيري واجباره على الهرب ، اما المؤيد في الدين فقد عاد الى القاهرة فاشلا .

بينما كل هذا يجري في بغداد كان الاضطراب قد اخذ ينذر القاهرة مهدداً باوخم العواقب فتختل شؤون الوزارة ويتتالى الوزراء واحداً بعد واحد فمنهم من يمكث فيها شهوراً ومنهم من كانت مدة وزارته اياماً ومنهم من يمكث يوماً واحداً الى ان استدعى الامام الفاطمي المستنصر بالله « بدر الجمالي » وكان حاكماً عسكرياً في عكاء ونوض اليه جميع الامور ، وفي الوقت نفسه كانت امصار الفاطميين بافريقية تمتنع عن تأدية ما عليها من ضرائب وتعلن استقلالها لتعود الى طاعة العباسيين وتتحرك قبائل بني هلال وسليم العربية النجدية الاصل من مصر العليا نحو الغرب لتعيث فساداً في طرابلس وتونس مدة طويلة ويغشى النورمانديون صقلية وكانت من املاك الفاطميين،وفي الشام كانت الحالة في شبه فوضى والولاة والوزراء لا يكاد احدهم يستقر فيها حتى يخرج معزولا او مدحوراً والامور تزداد سوءاً واهل البلد احزاب يثورون بالولاة والقواد ثم تتأجج نار الفتنة ويثور اهل دمشق بامير الجيوش بدر الجمالي حاكم الشام فيضطر للخروج من قصر الامارة والنار تشتعل فيه وكان هـذا العمل بداية تشير الى زوال حكم الفاطميين عن الشام ، وفي هذه الفترة نفسها ايضاً يتم استيلاء « معلى بن حيدرة الكتامي » على دمشق ويضطر للهرب بعد ايام من دخوله بسبب الفتنة التي وقعت بينه وبين عساكر المدينة وتقطع ايضاً خطبة الفاطميين نهائياً من الشام ، كما ان القدس تفتح من قبل « اتسز بن اوق الخوارزمي » وهو احد امراء السلجوقيين ثم يظهر فشله عند محاولته فتح الشام ويبدأ الصليبيون زحفهم باتجاه القدس ويتم فتحهم لمعرة النعمان وانطاكية وتتم هزيمة الجيوش الفاطمية بقيادة « الافضل بن بدر الجمالي » بجوار بيت المقدس عائدة الى عسقلان ثم الى مصر ، واهم من كل ما ذكرناه وفاة الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله واندلاع الفتنة الكبرى بعده بين ولديه نزار والمستعلي بسبب الخلافة ثم محاصرة نزار والقائد افتكين في

مدينة الاسكندرية بعد هربها اليها من قبل الافضل بن بدر الجمالي امير الجيوش وخال المستعلي لجهة والدته وانقسام الاسماعيلية الى فريقين فريق النزارية وعاصمة ملكه «الموت[1]» في فارس وعليها « الحسن بن الصباح » ويؤلف اقطار العراق وسوريا والعجم، وفريق المستعلية وعليها « الافضل بن بدر الجمالي » ويؤلف مصر واليمن والهند، وتتمخض السنين فيستلم زعامة النزارية الاسماعيلية بعد نزار ولده « الحسن » ثم « محمد » وفي هذه الفترة الغامضة جداً يفد الى سوريا « راشد الدين سنان» شيخ الجبل ليتسلم شؤون رئاسة الدعوة الاسماعيلية في بلاد «قلاع الدعوة» وجبال السماق، ويترك امارة (حلّة بغداد) قاصداً بلدة « مصياف » السورية امير من امراء قبيلة بني اسد العربية التي كانت تعتنق مبادىء الشيعة الامامية ليقيم فيها بقرب سنان وليساهم ببناء الفدائية التي لعبت الدور الهام في الحروب الصليبية هو الأمير مزيد الحلي الاسدي القائل بقصيدته الطويلة اثناء الرحلة .

ولما وصلنا ارض شيذر صدّنا — مسيل من العاصي شديد التهجم
فقمنا بعون الله نقطع موجه — كما فعلت في الترب كف المنجم
وسرنا الى مصياف سعياً كما سعى — الى البيت قوم من قريش وجرهم
وقد نشر الرحمن اطار سندس — على كل ورد بالرياض معمم

اما الحوادث التاريخية الهامة التي حدثت بعد مجيء مزيد الى سوريا واستقراره بقلاع الدعوة الاسماعيلية فاليك اهمها :

زوال ملك العاضد الفاطمي نهائياً عن القاهرة على يد صلاح الدين الايوبي، ثم موت نور الدين الزنكي الشهيد واستلام ابنه الصغير الملك الصالح شؤون الملك واقامته في حلب وفي هذا الوقت يبدأ تسرب الصليبيين الى المواقع الهامة في طبريا والكرك وعكا. وحيفا. ونابلس وعسقلان ثم اعلان الخطبة في المدن السورية باسم « المستضيء العباسي » بامر من صلاح الدين وارجاع وثيقة التخلي والعمامة والبردة للعباسيين وظهور « الاسماعيلية » في فارس كدولة كبيرة مرهوبة الجانب وفي سوريا كامارة عظيمة يقوم على رأسها «سنان راشد الدين» ومحاصرة (مصياف) عاصمة الاسماعيلية من قبل صلاح الدين ثم تنازله الى عقد معاهدة صلح

---

١) المصادر الاسماعيلية السورية الاخيرة تثبت ان كلمة « الموت » اشتقت من « مات – يموت » وليست « ألموت » كما جاء بمصادر اخرى .

مع الاسماعيلية وزحفه الى الارض المقدسة ماراً ببصرى الشام بعد ان وافاه جيش مصر ثم مهاجمة عكاء من قبل ولده « الافضل » ونشوب معركة حطين والقدس وانتصار صلاح الدين فيها واحتلاله لصيداء وبيروت وجبيل وجميع المواقع الواقعة على الطريق حتى القدس وبعد هذا واخيراً زحف صلاح الدين على الشاطئ السوري ميماً شطر انطاكية . في هذه الفترة من الاحداث الجسام عاش شاعرنا الملهم الرقيق « الامير مزيد الحلي الاسدي »[1] وفي هذا العصر المضطرب المتقلب نظم اكثر قصائده والحقيقة التي لا مجال للريب فيها ان تلك الفترة وما بعدها كانت من اشد الفترات حلكة واعنفها اظلاماً واعظمها اثراً من الناحيتين الفكرية والتاريخية ويكفي ان تعلم انها فترة الحروب الصليبية وعهد صلاح الدين ونور الدين الشهيد وسنان راشد الدين او فترة الصراع ما بين الشرق والغرب فاذا عرفنا ذلك ادركنا لاول مرة اية اهمية تاريخية لها بنظر العلماء والمؤرخين وعرفنا ايضاً بان التعرض لبحثها من الامور المعقدة الشائكة التي قلما يجتازها الباحث بسهولة لان هناك في تاريخ الفلسفة الاسلامية ناحيتين قلّما أمن الباحث في مسالكهما من الخطأ وهما الاسماعيلية وعهد الحروب الصليبية ، ومهما يكن من امر فقد عرفت الدعوة الاسماعيلية الهادئة شعراء كثيرين لعبوا ادواراً هامة في الحياة العلمية والادبية والعقلية وصالوا وجالوا في مختلف ميادين الشعر والادب حتى اصبح لهم القدح المعلى وحتى تمكنوا من انتزاع قصب السبق في كافة الادوار والفترات ، ولقد دبّجوا القصائد الطوال وصنّفوا الكتب العديدة التي جاءت جميعها زاخرة بانفس الاشعار واطيب الاقوال، واذا كانت الدعوة الاسماعيلية الهادئة قد عرفت او بلغة اصح قد اطلعت شعراء مبرزين كالخيام والمعري وابن هاني الاندلسي والامير تميم بن الامام المعز لدين الله الفاطمي والمؤيد في الدين الشيرازي وعمارة اليمني وجلال الدين الرومي ، والخرساني والبصري والطيبي والاسكندراني وابي حصينة المعري والعقيلي وناصر خسرو وغيرهم ممن تأثروا بالاسماعيلية كالمتنبي والشيرازي والفارض وابن حيوس ، فانه ليكون موضع الاعجاب والفخر ان يضاف الى سجل كل من ذكرناهم من الشعراء الاسماعيليين الخالدين شاعر مغمور او امير شعراء مجهول

١) راجع كتابنا سنان وصلاح الدين ، ١٩٥٦

لم ينشر من شعره كما ذكرنا الا ابيات معدودة على صفحات مجلتي الحكمة والاديب هذا الشاعر هو الامير مزيد الحلّي الاسدي شاعر الدعوة الاسماعيلية الهادية في منتصف القرن الخامس الهجري الذي نقدمه الان معلنين اسفنا العميق واستغرابنا لاغفال اسمه وعدم التعرض الى ذكره في كتب التاريخ والادب الذي وضعه بروكلمن وستروتمان ، وريتر او حاجي خليفـة في كتاب كشف الظنون او ايفانوف او فيضي او ماسينيون او محمد كامل حسين ، او برنارد لويس او غويارد او جيب او كوربان وغيرهم ممن بحثوا في الادب الاسماعيلي وتاريخه وجالوا في هذا المضمار .

هو الامير مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور (بهاء الدولة) بن دبيس (نور الدولة) بن علي بن مزيد الاسدي (ابي الحسن) بن الامير مزيد الحلّي الاسدي الكبير صاحب الحلة العراقية التي ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان وقال عنها : انها مدينة في ارض بابل ووصفها المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي دعاة الامام الفاطمي المستنصر بالله بانها مدينة على بعد ستين فرسخاً من بغداد وتسمى ايضاً « الجامعين » و(الفيحاء) و(زورة بابل) وقد عرفت هذه المدينة وخاصة بالعهد العباسي بانها عاصمة امارة بني اسد العربية او امراء بني مزيد وكانت تدعى ايضاً « حلة بني مزيد » نسبة لهذه الاسرة العربية العريقة التي استوطنتها وحكمتها مدة تزيد على المائتي عام اي منذ سنة ٣٠٣ ﻫ الى ٥٤٥ ﻫ، اما اسرة بني مزيد هذه فقد عرفت بتشيعها للفاطميين منذ عهد بعيد بالرغم من وجودها في قطر يخضع للخلفاء العباسيين وقد جاء بالمصادر التاريخية الموثوقة ان هذا التشيع ازداد وضوحاً وقوة في عهد القائم العباسي المعاصر للامام المستنصر بالله سنة ٤٣٨ ﻫ حينما اوفد الخليفة الفاطمي الآنف الذكر داعي دعاته المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي للبلاد العربيـة ليحمل القبائل العربية فيها على شق عصا الطاعة على الخليفـة العباسي وتأييد القائد البويهي المتشيع (ارسلان البساسيري ابي البركات) وجاء ايضاً في ابن الاثير انه عندما احرق ضريح الامام موسى الكاظم وحفيده محمد بن علي الجواد وقبور بني بويه وقبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي انتهى الخبر الى نور الدولة دبيس بن مزيد فعظم عليه واشتد حزنه وبلغ منه كل مبلغ لانه واهل بيته وسائر

عمالهم كلهم من الشيعة ، وجاء ايضاً بكتاب المؤيد في الدين الشيرازي الى دبيس بن مزيد عندما كان يستنفر القبائل العربية لحرب العباسين ما يلي :

والله لقد غمني في سيدنا ان تكون هذه الافعال عن مثله تصدر وهذه الاخبار عنه تؤثر وتنشر وقال : ايستحق منك يا شيخ العرب ان تجازيه هذا الجزاء ولو انه من بني يزيد بن معاوية الذين تبرأ منهم فضلاً عن بني علي عليه السلام الذين تتولاهم . وجاء بالعهد الذي كتبه المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله الشيرازي للامير دبيس بن مزيد مـا يلي : ولما استقر بحضرة امير المؤمنين عليه السلام ما حباك الله به من كرم الاعراف وكونك بالولاء لاهل البيت عليهم السلام لمة في العراق ، وجاء بالعهد المذكور ان الامام المستنصر بالله قد لقب الامير دبيس بن مزيد بالامير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة « صفي امير المؤمنين » ، وجاء ايضاً بابن الاثير : ان موقعة سنجار كان على راسها البساسيري ونور الدولة دبيس بن مزيد وعلى راس الفريق الثاني قريش بن بدران صاحب الموصل وقتلمش ابن عم (طغرل بك) وسهم الدولة ابو الفتح بن عمرو وقد انهزم قريش بن قتلمش وجاء ايضاً بان نور الدولة الامير دبيس بن مزيد وقد عاش (٨٠ عاماً) كان فيها اميراً نيفاً وستين وكان ابن مزيد هـذا من اكابر امراء العرب ومن حماة الشيعة وجاء بابن الاثير ايضاً وايضاً بان ابنـاء الامير دبيس بن مزيد وهـما منصور وبدران وحماد قد اسروا قرب الكوفة بالمعركة التي نشبت بين خمارتكين الطغراني والبساسيري وجاء بالمصدر نفسه ان دبيس بن مزيد قد زوج ابنه الامير منصور « بهاء الدولة » من ابنة ابي البركات البـاسيري نفسه .

وولد الامير مزيد في حلة بغداد سنة ٥٣٨ هـ وعاش وتوفي في بلدة مصياف السورية سنة ٥٨٤هـ ولا يزال ضريحه قائماً فيها للان بجانب ضريح سنان راشد الدين في جبل مشهد ، اما سيرة حياته فسنكتب عنها فصلاً طويلاً جامعاً في ديوانه الذي نعده الان للطبع ومهما يكن من شيء . فقد اصبح واجباً وضرورياً علينا بعد تقديم هذا العرض التاريخي الوجيز الانتقال الى موضوعنا وتقديم مزيد الحلي كشاعر غزلي فنقول :

ان اهم خصوصيات الشعراء المجيدين الملهمين التي تجعل شعرهم مؤثراً في

القلوب ومقبولاً لدى الافهام قوة بيانهم وجودة كلامهم ورقة انغامهم . فكلما كان بيانهم ناصعاً وكلامهم واضحاً وقوافيهم سلسة ناعمة كان تأثيره اعظم ، فهم في هذه الاحوال يستميلون اليهم السامعين ويهزون كيانهم ويحركون عواطفهم ويملكون مشاعرهم فيديرونها حيث يشاؤون والفوز الذي يحصل لمثل هؤلاء الشعراء عظيم لا يكاد يوصف ومزيد كما سترون من جملة هؤلاء. فمن القاء نظرة على شعره وسماع قوافيه يتبين ان ما وصفناه ينطبق عليه فهناك قوته البيانية وقبضه على عنان الكلام والسهولة بشعره وخلوصه من التعقيد والتكليف وهذا ما يجعل الذهن يتقبله بسرعة وبدون ادنى كلفة او ازعاج ويجبر قيثارة النفس ان تستجيب له ملء الاعماق .

الا كم الوم النفس عند ادكاركم — وحتّام اخفي ما الاقي واكتم
وفي كبدي للبين ناب ومخلب — وحولي نسور للحوادث حوّم
وكم ليلة قضّيت فيها مآربي — اعانق زبّات الخدور والثم
وكنت انادبه وقد غلب الكرى — الا فاسقني خمرًا من الدن تعدم
ودرها لنا لا عيش الا بشربها — اذا لاح ضوء الصبح او هبّت انسم
مشعشة جلّت على كل عاشق — لبيب وان كانت على المرء تحرم
تراءت فلا ندري مصابيح راهب — تلوح او انقضّت من الافق انجم
ويرفها الساقي فلت بعارف — ايلزمها بالكف ام لبس يلزم
هي الشمس في الدوزان والدن برجها — وشرقها كأس ومغربها فم
اذا برزت خرّت لها الناس سجدًا — ويحرق من بعد السجود لها دم

ففي هذه الابيات نلاحظ الفن في السبك والاجادة في التأليف والبراعة في التركيب والتوازن بين المصراع الاول والثاني، اجل ... نلاحظ شعرًا مطبوعاً سالماً من التكليف بريئاً من الاستعارات البعيدة والتشبيهات غير المألوفة ونشاهد وصفاً لمجالس الانس والطرب والخمرة قلّما سبقه اليه شاعر ففيه التشبيه الأخّاذ والرقة المتناهية والابتكار الجديد والتفكير البعيد المدى .

ومهفهف متوشح بردًا — لا ينجز الميعاد ان وعدا
لو لم امدّ يدي الى يده — لحسبت منه ان يمد يدا
ارسلت ثم قعدت ارقبه — واقول سوف يعود حين بدا
حتى اذا حمي الهجير بنا — نصف النهار وطال بي امدا
سلّبت قلبي ثم قلت له — ان لم يكون اليوم كان غدا
لو انّ من في الارض يعزلني — ما دام قلبي سلوةً ابدا

وهنا نشاهد الفصاحة والجزالة والاستواء والارتباط وعدم التفاوت والسمو بالالفاظ والتشبيه والمتانة تتجلى باجلى مظاهرها مع رقة متناهية تنساب انسياب الجداول في الاودية الوارفة ذات النخيل والورود والرياحين .

اما والهوى لو عندها بعض ما عندي … لما هجرت لكنها وجدها وجدي
لها جسد بالوهم يدنو وقلبها … على لينه اقسى من الحجر الصلد
وحق الهوى لو استطيع اذا مشت … لابسط ذلًا تحت اقدامها خدي

وهنا تظهر ايضاً البلاغة في الاسلوب والصناعة في البيان والصنعة اللفظية والبديع والثقافة العامة مع الجزالة الرقيقة المنسكبة بدون شعور .

وشادنٍ افديه لو يفتدي … عليّ في حكم الهوى يعتدي
مدحته قال فمن ذا الذي … تمدحه ? قلت له سيدي
فهو الذي اغرق اهل الهوى … في حبه في لجج مزبد
ارق من مشمومه جسمه … وقلبه اقسى من الجلمد
والحج .قد تاه اناس به … راخهم في اثر المقتدى
لو عاينوا الابيض من ثغره … ما يمموا للحجر الاسود
فالورد من وجنتيه اجتني … وثغره كالاقحوان الندي
ووجهه كالشمس شمس الضحى … وقده كالغصن الاميدِ
وعينه تشبه عين المها … كانما تكحلت بالاثمد
حلفت بالاب والابن معاً … ثلاثة كنا على موعد
اني لاشتاقك يا سيدي … كالماء يشتاق اليه الصدي
باس يدي قلت له بس فمي … ان فمي اولى بها من يدي
قال من الجائر في حكمه … قلت الذي جار على مزيد ?
قال فهل تعشق غيري اجب ? … او يورد الظمآن من موردي ?
قلت له لا والنبي الذي … به الى رب العلى نهتدي

وهنا لا يسعنا الّا الوقوف خاشعين امام فصاحة في الالفاظ واشراق في الديباجة ، وجزالة في القوافي من غير اغراب ولا ادخال وامام مفردات ليس فيها وحشي او مستكره عمل شاعرنا الملهم على التفتيش عنها والتنقيب عليها وصوغها ، فهي والحقيقة من وضع شاعر ماهر بصنعته حكيم رصين بتفكيره . وهل يمكن ان يكون اجمل من هذا التساؤل ?

قال فهل نمشق. غيري اجب — او يورد الظمآن من موردي ؟
قلت لـه لا والنبي الذي — به الى رب العلى نهتدي ؟

الا تشعر معي وانت تقرأ هذه الابيات المليئة بالتذكر والحنين الى ماض عزيز من العمر ورفاق في موطنه الحبيب شاطروه صفاء العيش ومرحه وفراق الاهل والاحباب والمرابع ومسارح الصبا ومعاهد الانس انك امام شاعر ينبجس الشعر بين يديه ويفيض صافياً رقراقاً والشاعر الشاعر بالحقيقة من استطاع ان يكشف عن نواحي مستورة في نفسه ويصوغها في قالب رقيق وفي صورة جميلة تهز اعماق الكيان ويحولها الى صوت حسن ونغم بري. يسري في النفس ويجري في العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز الجوارح امام الايقاع الموسيقي والجمال التعبيري .

يا سعد ان جزت بوادي الاراك — فانشد قلبياً ضاع مني هناك
او زرت غزلان النقا سائلاً — هل لاسير الحب منهم فكاك
وان ترَ ركبا بوادي الحمى — فانشدهم عني ومن لي بذاك
نعم سروا واستصحبوا ناظري — والان عيني تشتهي ان تراك
مـا فيَّ عضو لا ولا مفصل — الا وقد ركّب فيه هواك
عذبتني بالهجر بعد الجفا — يا سيدي بماذا جزاني بذاك ؟
فاحكم بما شئت وما ترتضي — فالقلب لا يرضيه الا رضاك

وهنا ننتقل مع مزيد في خواطره لنقف امام شاعر قريب الى القلب تعجب بقوافيه وانت تسمعها وقد امتلأ قلبه بالمحن والآلام وتقلبات الدهر وتطير عاطفته وقد صبغت شعوره بالآلام، وذهب به خياله في التصوير الفاتن الباسم الوضاح، فيخرج الصور الرقيقة الجذابة وتشعر بتلهف وحنين اليه وهو يصف موطنه الاول « الحلة » رغم انه كان في بلد امين يعيش فيـه مستقراً هادئاً عزيز الجانب موفور الكرامة يخشاه الناس ويرهبون جانبه .

اسالَ دموعي هجرها وهو ممن — وانحف جسمي خصرها وهو ناحف
وامرض قلبي جفنها وهو ممرضي — وادلف طرفي طرفها وهو دالف
نودّعني والبـين يلعب بيننا — ولا قلب الا وهو للبين راجف
وحالت صروف الدهر بيني وبينها — الا انّ من يغترّ بالدهر تالف
وكنت قبيل البين ارشف ريقها — فها انا بعـد البين للدمع راشف

وكنت البنا للسرور بقربها فها انا للاحزان والهم آلف
فيا دهر هل بعد التفرق رجعة فيهتف بي للوصل يا دهر هاتف
وتسعدني (بالسعدنين) احبتي وتجمعني (بالجامعين) معارف

اجل وهنا عليك ان تقف معي ايها القارئ العزيز وتطلب ترديد هذا البيت :

وكنت قبيل البين ارشف ريقها فها انا بعد البين للدمع راشف

الا ترى معي ان فيه ابتكاراً جديداً وصوراً فتانة جذابة جميلة ؟.. الا تشعر معي برقة الاسلوب وبوجود البديع اللفظي يخلعه هذا الشاعر المرهف الحس على كل بيت من ابياته .. الا تشعر معي ان قوافيه تدخل في اعماقك وانت تقرأها ؟.. الا تشعر معي بانها تهز كيانك وتحملك وتقربك الى عالم من الجمال والاحلام ؟

سقى الجنينة ذات المنزل الرحب بناس المزن من هطالة السكب
دار نملوة قدما كنت اعهدها والعيش غضا وشملي غير منترب
ايام كنت بها الهو وبي طرباً مع الغواني فيا ناهيك من طرب
هيفاء لفاء ميأس يميد بها تختر كالغصن في دل وفي عجب
علقتها والصبى غض برونقه كاللؤلؤ النظم في سلك من الذهب
مشمرة الذيل في عز وفي دعة ما بين اهل وملك وافر النسب

وهنا الا تلاحظ معي بل الا ترى الرقة والسلاسة والعذوبة تنساب انسياب المياه في الجدول الرقراق ؟.. تعال معي وردد قوله :(دار لعلوة قدماً كنت اعهدها والعيش غضاً وشملي غير مغترب) وقوله : ايام (كنت بها الهو وبي طرباً : مع الغواني فيا ناهيك من طرب) ... الا تحكم معي بانها تذخر بعاطفة وثابة تدخل الى الاعماق لتسكر القلب وتطرب الروح ؟

صاح كل الفراق حتم علينا ليت شعري متى يكون اللقاء ؟
ما لليلي كانه الصبح في اليقظة والصبح ليلة ليلاء
اشرب الشوق والهموم بكأس مترع والنجوم لي ندماء
وبنات الهديل تبدي غناء فيزيد الغرام ذاك الغناء
ليس موتي بعد الفراق عجيبا عجب كيف لي عليه بقاء
من بشط الفرات هل يسعد الدهر على البين او يعين القضاء
ويعود الشمل الشتيت كما كان وتنأى الهموم والبرحاء

ليت لي نظرة اليكم على القرب وهيهات ان ترى المقلتاء
والى شامخ النخيل فبطني نار قلبي (بالسيبانة) مساء
حين لا خوف في زراه وفيه كل بيض الظبى تنني الظباء
والهوى طائع وقد هبّت عليه من الشباب هواء
لا يبقى (العقيق) داري وليست تسني في تواصل اسماء

قف معي وتأمل قوله للديار التي اقفرت من السكان وكانت بالامس مواطن للخلان والندماء ومرابع للاهل والاحباب :

من بشط الفرات هل يسعد الدهر على البين او يبين القضاء ؟
ويعود الشمل الشتيت كما كان وتنأى الهموم والبرحاء ؟

قف معي نستعيد ونعجب ونطرب.. . شعور يصوّر لنا الحياة ... وشاعر يعزف على اوتار البيان بريشة الحاذق الماهر ... واناشيد ترف زاخرة بالرقة والجزالة والعذوبة والسلاسة الصافية ... والوان من البلاغة رقافة ناعمة يرسلها شاعر عاش في كنف العبقرية المبدعة وتفيأ في ظلال العربية البكر ، ويصوغها بقالب شعري جذاب فاذا بها تتحول الى نغم حنون يملأ الكون عطرًا وبهاء وسنى.

دمنٌ بين كاسر والرآب خاليات من زينب والرباب
جئتها والدموع تنهلّ من الاماق بين المطول والتسكاب
واقفاً بالديار وهي خلاء وقفة الموسوي بالسرداب
اترجّى رجع الجواب وأنّى لرسوم الديار رجع الجواب
وبما بي من لوعة واكتئاب اتشكّى وليس تعلم ما بي
ربّ ليل بادرته فبدالي بدره من هوادج وقباب
ونهار لمحت فيه فلاحت شمسه تحت برقع ونقاب
وغزال اوما الي فبانت لي ثنايا العاج حمرة العناب
فتجشمت ذلك الليل حتى كنت من بدره المنير كقاب
وطويت النهار ثم ترشّفت من الشمس بارداً من رضاب
وذبحت النزال ذبحاً بسكين شبابي في روض عصر التصابي
يا لقومي من (آل طيبة) ما لي لا ارى لي نجيّاً في قباب
انتم خير من اقيم عليه عمدًا شرفاً على أطناب
ان سطا الخطب كنتم ماء مزن او دعا الحرب كنتم اسد غاب
رمت صبراً عنكم فاعوزني الصبر فهل لي اليكم من اياب

وزجرت القلب النزيع عن الشوق فيثني بلوعة واكتئاب
لا ومن انشأ البرية خلقاً ذا انتقال من نطفة لتراب
ما تباعدت عنكم لملال ليس لي رغبة الى الاغتراب
غير ان الحسام لا يستطيع القطع الا مفارقاً للقراب

وهنا تأبى الحقيقة الا ان نقف وإياها وجهاً الى وجه فنحن مهما ازددنا قراءة لهذه الابيات فلا نزداد الا تعلقاً بها وشوقاً الى اعادة قراءتها! واذا عمدنا الى ذلك فلا يدخل الى نفوسنا الضجر والملل ولا نسأم لاننا نشعر انه كلما حاول السأم ان يقترب منا طلع علينا شاعرنا المرهف الحس بصورة جديدة جذابة ابعدت هذا السأم عن نفوسنا .

سروا ورواق الدجى مظلم خيال لحسناء مستكتم
يذكرني بليالي الوصال فهام به المدنف المغرم
ولست بناس لايامها ولا لمودتها اسأم
فتاة اذا برزت ينجلي بأنوارها الزمن المظلم
تثني ذوائب من شعرها ثمان الى اربع تقدم
وتسدل سبع ستور لها على رغم فرعها المحرم
واصلتت من طرفها صارماً كما يصلت الصارم المخذم
وتقتل في الحب من رامها وقتل المحبة لا يؤلم
احسناء كم ليلة قد بعثت رسولا زيد به اللوم
فحيت على غفلة الكاشحين اليك واعينهم نوم
ولو عاينوك لهزوا الرماح وسلوا الصفاح ولكن عموا
برزت اليهم فلم يعلموا وقلت كلاماً فلم يفهموا
وقالوا بانك محجوبة ومحجوبة انت بل عنهم
دعوت قلبك مني الضمير وقبل ارضيك مني الفم
واتهمت فيك بفراط الغرام وقلبي بتقصيره يفهم
فطوبى لمن بهواك اهتدى ومن بوصالك لا يحرم

مقاطع جديرة بالوقوف والتأمل ، وصور حية شفافة مليئة بعناصر الجمال غنية بالعواطف والذوق الهادي والبعد عن الحشو الممل والتكرار المسف . . . مقاطع اذا وقف الانسان امامها ليستعرضها حملته الى عالم الجمال والخيال لتريه الصور الفتانة والمشاهد البراقة التي يتراءى فيها امتزاج الالحان في المناظر البديعة وفي القلب الحزين والجدول الباكي ودموع الفجر وأفق الامل .

يا خليليَّ خلِّياني وشاني انا اولى بنار وجدي صليّا
انّ لي بالعراق دمّا مطيعًا وفوادًا صبًّا وصبرًا عصيا
انا في هجرهم وصلت سهادي فصلاني او اهجراني مليّا
انا في عازلي وحبي وقلبي حائر ايهم اشد عتيّا
انا شيخ الغرام من يجتدي بي اهده في الورى صراطًا سويّا
انا ميت الهوى ويوم ارام ذلك اليوم يوم ابعث حيا

اننا ايضًا امام قصائد خالدة جديدة في التصوير وقواف رائعة عطرة نديّة بليلة عابقة بالعبير يطلع علينا بها شاعرنا الملهم فيودع فيها روحه العالية وما يلتهب بين جوانحه من رقة صادقة رقيقة وعذوبة خالصة يصوغها وينقشها سلسلًا باردًا ونغماً عاطرًا فيه الاماني والاحلام .

ولها من الليل البهيم ذوائب جثل يزين رسلها التجعيد
ومرجّج في واضح فكانه نون جامش رقة ممدود
ولها من الصبح المنير وضوئه وجه بلا كلف ولا تخديد
ولها محاجر مقلة من نرجس ولها من الورد الطري خدود
ومن المها نحر يزيّنه الحيا قد كنّنته مراسل وعقود
ولها من البرد الصقيل ترائب وقها من العاج النقي نهود
ولها من الغصن المكرم مرفق رسب ومن طبع العفاف زنود
ومعاصم معصومة عن ذي الحنا وانامل مثل الاسارع غيد
ومن السنى حصن وعضو ناحل يعلو عليه ردفها المقدود
ولها من الفخذ الرخيص مدملج ساق وكعب ارغم مزرود
ويزينها قدم لطيف ماله اثر يفوق على الثرى موجود
اتعود ايامي بزورة بابل هيهات ايام مضت اتعود ؟
(والحلة) الفيحاء فيها طينتي دار بها اضحى الندى والجود
ايام اسحب في رياض وصالها برد الشباب الغض وهو جديد
ويد الحوادث لم تزل مغلولة عنا وطيب العيش فهو رغيد
اصفي لها ودي فيهلك بيننا كمدًا عدو شامت وحسود
فطن الزمان بنا فاصبح شملنا متشتتًا والوصل فهو بعيد
من لي بذلك والفرات ودجلة ومهامة دون المزار وبيد
وخطوب ذي الدنيا الدنية انها دنيا يشيب لهولها المولود

ان هذه الابيات تصور لنا مزيد شاعرًا ملهماً متوثب العاطفة صادق القلب رقيق حواشي العبارة وصّافاً يسيل الكلام من قلبه كما يسيل الزلال الصافي من منبعه الفياض فيجذبك ويحرّكك ويبزك الى دنيا فسيحة من الجنان والعواطف يهب عليها النسيم العليل وتهبط عليهـا قطرات الندى كالدموع الغوالي لتشجي القلوب وتطرب النفوس . .

طيف لحسناء من بعد الكرى طرقا ... ليلًا فهاج بي الاحزان والقلقا
عجبت وهو الى جنبي يعـاتبني ... ما كان احسن هذا العتب لو صدقا
هل لي برجعة عيش كنت اعهده ... (للجامعين) وبرق البين ما برقا
ايام اخطر في روض الصبا مرحاً ... ولمتي جثلة تزهو لمن رمقـا
وان شرخ شباب المرء عدنـه ... يلقي بها الوجنات الحمر والحدقا
ورب كاعبة النهدين عاكفـة ... كالروض فيه فتيق المسك قد عبقا
شمس اذا غربت في ليل طرّتها ... عن العيون اعارت خدها شفقا
من فوق غصن كساه الله خالقها ... من الحيا والعناق الحور والحدقا
من بالعراق اقرّت ان لي كبدًا ... اضحى بنار الاسى والشوق محترقا
ومقلة قد غدت من بعد فرقتها ... انسانها في بحار الدمع قد غرقا
وليس موتي عجيباً بعـد نأيهم ... بل كيف اعطيت من بعد الفراق بقا؟
ما هبت الريح الا بت مكتئباً ... ولا سرى البرق الا زادني قلقا
ولا تغنّت حمامات اللوا سحرًا ... الا ترقرق دمع العين واندفقـا
صبرًا على الصبر يأتي بعده فرج ... وان تفتّق فيه الشمل او رتقا

ما عساي ان اقول بعد الذي قلته في هذا الشاعر الملهم المرهف الحس الذي يملأ الاسماع رقة وعذوبة ويحمل النفس الى عالم من الجمال والبها. بل ما عساي ان اقول وهذه نغمة عطرية ونغمة سماوية يطلع علينا بها فيجبرنا ان نقف امامها خاشعين وكيف لا ؟ وصور الذكرى والحنين والشعور والشوق والحب والاخلاص ووصف ما يخطر في الجوانح يتشاون امام انظارنا ويرفون باجنحة الجمال في عالم الامل والأحلام .

ذكر الاحبة بالعراق اهاج لي ... شوقاً وقد يزداد شوق الذاكر
ومرابع « بالجامعين » عهدتهـا ... تزهو بغيلان لهـا وجآزر
من كل فاتنة اللحاظ اذا رنت ... با للرجال من اللحاظ الفاتر

بيضاء كاملة المحاسن كاعب تختال بين خلاخل واساور
اخذت من الضدين ما عرفا به من فاحم جثل وابيض زاهر
فمن الصباح لها ابيضاض ثواغر ومن الظلام لها اسوداد غدائر
لا غرو ان فرت الجلود فانما ترمي القلوب بنبل طرف فاتر
ومن العجائب ان غزلان الفلا ترمي فتقتل كل ليث خادر
ما زلت مقتنصاً لاسراب المها اومي فيأنس كل سرب نافر
واروح والبال الرحيب مضاجعي حتى تفاقم صرف دهر جائر
يا ساكني ذات النخيل عليكم بالصبر فالمحمود عقبى الصابر
لا تبثوا طيف الخيال يزورني فاذوب شوقاً بالخيال الزائر

انها صور حيَّة وباقة من الورود ودنيا من الالحان والالوان وتموّجات رقيقة عذبة شفّافة تستمد من نفس رقيقة وموسيقى هامسة تدخل الى شعاب القلب وتهمس في حنايا الروح وفكرة جديدة بالنسبة لعصره وديباجة فيها الاسلوب الرقيق والصياغة الشعرية الفنية التي تذخر بتسلل الفكرة واضطراد التصوير والمعاني العميقة وعمق التفكير وطلاوة الاسلوب ونجوى الخاطر وروح وثابة سارية سريان النسيم في حقول الورود والرياحين .

افتور لحظك ام غرار يماني وقوام قدك ام قضيب البان ؟
وجفون عين اسبلت يوم النوى ام نرجس متكامل بجمان ؟
والحاجبان على الجبين تقوّسا ام في صحيفة كاتب نونان ؟
وشنيب ثغر في فم ام لؤلؤ نظموه في سلك من المرجان ؟
يا ليته اسكنته في مهجتي وباي مقدرة ملكت عناني ؟
بشقائق في وجنتيك تفتّقت حجب القلوب شقائق النعمان
اوكلّما عاينت طيفك في الكرى وشكوت طول الصد والهجران
اوترت قوسي حاجبيك كانني غرض لاسهم طرفك الفتّان
يا بنت مختلس النفوس ترفقي فهواك ابعدني عن الاوطان
لولاك ما اتصل السهاد بمقلتي ولما جفى طيف الكرى اجفاني
ولما رأيت من العجيب مصارعاً للاسد بين مراتع الغزلان
يا من اذا برزت ببهجة وجهها خجلا لبهجة وجهها القمران
واذا تثنّت فالغصون مدلة بتمايس فاقت على الاغصان

بهذا القدر نختتم بحثنا عن مزيد ، واننا نرى انه من الواجب علينا القول ان شاعرنا كان راجح العقل ، ثاقب الذهن ، سمح البديهة ، حافل القريحة ، بديع الخيال متين القوافي قادرًا على استلام ناصية العبقرية . جمع الاسلوب المتين القوي المجنح الذي يخترق الغيوم صاعدًا فوق النجوم بجناحي القوة والاشراق والجزالة والبيان والتصوير الصحيح الصادق المنبعث من نفس زخرت بالالم والحب والعاطفة فلم يحجب الاباء شكاتها اذا شكت او تنهنه الكبرياء احزانها واشجانها ودموعها اذا بكت .

قد اتهم من البعض بالغلو ، ولكن الحقيقة تأبى الّا الظهور ، فمزيد كان شاعرًا في حياته وعاطفته قبل ان يكون شاعرًا في ابياته واوزانه ورناته وانغامه ، واني بعد ان قرأت ديوانه ورافقت كل بيت من ابياته خرجت وانا اقول باني لم اشهد نفسًا كنفسه تذخر بالحنان وتتدفق بالعاطفة والرقة تفهم جمال الدنيا وترنو مفتونة والهة لتتحدث عن الجمال والشراب والحنان والمرابع الآهلة بالخلان والندمان بوداعة متناهية ورقة وايمان وبراءة وعذوبة تشع بالحنان وتفيض بالقوة حتى تصير رجاء واملًا . اما الذكرى فتتصاعد مقرونة بالاسى فيأنس اليها القلب وتنعم بها الروح لانها صادرة عن نفس صافية مرهفة معطرة منبعثة من صميم مفعم بالنشوة والسحر والعطر وهل اجمل من شعر يذخر بجمال الاسلوب وسعة الخيال وغناء الفكرة والاشارة والصور والرقة بالنغم والقافية وجرس موسيقى يتجلى فيه البيان الصافي والوجدان الطاهر والعذوبة والمحبة والرحمة واني لست مخطئًا كما اني لا اشعر بالغلو والمبالغة والاطناب اذا ما قلت ان مزيد هو بحق امير شعراء ذلك العصر بلا منازع ورحم الشاعر القائل .

وخير الشعر ما اوحاه طبع	فكان لـه بافئدة دبيب
معانيه قـد انتسقت بلفظ	يكاد لفرط رقته يذوب

هذا هو مزيد الشاعر المغمور والعبقري المنسي وكم في ادبنا العربي شعراء امثاله مغمورة اثارهم في زوايا النسيان .

دراسات تاريخية ادبية

«أثر العقيدة في شعر مزيد الحلّي الأسدي»

بقلم عارف تامر

تكلمت في بحث سابق عن الغزل في شعر مزيد الحلي وقلت ان هذا الشاعر العبقري ينتمي الى بني اسد القبيلة العربية العريقة التي كانت تقطن «الحلة» العراقية ثم اتيت على الاسباب التي جعلته يترك وطنه (الحلة) ويأتي الى «مصياف» السورية في ذلك العصر المضطرب وها اني اعود الان الى التحدث عن ناحية هامة ذات ارتباط ادبي وثيق في حياته وهي « أثر العقيدة في شعره » فاقول :

افترق المسلمون كما افترق غيرهم من ارباب الاديان الكبرى فرقاً بلغت ثلاثاً وسبعين تحقيقاً لمضمون الحديث النبوي الشريف عن هذا الافتراق الذي كان مثله في الشريعتين الاسرائيلية والمسيحية ففي الاولى الى احدى وسبعين وفي الثانية الى اثنين وسبعين فزادهما الاسلام فرقة وسواء اصحَّ ورود هذا الحديث ام غير ذلك فان مضمونه قد تحقق لان العلامة الفيلسوف « نصير الدين الطوسي » قد ذكر ايضاً ان الشيعة قد افترقت الى ثلاث وسبعين فرقة ، فالزيدية خمسة عشر والكيسانية اثني عشر والامامية ثلاثين والغلاة سبعة والباطنية ثمان ، اما منشأ هذا التفرق فيكاد يكون سببه « الامامة » فهي القطب الذي نجم عن هذا التفرق بين السنة والشيعة ثم بين فرق الشيعة أنفسهم ، أما بين السنة والشيعة ففي منصب الخلافة بعد الرسول ثم بين عموم الفرق الشيعة في سوق الامامة وفي اشخاص الائمة «فالكيسانية» اخرجوها من ولد فاطمة الزهراء. وكذلك صنع الزيدية فانهم لم يعترفوا بامامة احد بعد الامام «الرضا» اما الاسماعيلية فقد وافقوا الامامية في ستة منهم وافترقوا عليهم في السابع وهو عند الامامية (موسى بن جعفر) الى تمام اثني عشر وعند الاسماعيلية (اسماعيل بن جعفر) ثم تنقسم الاسماعيلية الى فرق شتى بعد ذلك اولها القرامطة ثم الدروز ثم النزارية والمستعلية ثم المؤمنية والقاسمية ، والسليمانية والداؤدية ، ومهما يكن من شيء. فقد تطورت الدراسات الاسماعيلية

في العصر الحاضر تطورًا ملحوظًا حتى شملت مختلف النواحي الفكرية سواء منها العقائدية او السياسية فظهرت الى عالم الوجود مصادر تاريخية هامّة ومخطوطات علمية قيمة كانت في طي الخفا. والكتمان بعيدة عن متناول ايدي العلماء. والباحثين فاصبحت الاسماعيلية بعد هذا التطور في الدراسات وهذا الاهتمام بالمخطوطات معروفة لدى العلماء. بانها رسالة فلسفية مستقلة ودعوة سياسية امية ذات اثر ظاهر في مجرى الحياة العامة وفكرة عقائدية باطنية تخفي وراءها مرامي بعيدة لا يزال الفكر يسعى لجلاء غوامضها واكتشاف كنهها وليس ادل على ذلك من ان هذه الرسالة الفلسفية كانت تغزو بانتظام ودقة الاقطار الشرقية والغربية على السواء تسيرها قوى سرية فعّالة مدركة للواقع السياسي والاجتماعي فيسارع الى اعتناقها والانضواء تحت لواءها جميع الطبقات المثقفة من علماء وادباء ، وحكماء بصرف النظر عن الاقليم والجنس والعرق وهذه من الاسباب التي جعلتها تسمو وترتفع على ايدي دعاة عباقرة مفكرينْ فتصل بفضل نضالهم الى مصاف الدعوات الامية الكبرى التي اثرت في العقول واخرجتها من حيز الجمود الضيق الى الانطلاق الرهيب .

نشأت الاسماعيلية نشأتها الاولى سنة ١٢٨ ﻫ في العراق وفارس كدعوة سرية من قبل الامام اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويذهب بعض علماء الاسماعيلية انفسهم الى القول بان دعوتهم تسمت بالاسماعيلية بعهد « اسماعيل بن ابراهيم الخليل » وبالرغم من وجود ما يثبت هذا الزعم عقائدياً فاننا لا نجد بين ايدينا مصادر تاريخية تؤيده تأييدًا قاطعاً وهذا ما يجعلنا مع اكثر الباحثين والمهتمين نولي اهتمامنا عند بحث الاسماعيلية مقتصرين على عهد اسماعيل بن جعفر الصادق وما بعده فنقول:

انطلقت الاسماعيلية انطلاقتها الاولى كحركة سياسية منذ سنة ١٥٨ ﻫ حتى سنة ١٦٠ ﻫ او سنة ٧٧٣ م . ثم تطورت الى دعوة دينية واجتماعية عامة لخذت طريقها لتحرك العقول من جمودها وتخرجها من عزلتها وانكماشها وتضفي عليها الانطلاق والسير نحو عقيدة واقعية بنظمها وقوانينها وقد اجتمع نفر في ذلك العصر من عباقرة الدعاة المثقفين ثقافة عصرية صحيحة حول الامام اسماعيل بن جعفر يدعون له في الاوساط والجهات ويضعون الدعائم المتينة لدعوته الكبرى ،

وبعد ان وصلت هذه الدعوة الى ما وصلت اليه من التقدم والانتشار والازدهار في عهده وبعد موته ساقوا الامامة بولده محمد الذي كان يقيم في فارس واطراف العراق ثم بولده عبدالله الذي انتقل الى «سلمية – سوريا» واقام فيها متستراً عن عيون بني العباس يحيط به رجال دعوته البارزين كعبد الله بن ميمون القداح، وعبدالله بن حمدان، وعبدالله بن مبارك، وعبدالله بن سعيد بن الحسين وغيرهم وفي هذه الفترة ظهر كتاب «رسائل اخوان[1] الصفا.» وانتشر في كل مكان كدعوة فلسفية مبطنة عامة كانت ترمي الى تقويض اركان الدولة العباسية القائمة على تعاليم ظاهرية جامدة سطحية لا اثر فيها للفلسفة والحكمة وبنا. دولة من الفاطميين على انقاضها تدعو الى الخير والفضيلة والمثل العليا ثم ظهرت الفرقة القرمطية التي انبثقت من الاسماعيلية لتسير وراء مبادى. اشتراكية متطرفة كانت تدعو الى احداث ثورات شعبية وحركات عمَّالية وزراعية وصناعية ضد الملاكين والاقطاعين وضد نظام الحكم العباسي القائم وتستند وكانت هذه المبادى. من وضع الامام عبدالله وولده احمد والحسين وهم الائمة الثلاثة المستورون الذين عاشوا في سلمية ومهدوا لتأسيس الدعائم التي نهضت عليها الدولة الفاطمية فيما بعد وكان رئيس دعاتهم «ميمون بن قداح» وولده عبدالله صاحب العقلية السياسية الجبارة التي ساهمت ببناء هذا البناء. واثرت بالعقول والافكار وعملت على نقلها من جمود ضيق الى فضاء رحيب جديد بتعاليمه وافكاره وعميق بفلسفته وتعاليمه، ثم ان هذه الدعوة انتشرت في المغرب سنة ٢٩٦ هـ على يد ابي عبدالله الشيعي وفي اليمن سنة ٢٧٠ هـ على يد ابن حوشب منصور اليمن وابي الفضل الجدني ونصر بن احمد الساماني امير خرسان وبلاد ما بين النهرين ومرداويخ الديلمي امير طبرستان ويوسف بن ابي البايغ امير اذربيجان وكان كل شي. يسير بانتظام ودقة لصالح هذه الدعوة حتى ظهور الامام الحادي عشر «محمد المهدي بالله» بن الحسن بن احمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، فنقل عاصمة ملكه من سلمية الى «سجلماسة» في المغرب، واسس دولته الفاطمية المغربية، وجعل عاصمتها المهدية، وبعد ان استمر حكمه ورسخت اقدام دولته ظهر ولده القائم ثم المنصور

١) راجع مقدمة كتابنا «ثلاث رسائل اسماعيلية».

ثم المعز الذي فتح القطر المصري سنة ٣٥٨ ﻫ بقيادة جوهر الصقلي وبعد ان تم فتح القطر المصري تعاقب على الخلافة الفاطمية بعد المعز لدين الله ولده العزيز ثم الحاكم بامر الله وفي عهد هذا الاخير ظهرت الدعوة الدرزية المعروفة وانشقت عن الاسماعيلية الام لتسير منفردة ومستقلة في منهجها الديني الجديد الذي يأمرها بالوقوف عند الامام الحاكم بامر الله ، وبعد الامام الحاكم بامر الله جاء ولده الظاهر ثم المستنصر بالله وفي العهد الاخير من حياة هذا الامام طرأ على الدولة الفاطمية الانحطاط وبدأ نجمها يميل نحو الافول ، فبعد ان انتقل الى الدار الاخرة وقع الاختلاف على الخلافة بين ولديه نزار والمستعلي ولما كان المستعلي تربطه بقائد الجيوش بدر الجمالي اواصر القرابة لجهة والدته تمكن من الانتصار على نزار وانتزاع الخلافة منه وهكذا انقسمت الاسماعيلية الى فرقتين مستعلية ونزارية فأما النزارية فقد ودعت ربوع وادي النيل وانتقلت الى (ألموت) وكان انصارها يقيمون في فارس والعراق وسوريا انذ واما المستعلية فقد كان مؤيدوها يقيمون بمصر والهند واليمن وقد انتقل حكمها بعد المستعلي الى الآمر باحكام الله وبعد وفاة هذا الثاني وقع الاختلاف على الامامة بين فريقين منها فريق ايد ابو الطيب القاسم المستور نجل الآمر باحكام الله وفريق سار وراء الامير عبد المجيد الملقب بالحافظ وبعده جاء الظافر ثم الفائز ثم العاضد وفي عهد هذا الاخير نهض صلاح الدين وانتزع الملك الفاطمي وبذلك انتهى كل اثر للدولة الفاطمية في ربوع وادي النيل ، اما النزارية فقد تسلسل منها سبعة ائمة اقاموا جميعهم في الموت بفارس وكان آخرهم «محمود ركن الدين[1]» الذي استشهد اثناء اجتياح هولاكو القلاع الاسماعيلية وبعد استشهاده استلم شئون الامامة الاسماعيلية النزارية ولده شمس[2] الدين وبعد موت هذا الاخير انقسمت النزارية الى فرقتين فرقة سارت وراء ولده « مؤمن شاه » ولا يزال لهذه الفرقة اتباع في سوريا، والصين ، وروسيا ، وافغانستان وفرقة سارت وراء ولده الثاني « قاسم شاه » وهم اتباع سمو الامير آغاخان اليوم .

اجل نشأت الحركة الاسماعيلية ونظمت على شكل دعوة كل قوم بعقيدتهم

١) راجع كتابنا « خمس رسائل اسماعيلية » .

٢) A forgotten branch of ismaili — Ivanov.

الى ما يصبون اليه وجعلت هذه الدعوة على مراتب تتدرج بالنسبة لمستوى الناس واستعدادهم العقلي وثقافتهم مهما اختلفت اديانهم وعناصرهم فشجعوا التكتلات بين طوائف الصناع والعمال واهل الحرف والمزارعين والنقابات ومن هذا يفهم ان الحركة كانت بظاهرها لا قومية بل اممية وانها كانت اجتماعية واقتصادية وسياسية في غاياتها تعمل وراء ستار ديني فلسفي الغاية منه تأمين العدل والاصلاح الاجتماعي على اساس المساواة وتحسين حالة الفلاحين وتعليمهم برامج اشتراكية ثورية وقد كان المجتمع في ذلك الحين ينتقل من طور زراعي الى طور تجاري واقتصادي فأدى ذلك الى تباين الثروات وتكدس رؤوس الاموال عند فئة محدودة وقد كان شعورها بالخطر من الطبقات الفقيرة مما ولد اتحاداً بين مصالح الاغنياء والفقراء على اساس اقتصادي وقد اكتسبت هذه التطورات حيوية واتحاداً جديداً بايجاد حركة اقتصادية واجتماعية سياسية ثقافية لاعنصرية ترمي الى توحيد المتذمرين من كل العناصر والاديان وتعاونهم في جو من الاخاء لتقويض المجتمع القائم واحداث ثورة وانقلاب بالمجتمع وانشاء آخر على انقاضه لا استغلال فيه ولا تحكم لدين او لعنصر او لفئة وقد اعتمدوا في فكرتهم على عنصرين التشيع وعلى الجماعة السرية التي كانت الاذهان تتقبل تعاليمها فتستطيع ان تلعب بالعواطف وتؤثر بعقول الناس وتحولها لجهتها وتضم في صفوفها جميع المتذمرين من كل نوع وقد استفادوا ايضاً من تجاريب الحياة الماضية فلم يهتموا بتكوين جماعة من صنف واحد بل من عدد كبير من الاصناف الذين اعتقدوا ان الغاية من ذلك اسعادهم وتخليصهم مما يؤلمهم مضافاً الى كل ذلك انهم اسسوا تشريعاً لضرائب مختلفة متدرجة انتهت الى وضع اسس لمالية جماعية ثم توزيعها على الجميع في عدل تام وبهذا اصبح لهم جماعة ليس بينها فقير او معوز وقد اقيم في كل قرية منتخباً من ثقاتها مع مجلس منتخب برضاء الجميع يتولى جمع المال ثم انفاقه على الفقراء ومؤاساة المرضى والمحتاجين والضعفاء وتحسين اوضاع القرية العمرانية والعلمية واصلاح الحالة الزراعية وتوزيع الاقوات والملابس واصلاح الوضع الاجتماعي وتغذية التجارة والصناعة .

هذه نواح كان لا بد من ايرادها ونحن نبحث عن اثر العقيدة في شعر مزيد الحلي والحقيقة انها تعريف لموضوعنا وامور هامة كان لا بد من التعرض لها

واذا كنا قد جئنا على جزء منها بالوجيز من القول فما ذلك الا لأن مثل هذه البحوث قد لا تفي بها صفحات معدودة كهذه هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الناحية العقائدية التي نحن بصددها ستفسح لشاعرنا مزيد مجال الحرية ليتكلم عنها اما نحن فنمهد لها بتصوير عهده وكيفية اتصاله بسنان راشد الدين وتاريخ تلك الفترة الغامضة فنقول :

الجبال الشجراء المجللة بالصنوبر[1] والسنديان والآس الممتدة من شمالي طرابلس الشام حتى مدينة ابن هانئ تذخر بالوداعة والجمال فاشجارها المتعانقة الخضراء تداعبها النسمات المنعشة حاملة معها نفحات زهور نيسان العطرة والبلابل المغردة الآمنة في الاودية والسفوح تغني الحانها الشجية فترقص لها الاغصان طرباً وتتثنى لها الافنان فرحاً والسواقي الشادية المنحدرة من القمم تنساب ببطئ في طريقها الملتوي الطويل وصوتها العذب يحمل الى النفوس العطشى والصدور المغلقة نغماً عذباً صافياً فيه الأمل والرجاء..

الجبال الشماء المطلة على سهول نهر العاصي الفسيحة الجاثمة فوق الشاطئ السوري الوديع تبدو للعيان هازئة بعوادي الايام واحداث الزمان فكل ما فيها يبسم لنيسان ، شهر الحب والجمال من طيورها المغردة واشجارها الوارفة الظلال الى قممها الرابضة وسفوحها الخضراء ووردها المعطرة العبير ... نيسان ... اليس هو باعث الروح والحياة فيها ؟ اليس هو مجدد شبابها ومعيد نضارتها اليس هو شهر الحب وشهر الطبيعة الحالمة الضاحكة ؟ ، والشاطئ السوري الجميل الهادي يتراءى للناظر بأمواجه الزرق ورماله الصفراء الباهتة وكأنه في ذهوله يحلم بماضيه ... ذلك الماضي المشع بعظمة الامة الكبيرة التي كان افرادها رسلاً لمدينة زاهية ومشعالاً لحضارة زاهرة نشرت في كل مكان وحملت الى اقطار الشرق والغرب فكانت خير ما انتجه العقل البشري المبدع الخلاق .

الجبال الشماء المضطربة بالامس تستقبل اليوم عهداً جديداً قائماً على المحبة والسلام فكل ما فيها قد تغير من قبائلها الى حكوماتها الى حكامها فلا غرو بعد ذلك اذا ما غردت بلابلها وتثنت اغصانها وشدت جداولها وشمخت برأسها الى العلاء . فلقد اصبحت موطناً لامة عريقة في المجد جاءت لتأخذ مكانها على

١) راجع كتابنا سنان وصلاح الدين ، ١٩٥٦

قممها وعاهدت الله ان تضع منهاجاً لها يختلف عن مناهج الاولين الغابرين وتبذل اعز ما تملك في سبيل الرفعة والمجد والخلود وتهيء فلذات اكبادها ليكونوا سياجاً يقف في وجه كل من يطمح ببصره اليها ، ولهذا تراها وادعة فلا جيوش تتحرك في مرتفعاتها ولا صلصلة سلاح تسمع في اوديتهـا ولا خيول تصهل في قراها فكل ما فيها يبعث على الاطمئنان ويبشر بمستقبل زاهر يتراءى بافقه الخصب والعيش الرغيد ، هنا راع يقود مواشيه الى الشعاب ويجلس على صخرة عالية يحدق الى الافق البعيد وترسل قيثارته الحان الامل المشع والحب الباسم فيردد صداها الوادي القريب ، انه يبدو حريصاً على قطيعه لا يغفل عنه ولا يحوله النغم الساحر عن واجب الرعاية ، انه حذر من الوحوش وما اكثرها في الجبال ، الوحوش المفترسة التي خرجت من اوكارها واقامت على المرتفعات تراقب عن كثب فريسة تجعلها طعاماً لصغارها وهو يرى النسور ايضاً تحلق في الاعالي تتحدى النجوم وتهزأ بالسحب والدروب خالية من الناس والقرى ...
اما القرى فقد استسلم اهلهـا للراحة بعد التعب يحلمون الاحلام الجميلة التي تتمثل فيها حياة الريف الطاهرة في بساطتها والوانها المشرقة وكيف لا ينامون مطمئنين وقد اصبح العيش في جبالهم طيباً ووفرت لهم فيه اسباب الراحة.. الزراعـة تبشر بالخير العميم والتجارة راج سوقها وارتفعت اسهمها وستكتحل عيونهم غداً برؤية فجر ضاحك يمد رواق الحرية والنور في كل ارض وسيحمل لواءه ملك ضخم يرفعه العمل الجليل الى الذروة ويخلده المجد الذي لا يزول وسيكشف لهم هذا الفجر عن عهد جديد يقربهم الى زعيم مخلص ندي الكف سمح كثير العدل يطل عليهم من عالم مفعم بالطمأنينة والحب ويتجلى في هالة من البطولة والعبقرية والسمو رجل قد نذر نفسه للنضال في سبيل امته وبلاده وعمل على توحيدهم في دولة قوية منيعة الجانب تصمد في وجه الغزاة وترد خطر الاستعمار الدخيل وها ان انوار العهد الجديد بدأت تظهر مشعّة وهاجة فلا حروب تعكر صفو العيش وليس هنالك قوي يأكل الضعيف ، او غني يهضم حق المعوز الفقير لا استثمار ولا اقطاعيـة ولا طبقية او عائلية بل عدالة شاملة وسلام ورخاء واتحاد وحكومة قوية في النظام والامن يقبض عليها بيديه الحديديتين رجل عظيم قدم البلاد منذ عهد قريب واقام في احدى القلاع ينظم الامور

ويسوس الناس سياسة العادل الذي يرد الطغيان ويدفع الاذى ويحطم القيود التي تحجبها القصور الشاهقة وتغطيها التيجان الكاذبة ، رجل اعطيَ السلطة الزمنية والزعامة الدينية تسندهما فرق من الجيش اطلق عليها اسم الفدائية التي فرضت هيبتها على الدول والممالك في الشرق والغرب وارتجفت لذكرها افئدة الحكام في مصر وبغداد.

هذا هو الزعيم الكبير «سنان راشد الدين» النزاري الفاطمي الذي اتخذ مصياف مركزاً له في منتصف القرن الخامس الهجري وهذا هو مزيد الحلي البلبل الصداح الذي ترك حلة بغداد وجاء ليقيم بجانب من احب وليملأ الدنيا شدواً وغناء وهو القائل :

ولما وصلنا ارض « شيزر » صدّنا ... مسيل من العاصي شديد التهجم
فقمنا بعون الله نقطع موجه ... كما فعلت في الترب كف المنجم
وسرنا الى «مصياف» سعياً كما سعى ... الى البيت قوم من قريش وجرهم
وقد نشر الرحمن اطار سندس ... على كل ورد بالرياض معمم
الى ان حططت الان رحلي مسلماً ... اليك وها انت المحكم فاحكم

اجل جاء مزيد قاصداً مصياف حاجاً اليها ففيها امنيته الغالية وضالته المنشودة ، فيها الدعوة الاسماعيلية التي رضع لبانها صغيراً وشبّ على حبها والاعتقاد بها كبيراً ، جاء غير آسف على امارة يتركها واملاك فيها الدور والقصور والمجد والجاه ، ومرابع فيها نفحات من صباه وحبه وطفولته ، جاء وصوت ملح في الاعماق يدعوه وهاتف علوي يناديه انه صوت العقيدة صوت الدين ، صوت الدعوة الهادية التي تدعوه للاستظلال بظلها والانتهال من ينبوعها وترك كل شيء ما سواها ، ترك الدنيا ومتاعها الزائل وعزها الفاني وجاء مسرعاً الى بلدة هي بنظره المدينة الفاضلة او بلدة اهل الخير ، هذه البلدة فيها اهل بيت رسول الله محمد الذين فرض الله محبتهم على كل مسلم لانهم العروة الوثقى والركن والصفا وبئر زمزم وشجرة طوبى وسدرة النهى وجنة المأوى بل هم التين والزيتون والشمس والضحى وحبل الله وكل ما جاء بالقرآن الكريم من فضائل ومكرمات .

ذريني وغيّي وبك غيري محلّلا ... لوصلك بالامال غير محرم
فانك دنيا لمع برقك خلّب ... جهام متى يرفع بناءك يهدم
وعندي لمن يهواك خير نصيحة ... له في معاني شرحها خير مغنم
يوالي ولاة الامر آل محمد ... فحبهم فرض على كل مسلم
هم العروة الوثقى هم الركن والصفا ... هم الحج والمسعى هم بئر زمزم

هم شجرة الطوبى هم سدرة النهى ... هم جنة المأوى هم نار محرم
هم التين والزيتون والشمس والضحى ... وطه وما قد جاء في فضل آدم
هم مرج البحرين يخرج فيهما ... قلائد در في الانام منظم
هم حجة الرحمن بين عباده ... هم الحبل حبل الله لم يتصرم
ولما رأيت الناس في خوض غيهم ... يقولون ان ينجو بغير معلم
تيقنت ان لا بد ما دامت الدنى ... لكل زمان من امام مترجم

هذه اعتقادات شاعرنا مزيد بآل بيت الرسول الكريم وبالائمة الاطهار الذين تسلسلوا من هذا البيت الكريم العريق اذن فليس عليه من حرج اذا ما ناداه هذا الاعتقاد ودفعه هذا الحب الراسخ للهجرة الى «مصياف» وفيها الدعوة النزارية قائمة وفيها « سنان راشد الدين » وهو من اهل البيت .. اجل ليس عليه من بأس ما دام يعتقد ان زيارته لهذه البلدة تعادل زيارته للمدينة المنورة بل وتفوقها ... لانها مركز الامامة ، والاسماعيلية لديها عقيدة ثابتة اصيلة بالامامة لا تتغير ولا تتبدل حسب منطوق الآية القرآنية الكريمة « وجعلها كلمة باقية في عقبه » ، ولنسمع اليه يقول :

يا ليت قومي بعد شط النوى ... بما حباني ذو العلى يعلمون
بحب اتراب كمثل الدمى ... يرشقن قلبي بسهام العيون
يسطعن شبه الشمس يحجبنها ... بل انتم عن نوره تحجبون
نور مضيء لم يزل ساطعاً ... لكنهم عن ضوءه تعمهون
اسماء ذاك النور مسطورة ... في كتب الله التي تقرأون
تأملوا الذكر وآياته ... فانتم قوم به تجهلون.
هل وجه رب العرش باق اذا ... ادرك هذا الخلق ريب المنون
ما الاذن ما العين وما نفسه ... والجنب والنور الذي تنظرون ؟
ما الوارثون الارض ما ارثهم ... بل ما اولي العلم وما الشاهدون ؟
ما المنفقون السر ما معلن ... ما الصوم ما الصائم ما المؤثرون ؟
ما الكلم الطيب ما ضده ... ما الطيبات الخلق ما الطيبون ؟
ما مرج البحرين ما برزخ ... بينهما لو كنتم تعلمون ؟
ما حجة الله على خلقه ... ما الامر بالمعروف ما الآمرون ؟
ما النور ما المشكاة ما ذلك ... الكوكب ما المصباح لو تسألون ؟
نور على نور ليشقى به ... قوم ويحظى بالهدى آخرون
فاصغوا الى الداعي فهل انتم ... صم عن الداعي فلا تسمعون
قلتم يد الرحمن مغلولة ... كاليهود اذ قالوا ولا يشعرون

هل اترل الذكر بلا احمد ام انتم عن احمد مكتفون ؟
ام لم يخلف فيكم وارث جديكم ام انتم الوارثون ؟
ام قولكم انساً بافكارنا وعقلنا رب العلى مدركون
الظن لا يغني فلا تتبعوا في دينكم اهوائكم والظنون
واصغوا الى داعي الهدى وارجعوا عن مسلك الغي الذي تركبون
قد حصحص الحق لمن رامه واقترب الوقت الذي توعدون

وهذه نفثات فلسفية عقائدية وصور للاعتقادات الاسماعيلية يصوغها مزيد بقالبه الجذاب وبديباجته المشرقة وهذه الاعتقادات تقوم على اسس فلسفية عقلية واقعية ونظريات روحية عميقة تقول بمزج الشريعة بالفلسفة واستخراج عقيدة من الاثنتين تقوم على التمسك بتعاليم دينية تستمد اصولها واحكامها من القرآن الكريم وبين الامام لان الاول باعتقادهم هو الامام الصامت والثاني هو الامام الحي الناطق الذي يجب ان يكون في كل عصر وزمان اما ظاهراً واما مستوراً ودعوته قائمة وذلك لحفظ الشريعة وتدبير مصالح الامة والقيام بالوعظ والارشاد والافتاء. ؟ فالله سبحانه وتعالى لما خلق خلقه واوجب عليهم عبادته ارسل اليهم الرسل والانبياء. وجعل محمد خاتمهم وقد جمع الله فيه كل النبوات السابقة ليهديهم ويرشدهم الى سبيله السوي حتى يعم الامن في ارضه وينتشر العدل في بلاده وبعد ذهاب هذا النبي لزم ان يكون بعده من يقوم بوظيفته لهداية الخلق ونشر الامن وتنفيذ الشريعة وتفسير ما اغمض من الآيات والاحكام والقوانين وقد وجب ان يكون اكمل المخلوقات جسداً وروحاً وجامعاً لجميع الفضائل والخيرات وسالماً من كل نقصان لانه امين الله وهادي الخلق ووارث الارض وملهم من الله ومؤيد ومؤتمن على الخلق وان معرفته واجبة على كل الناس لان النفس لا تنجو من العذاب ولا تصل الى الكمال ولا ترقى من عالم الكون والفساد الى فسحات المكان الاعلى الّا بمعرفته وولايته فهو النور الذي هو بمقام النفس في عالم الابداع ثم بمقام العقل الاول بعد زوال الناطق من عالم الدين .

لو خلا الارض من امام لمادت جم الارض واعترتها السماء
جده المصطفى ابوه علي رتضى الحق امه الزهراء
وله المشعران قصداً لمن حجّ والبيت والركن والبطحاء
وله دعوة يقوم بها الحق وتجلى بنورها الظلماء

نبأ اعظم بـه وعد الله   وجـاءت بفضله الانبيـاء
فـاسألوه فهو الغني بمـا   يعلم فيكم وانـتم الفقراء
وارجعوا قبل ان يقول انجز الامر   مريعاً وتنـدم ٠ الاعـداء
يوم لا ينفع العزيز يد العز   ولا ينقذ الذليـل النجـاء

وهذه نفحة من نفحات العقيدة الاسماعيلية يقدمها لنا مزيد بديباجته الجذابة ليقول لنا ان الكون لا يمكن ان يكون خالياً من امام يتولى مقام محمد. واذا خلت الارض منه مادت بمن فيها وزلزلت لأنه عمادها وقطبها واساسها والنبأ الاعظم الذي جاء على ذكره القرآن وبشرت به الانبياء .

وما القرب من دار المحبين صالحاً   اذا كنت عن دين المحقين مبعد
ولا شرف للمرء ان فاته التقى   ولا آل الا آل احمد سوْدد
هم سبب الابداع والله مبدع   هم شهداء الحق والله يشهد
هم الوارثون الارض والارث دائم   هم المالكون الامر والامر سرمد
فلولاهم لم يخلق الله آدماً   ولم تك املاك السموات تسجد
ولم ينج نوح اذ طغى الماء فلكه   ولا نار ابراهيم تطفى وتبرد
ولم يفد موسى عند آيات ربـه   ولا ازره يوماً جارون يندد
ولم يوت داود الزبور ولم ير   سليمان حلم جمرة الجهل تخمد
ولم يحي امواتاً ولم يبرى ابرصاً   ولم يرق في السبع السموات احمد
انـاس لهم في كل يوم وليلة   نذير الى سبل النجاة ومرشد
ائمة حق واحـد بعد واحد   اذا سيد منهم خلا قام سيد
ارى الناس في شك ورقدة مطلع   قبيح لعين بعدما الصبح يرقد
يخوضون في الآراء هذا منزه   لخالقه جهلاً وهـذا مجسد
وهـذا مثنيه وهذا مثلث   وهذا على مـا يدعيه موحد
وهذا يقول الاستقصات ربه   وهذا يقول الكوكب المتفرد
كعمي اقاموا في الظلام ضلالة   ومصبـاح حق بينهم يتوقد
فلم يبصروا اذ ظاهر العين ابيض   ولم يعقلوا اذ باطن القلب اسود
ولو طلبوا الهادي لحكم اختلافهم   لما كان امر حقه الذم يحمد
هو النور نور الله حقاً وفضله   ورحمته والعين والجنب واليد

الا ترى معي هنا ان العقيدة الاسماعيلية الصحيحة التي تقضي بتنزيه الباري عز وجل من جميع النعوت والصفات وتجريده من كل شكل وجسمانية وتوحيده

توحيداً يكبر عن ان تحصره النفوس او تدركه العقول فتراه لا يطلق عليه شيئاً من النعوت والصفات لانها باعتقاده كلها موجبة للانداد والاضداد واطلاقها عليه يوجب الكثرة في ذاته فالله تعالى قادر على معنى ان القدرة قائمة بذاته وجميع الصفات والنعوت واقعة على المبدع الاول او الموجود الاول او العقل الفعال الذي هو ممثول الناطق في عالم الدين ومن بعده المنبعث الاول او الموجود الثاني او النفس الكلية الذي هو ممثول الامام وهذا هو الذي يعنيه مزيد ويصفه بانه صاحب الارض ووارثها ومالك زمامها وسبب الابداع فلولاه لما خلق الله آدم ولا نوح ولا موسى ولا عيسى ولم تكن هنالك سماء ترتفع او ارض تنخفض ، وينتقل شاعرنا ليدافع عن عقيدته ضد الاخرين وبعضهم يتزهون الله جهلًا بدون بيان وبعضهم يجحدونه وبعضهم يعتقد بالهين والاخر بثلاث ثم يرد على من يتخذ القوى الطبيعية الهة له او الكواكب المنفردة كالشمس والقمر وهؤلاء جميعهم بنظر مزيد يخوضون بارائهم كعميان لا يدركون الابيض من الاسود وانهم لو رجعوا الى الصواب وسمعوا الارشاد والحكمة من الدليل لدلهم على الطريق الى معرفة الله وهداهم الى السبيل السوي والمعرفة الحقيقية والاستظلال بظل الباري عز وجل وهذا الدليل هو نور الله وعين الله ويد الله فكما ان الأيدي تجر النفع الى الاجسام وتدفع عنها القذر فالامام محل اليد من الجسم يدفع الاذى عن الدين ويصونه ويحفظه بوضع التوحيد ونفي التعطيل والتشبيه .

وابى الله ان اضلَّ وان	اغفل بين النواة في جلباب
فهداني الى رحيق شراب	بعد ركضي الى لموع السراب
فتمسكت بالادلة للطالب	والوارثين علم الكتاب
داخلًا باب«حطة»حيث لايمكن قصد	البيوت من غير باب
عارفاً بالصلاة والصوم والقبلة	حقاً ،والماء والمحراب
والولا والبرئ والحب والبغض	جميعاً والسلب والايجاب

ان ما اتى به شاعرنا مزيد ليس غريباً او جديداً على الاعتقادات الاسماعيلية التي تتمثل بالحديث الشريف القائل : انا مدينة العلم وعلي بابها ومن اراد الدخول فليأت من الباب وهذا الباب يشكل باعتقاداتهم باب الجنان او باب

«حطة» التي ورد ذكرها بالقرآن الكريم .... اجل ان مزيد يشبه دخوله الى مصياف بالدخول الى باب «حطة» او «المدينة الفاضلة» التي ذكرها «الفارابي» او مدينة «اهل الخير» التي وصفها «اخوان الصفاء».

هلموا فهذا الذي باسمه ... توسل لما عصى آدم
وهذا الذي جبرائيل له ... وميكائيل لم يزل يخدم
وهذا الذي لم تعز فضله ... قريش ولم تمحوه جرهم
وهذا الذي كان في غربها ... فاضحت تمد له الديلم
له الركن والبيت والمشعرين ... اذن والصفا وله زمزم
ولولاه ما خلقت في الورى ... سماء ولا طلعت انجم
هو الاول الاخر المرتجى ... هو الغائب الحاضر المنعم
هو النور والنور لا ينطفي ... هو الحبل والحبل لا يصرم

ليس هنالك اي اطناب او مغالاة فان ما يقوله مزيد لا يختلف عما قاله ابن هانئ الاندلسي او غيره من شعراء الاسماعيلية في الامام الذي هو بتمام النفس في عالم الابداع ولولا هذه النفس التي تسري في كل العالم وتمده بالقوة والحياة لما كانت سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر فهو سببها والوسيط بتصويرها وتصميم خلقها وايجادها.

وتمسكي بحبال آل محمد ... ما عشت لا بحبائل الشيطان
فهم الحياة لكل قلب ميت ... وهم الممات اذ التقى الجمعان
وهم الطريق لمن تبصر بالهدى ... والبارد السلسال للظمآن
وهم الادلة للذين يحبهم ... والواصلين بهم الى الرحمن
قوم هم حجج الاله على الورى ... كيما يدك الكفر بالايمان
منهم محمد النبي وصنوه ... خير البرية قاسم النيران
سبب النجاة لمن اراد نجاته ... والبضعة الزهراء والحسنان
وصاحب الوقت الشفيع تقربي ... وتمسكي ان زلت الندمان
فيه تقرب آدم لما عصى ... وبه نجا نوح من الطوفان
فهو الضياء وكل في زائل ... وهو البقاء وكل شيء فان
وهو القريب وكل قرب مبعد ... وهو البعيد وكل بعد دان
وهو الموحد والموحد في الورى ... سبب الوجود وماله من ثان
شمس انارت فاستضاء بنورها ... بين البرية من له عينان

عجباً لمن تركوا الهدى وتتبعوا ... سبل الضلال وفيهم الثقلان
خلف النبوة والكتاب بكنه ... هذا جذا ليس يفترقان
روح وجثمان وليس بقائم ... من غير روح صورة الجثمان

ان مزيد يقدّم لنا نظرية ليست جديدة بالنسبة الينا من الاعتقادات الاسماعيلية تقول بان في العالم الروحي العلوي حدود روحانية مقابلة لما في العالم السفلي وفي العالم السفلي والعلوي حدود مقابلة لما في الجسم فهذه الحدود قسّمتها الحكماء كما يلي: فقالت وسمّت الحدود العلوية بالسابق والتالي والجد والفتح والخيال والحدود السفلية: الناطق الوصي الامام الحجة الداعي والحدود الجسمانية هي سمع بصر لمس شم ذوق اما حدود عالم الدين التي يذكرهم شاعرنا بقوله:

منهم محمد النبي وصنوه ... خير البرية قاسم النيران
سبب النجاة لمن اراد نجاته ... والبضعة الزهراء والحسنان

فهم اهل البيت: محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة الذين هم الاركان او الدعائم التي قام عليها عالم الدين ومزيد يقر بمعرفتهم حق المعرفة ويؤكد انه على اتصال بولائهم وبطاعتهم وطاعة الائمة من ذريتهم.

وكن واثقاً بامام الزمان ... تجيبك الغصون باثمارها
وكاشف مكنونها بالورى ... جهاراً وعالم اسرارها
فهل ساطح ارضها غيره ... ومجري المياه بانهارها؟
ومرسي الجبال ومجرى البحار ... وفلك تسير بتيارها؟
وسامي السماء بابراجها ... ومزجي السحاب بامطارها؟
فقل للنصارى ورهبانها ... وقل لليهود واحبارها؟
وللصابئين على مائها ... وقل للمجوس على نارها؟
وقل لامة فرقت بيدها ... باقلالها وباكثارها؟
اتخلوا البرية من مرشد ... باعذارها وبانذارها؟
يبين لكم ما اختلفتم به ... ويمحي الذنوب لغفرانها؟
ويحكم في الارض بين العباد ... باقبالها وبادبارها؟

يقول مزيد هنا ان وجود الامام ضروري وواجب على الله لانه سبحانه وتعالى لما خلق خلقه واوجب عليهم عبادته ارسل اليهم رسله لهدايتهم الى الصراط المستقيم ولارشادهم الى السبيل السوي حتى يعم الامن في ارضه وينتشر

العدل في كونه وقد جعل خاتم الانبياء جميعهم محمد رسول المسلمين واوجب بعد موته ان يكون من يقوم مقامه لهداية البشر ونشر الامن فهو الامام كاشف المكنونات ساطح الارض ومجري المياه ومرسي الجبال ومجري البحار فكما ان الله جعل الجبـال اوتاداً للارض لكيلا تزلزل كما قال « والقى في الارض رواسي ان تميد بكم » هكذا جعل الائمة اوتاداً للدين يمنعونه ان يتزلزل وبنيان الارض ان يتهدم .

وكيف افزع من ريب الزمان ولي … كف بحبل بني الزهراء قد علقا
وصاحب الوقت ذخري عند آخرتي … اذا النفوس رأت في موتها رهقا
فهو السبيل سبيل الله معتصماً … للقصد والعروة الوثقى لمن وثقا
وعلة لوجود الخلق من عـدم … لولا تفضله بالخلق مـا خلقا
فلو اشار الى الافلاك منتدباً … لفارقت جزعاً من بأسه الافقا
ورام ان يملك الدنيا وساكنها … بسيفـه مدّت الدنيا له عنقا
به دعا آدم لما عصى وبـه … نوح بنا الفلك لما عاين الغرقا
وقد توسّل موسى باسمه ودعا … اذ خرَّ موسى لرؤيا ربه صعقا
وقام أحمد بالاحزاب منتقماً … من الطغاة وفي السبع الطباق رقا
عجبت من امة زاغت بصائرها … عنه وما عرفوا القول الذي سبقا
ضلّوا وهل يهتدي من ضلَّ في طرق … لا يقتدي بدليل يعرف الطرقا
قوم كأنهم خشب مسندة … لا يفقهون اذا ما باطل زهقا
غرقى ولا يحملون الفلك منقذهم … عطشى ولا يردون المنهل الغدقا
دانوا بما تحكم الاراء وافترقوا … عن الدليل فاضحى دينهم غرقا

وهنا نرى شاعرنا مزيد يرد على جميع الفرق الذين حادوا عن طريق الامامة ولم يعرفوا جوهرها فيقول لهم بان الدنيا بجميع مخلوقاتها خلقت للامـام فهو علتها وسببها وكما ان الجسم خلق للنفس فكذلك الدنيا خلقت للامام وهذا هو المراد بقول الحكما. « العالم انسان كبير والانسان عـالم صغير » ، ثم نراه ينعي عليهم اعتقاداتهم ويشبههم للخشب المسندة الذين سيطر عليهم البـاطل واصبحوا غرقى والفلك على مقربة منهم وعطشى والمنهل العذب قريب منهم وكل ذلك لانهم تركوا طريق الامامة وابتعدوا عن الدليل ودانوا بما تحكم الآراء..

يا اماما اجرى العلوم بحارا … واقام الحدود فينـا جبالا

يا اماما يسقي العدو غساقا	ثم يسقي الولي عذباً زلالا
يا اماما عم البرية عدلا	واباح الفضاء عدلاً ومالا
يا اماما يحكي المز سموا	وعلوّاً ورفعة وجلالا
وفخاراً ثم علماً وحلماً	جل اسماً وكنية وفعالا
انا لولاك ما تجنبت في الدهر	حراماً ولا وصلت حلالا
وهجرت الطاغوت والجبت والانصاب	والازلام والدجالا
واجبت الداعي الى جنة الخلد	فوقيت النيران والاغلالا
ثم اني انبت حجة وقتي	وتمسكت بالعهود الثقالا
ونبعت الامام آمر ديني	فأزال الامام عني الضلالا
ثم اقررت بالاساس وبالناطق	اقرار مؤمن يتوالى
وتحققت الجد والفتح والتالي	والسابق النهي والخيالا
وعبدت الذي اليه دعوني	جل ربي عن مثله وتعالى
قادر قاهر سميع بصير	غمر الخلق نعمة ونوالا

ان شاعرنا مزيد الحلي يثبت بما جاء به الان انه من الدعاة العلماء الاجلاء الذين رضعوا لبان المعرفة صافية ودرسوا الاصول والاحكام للعقيدة الاسماعيلية ووصلوا الى معرفة اسرارها حتى ترتيب الحدود ومراكزها واسمائها ، وتراه بادئ ذي بدء يبحث النقطة الاساسية بهذه العقيدة وهي الامام الذي يشكل بنظرهم الموجود الثاني او المنبعث الاول او اللوح الذي صار حجاباً وباباً لتصوير كافة صور المخلوقات التي ابدعها الله ، وان المعجزات والدلائل التي يظهرها والفضائل التي يعلن عنها جميعها من تأييد العقل الاول الذي هو الموجود الاول او القلم الذي يخط صور الاشياء والمخلوقات ، اذن فكل التأييدات للامام تأتي عن طريق الناطق او النبي فهو وحده حده الاول ومعلمه ومرقيه ومستخلفه في الامة والنبي مثل الذكر والامام مثل الانثى والنبي مثل السماء والامام مثل الارض وعند انتقال النبي لزم ان يستلم الامام رتبته في عالم الدين فيصير بمقامه لا فرق بينهما ولذلك كان النبي يقول لعلي : انا وانت يا علي كهاتين ويجمع بين اصبعيه المسبحتين من يديه اليمنى واليسرى وقال لا اقول كهاتين وجمع بين المسبحة والوسطى ، وترى مزيد ينتقل ليذكر الحدود الجسمانية والروحانية وهذه الناحية من اهم المواضيع عند الاسماعيلية التي تقول بان الله ابدع القلم واطلقوا

عليه السابق وجعلوا له الصفات التي وصف الفلاسفة بها العقل الكلي وقد اضافوا الى هذه الصفات اسماء الله الحسنى بعد ان نزهوا الله تعالى عنها وجردوه منها وقد جعلوا العقل الكلي والنفس هما الكلمة التي قامت بها جميع المخلوقات وجعلوا ايضاً ثلاث حدود تلي هذين الحدين هم الجد والفتح والخيال الذين هم ممثولين ميكائيل واسرافيل وجبرائيل وان مزيد هنا يمدح الامام ويقول عنه بانه مثل للعقل الثاني وانه نور خلق قبل ان يخلق العالم وانه يتكون من جسم كثيف شانه في ذلك شأن سائر البشر ومن روح لطيف يناسب ممثوله في العالم العلوي والروحي لانه ممثول المنبعث الاول والموجود الثاني حسب معتقداتهم .

ففي كل يوم اقتني منه حكمة فهل يعدمن الورد من جاور البحرا
سوى انه عذب لمن رام علمه وملح اجاج للذي يبتغي الشرا
فان نلت منه ظاهرًا نلت ماءه وانت رمت منه باطنًا نلته درا
اذا نحن الفينا السؤال اجابنا ومن هزّ نخلا مثمرًا اكل الثمرا
واذ نحن اسكتنا حياء افادنا ففزنا به علماً وفاز بنا اجرا
امام اليه فوض الله دينه وملّكه الدنيا ورد له الامرا
امام اعز الله تأييد نصره فقد نصر الايمان وامتحق الكفرا
امام ملوك الارض اضحت عبيده فمن خانه منهم تملّكه قهرا
ابوه علي الطهر والجد احمد نبي الهدى والام فاطمة الزهرا
وهذا هو الفخر الذي ليس مثله اذ نحن عددنا المناقب والفخرا
اليك معادي يا امامي وعدتي وماخاب عبد كنت انت له ذخرا

لا يزيد شاعرنا مزيد الحلي اية فكرة جديدة او صورة مبتكرة بل نراه يعود لتكرار ما قاله من الابيات السابقة عن امامه وكيف ان اتصاله به يزيده علماً ومعرفة فهو البحر العميق للعلوم وهو الشخص الكامل الذي فوض عليه الله امر الدين ثم جعله قائدًا للدنيا واماماً لها يتصرف بشئونها كيفما اراد لانه منح النفوس وخلّصها من عالم الكون والفساد وهذا الامام حاز الفخر من كل اطرافه فأبوه محمد وعلي وامه فاطمة الزهراء فكيف لا يكون كما وصفناه وقد تسلسل من هذا البيت الكريم ووقعت عليه نصوص الامامة الهادية اذن بعد هذا لم يبق اي مجال لمدح مادح او وصف واصف .

وامدح هديت بني النبي فانهم لهم المكارم في غد والجود

السابقون المدركون بسبقهم	والسادة الغر الكرام الصيد
والصائمون المؤثرون بقوتهم	والقائمون فركع وسجود
والناطقون الصادقون بنطقهم	والعاملون فشرع وحدود
نظر المهيمن في الخلائق نظرة	قدما وقد عبدت سواه عبيد
فاختار احمد واصطفاه وخصه	باخيه حيدر فهو عنه يزود
فبنى النبي الدين وهو مهدّم	ومحا الوصي الشرك وهو مشيد
وتلا النبي فأنت منذر من عصا	ولكل قوم هادي ورشيد
اذ قال يوم غد برخم خطبة	قد زانها التقديس والتمجيد
فاتاه جبرائيل من رب السما	بلّغ فما دون البلاغ مزيد
من كنت مولاه فهذا حيدر	مولاه يأمرني به المعبود
انا للعلوم وللنبوة فيكم	دار وهذا الباب والاقليد
وهو السفينة من يطه فقد نجا	ومن اطّرحه ففي الضلال يسود
ارضيتم قالوا نعم وقلوبهم	فيها لبغض بني النبي حقود

يقول شاعرنا مزيد ان نفسه تأبى ان تمدح انساناً غير اهل بيت النبي الكريم والائمة الذين ينحدرون من هذا البيت فهم اصحاب المكرمات وهم السابقون بالخلق اي ان مركزهم في عالم الدين كمركز السابق وهم اول الحدود واول الموجبات والناطقون بالكتب المنزلة والقائمون على تنفيذ اوامر الانبياء. والعاملون لترتيب الشرع وتركيز الحدود الدينية الروحية ، ثم ينتقل الى القول ان محمداً هو الذي قام بيناء الدين وان علياً هو العامل الاساسي لمحو الشرك من الدين ثم نرى مزيداً ينتقل ليذكر بقصة تاريخية مشهورة هي وصية النبي محمد في «غديرهم» عند حجّة الوداع واعلانه النص على علي وقوله لهم: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره وأدر الحق معه كيف دار» ، انا مدينة العلم وعلي بابها ، علي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك .

فقالت النفس جدي بالمسير الى	خير البرية من عجم ومن عرب
ولذ به طالباً واقصد خيرته	نجو به من عظيم الهم والكرب
وجئت اقصد من أولاه ما عرفت	سبل الهداية في كل الورى يجب
داعي الدعاة ومنجا الناجحين الى	سبل الرشاد بلا شك ولا كذب
الى الامام الذي أولاه ما عرفت	سبل الهدى واقتدا ماجاء في الكتب

قال الامام حديث صح وارده عن الثقات اولي الانوار والحجب
لو تخلو الارض يوماً من مثبتها لمادت الارض بالافلاك والقطب
وقال من مات منكم ثم ليس له علم به مات موت الجهل في الحقب
لولا الدليل لما كان الطريق به علماً ولا كان ذا نطق وذا ادب
ولم يكن يخلق الرحمن خالقته من سائر الخلق في بعد وفي قرب .

بهذا القدر انهي بحثي عن مزيد وشعره العقائدي الفلسفي تاركاً لجمهور القراء الكريم الحكم على هذا الشاعر العبقري المغمور، واتخذها مناسبة لتوجيه كلمة موجزة لادبائنا وشبابنا المثقف لافتاً نظرهم وداعياً اياهم للبحث والدراسة والتنقيب عن الكنوز المدفونه من ادبنــا العربي والتي يتوقف اظهارها على جهودهم الطيبة ونهضتهم المباركة .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)

رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

سنة احدى وعشرين وثلاثمائة[١]

قبض ابن مقلة على جماعة من العمال منهم النوبختي اسحاق بن اسماعيل وعلي الكلوذاني وعتب عليه انه لم يراع اهله وقت غيبته (٩٦/٥١) واخذ خطه ابني الف دينار وسلمه الى ابي بكر بن قرابة .

وقبض على بني البريدي وضمن اعمالهم[٢] محمد بن خلف النيرماني[٣] بزيادة ثلاثمائة الف دينار وضمن له ابن قرابة ان يصادرهم على ستمائة الف دينار[٤] .

ولم يزل ابو عبدالله البريدي بداري محمد بن خلف ويعرفه انه يعمل بين يديه فرقه من بين اخوته[٥] .

وتوصل ابو عبدالله حتى ضمنه ابن قرابة واطلق .

ومضى[٦] البريدي الى ابن مقلة وقال عرفت من ابن خلف انه يطلب الوزارة فانفذ خدمه وحجابه للقبض عليه فهزمهم محمد بن خلف وحصلهم في بيت واقفل عليهم بابه وتسور السطوح وهرب فلم يظهر الا بعد عزل ابن مقلة .

ومضى[٦] البريدي الى الاهواز بتوسط ابن قرابه حاله .

وكان ابن مقلة يعادي ابا الخطاب [ا] بن ابي العباس بن الفرات فلم يجد للقبض عليه طريقا[٧] لانه ترك التصرف منذ عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخول ضيعته .

---

١) طالت اخبار هذه السنة لانه جمع بينها وبين اخبار سنة ٣٢٢

٢) في تجارب الامم ٥/٢٤٦ وضمن اعمالهم من محمّد بن خلف النيرماني

٣) في الاصل البرماني والتصويب عن تجارب الامم ٥/٢٤٦

٤) هذه الجملة وضمن له ابن قرابة . . . مكررة في الاصل .

٥) في تجارب الامم ٥/٢٤٧ الجماعة

٦) في الاصل ومضا

٧) في تجارب الامم ٥/٢٥٠ طريقًا ديوانيًا

وكان ابن مقلة استسعفه ايام نكبته فاعتذر بالاضافة ولم يستعفه فطهر[؟] ابو الخطاب اولاده ودعا اولاد ابن مقلة فعادوا الى ابيهم واخبروه بزينته فتركه حتى قصده للسلام فقبض عليه وطالبه بثلاثماية الف دينار فقال بم يحتج علي الوزير وقد تركت التصرف من عشرين سنة وفي حال تصرفي كنت الزم الصحة ولي على الوزير حقوق مثله لا ينساها ولولا تهجينه لي لقد كنت اظهر خطوطاً له عندي (٩٧/٥١) قبل هذه الحال وما اريد من رعايتها الا السلامة وان كان يعتقد انني ورثت من ابي مالا، فاننا كنا جماعة اولاد ولو كان شي لتقاسمناه.

فقال ابن مقلة للخصيبي عاقبه فعوقب فلم يذعن فقال اضربوا عنقه فقال للسياف وجهني الى القبلة واخذ يتشهد.

فقال مونس وقيد بلغه الخبر اي طريق لك على رجل لم يعمل منذ[١] سنة تسع وتسعين ومايتين (٩١١) وتوسط امره على عشرة الاف[٢] دينار وصرفه الى منزله.

وتوسط ابن شيرزاد حال هارون بن غريب على مصادرة بثلاثماية الف دينار وعني[٣] به مونس المظفر فقبلت مصادرته وقلد اعمال ماه الكوفة وماسبذان.

وكان هارون بواسط ففارقه عبد الواحد ابن المقتدر ومحمد بن ياقوت وابنا رايق وسرور ومفلح وقصدوا السوس واخربوا البلاد في طريقهم واقاموا بسوق الاهواز فنفذ لحربهم بليق[٤].

وانحدر بدر الخرشني في الما[.].

وكوتب احمد بن نصر القشوري وهو يتقلد البصرة للسير معه.

فلما تحصلت الجيوش بواسط تغير اصحاب ابن ياقوت[٥] عليه وصاحب البريدي بليق وضمن تستر عسكره وعمل بالاهواز كل عظيم من المصادرات واخذ الامتعة واتى بعده البريدي فعمل كمعله.

وقال ابو عبدالله البريدي لما رأيت انحلال امر بليق[٤] هممت بالتغلب وصار

١) في الاصل منذ
٢) في الاصل ١٠الاف
٣) في الاصل وعنا
٤) في الكامل ٦/٢٢٤ وتجارب الامم ٥/٢٥٤ يلبق
٥) في تجارب الامم ٥/٢٢٥ محمد بن ياقوت

بين محمد بن ياقوت وبليق نهر فحلف بليق لمحمد بان لا يناله من جهته سوء اذا عبر اليه ، فعبر اليه محمد في غلام واحد وانفرد وحلف كل واحد منها لصاحبه فاصطلحا (٩٨/٥٢) على ان يسيرا الى الحضرة ويكون بينهما منزل .

واشار البريدي على ابن الطبري ، كاتب بليق[١] بان يخاطب استاذه في القبض على محمد فلما خاطبه ، قال ما كنت لاخفر[٢] امانتي .

وحلف بليق يتستر[٣] البريدي فعمل بها كل قبيح .

ورحل ابن ياقوت وتبعه بليق الى مدينة السلم فلما دخل بليق خلع القاهر عليه وطوقه وسوره واطلق املاك ابن رايق ومحمد بن ياقوت ومفلح وسرور .

وبيعت دار الوزارة بالمخرم وكانت قديماً لسليمان بن وهب وذرعها اكثر من ثلاث مائة الف ذراع وقطعت وصرف ثمنها في مال البيعة للقاهر بالله .

وورد الخبر من مصر بموت تكين الخاصة .

واشار ابن مقلة بانفاذ علي بن عيسى فجاء ليلا واستشفع الى كرمه به وعرفه كبر سنه فاعفاه عن الشخوص[٤] لما تذلل له وهم بتقبيل يده فمنعه من ذلك .

وورد كتاب محمد بن تكين يخطب مكان ابيه فاجيب اليه فشغب الجند عليه بمصر وهزموه .

وانحرف ابن مقلة عن محمد بن ياقوت ومكن[٥] في مع القاهر عليهم وان رسوله في ذلك عيسى الطبيب .

فوجه مونس بعلي بن بليق الى دار الخلافة وهجم غلمانه على عيسى الطبيب فاخذوه من بين يدي القاهر ونفاه مونس من وقته الى الموصل .

واستتر محمد بن ياقوت ووكل مونس بدار القاهر وامر بتفتيش كل من يدخل اليها حتى فتش لبناً مع احد الجواري[٦] وخاف ان تكون (٩٩/٥٢) فيه رقعة.

---

١) في تجارب الامم ٥/٢٥٦ يلبق

٢) في الاصل لا حضر والتصويب عن تجارب الامم ٥/٢٥٦

٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٥/٢٥٧ وخلف يلبق تستر فعمل بها البريدي اعظم مما عمل القراريطي بكثير . . .

٤) في الاصل السخوص

٥) بعدها بياض في الاصل وفي تجارب الامم ٥/٢٥٩ فمكن في قلب مونس المظفر ويلبق وعلي ابنه انه في تدبير عليهم مع القاهر

٦) في الاصل الجوار

واخذ المحبوسين فيها[١] وسلم والدة المقتدر الى والدة علي ابن بليق فاقامت عندها مرهفة عشرة ايام وماتت بعد ذلك وحملت الى التربة بالرصافة فدفنت بها .

وباع ابن مقلة الضياع والاملاك السلطانية لتمام مال البيعة بالفي الف واربعماية الف دينار .

وتقدم بالقبض على البربهاري ورئيس[٢] الحنابلة[٣] فهرب .

وقبض على جماعة من كبار اصحابه ونفاهم الى البصرة .

قال بعض اهل العلم خرجنا في يوم مطير مع جنازة ابن هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد[٤] الوهاب الجبائي[٥] ، الى باب البستان فاذا نحن بجنازة معها جماعة[٦] ، هذه جنازة ابي بكر بن دريد[٧] ، فبكينا على الكلام والادب وذلك في سنة احدى وعشرين وثلاثماية (٩٣٣) .

فاما ابو هاشم فبينه وبين[٨] اثنا عشر سنة وله الكتب المشهورة في الكلام وفي الرد على ابن الراوندي والملحدة .

قال الخطيب سأله بعض اصحابه عن مسئلة فاجابه ، فقال يا ابا هاشم الصاحي بوضع رجلي السكران اعرف من السكران بوضع رجلي نفسه يعني ان العالم بما يحسنه الجاهل من الجاهل بقدر ما يحسن[٩] .

---

١) في الكامل ٦/٢٢٥ ونقل يلبق من كان بدار القاهر محبوساً الى داره كوالدة المقتدر وغيرها . . .

٢) في الاصل ونيس والتصويب عن تجارب الامم ٥/٢٦٠ والكامل ٦/٢٣٣

٣) في تجارب الامم ٥/٢٦٠ الحبلية

٤) ترجم له في وفيات الاعيان ١/٤٨٠ ومعجم الادباء والبداية والنهاية ١١/١٧٦ والمنتظم ٦/٢٨١

٥) في الاصل الجباي وفي الكامل ٦/٢٣٤ والبداية والنهاية ١١/١٧٦ سلسلة نسبه

٦) بعدها بياض في الاصل وفي المنتظم ٦/٢٦٢ فقلت جنازة من هذه ، فقالوا جنازة ابي بكر بن دريد

٧) ترجم له في نزهة الالبا للانباري ٣٢٢ وفي وفيات الاعيان ١/٤٩٧ والفهرست ٩١ والبداية والنهاية ١١/١٧٦-١٧٧ والمنتظم ٦/٢٦١ وتاريخ اداب اللغة لزيدان ٢/١٨٨

٨) كذا في الاصل نقص ٩) تاريخ بغداد ١١/٥٥ الترجمة ذات الرقم ٥٧٣٥

واما ابو بكر بن دريد فهو صاحب كتاب الجمهرة[١] وهو اشعر العلما[٢] ومن شعره المقصورة[٣] نقلت من خط التميمي له :

أعادُ من اجلك لا من ضنى[٤] وساير العُوّاد اشراكي
ولست اشكوك الى عايد اخاف ان اشكو الى شاكي[٥]

وله :

(١٠٠/٥٣) وحمراء قبل المزج صفراء بعده اتت بين ثوبي نرجش[٦] وشقايق
حكت وجنة المشوق صرفًا فسلطوا عليها مزاجًا فاكتست لون عاشق[٧]

ومن شعره :

كل يوم يروعني بالتجني من اراه مكان روحي مني
مشبه للهلال والظبي[٨] والغصن بوجه ومقلة وتثني
جمع الله شهوة الخلق فيه فهو في الحسن غاية المتمني
امن العدل ان ارق ويجفو[م] ني واشتاقه ويصبر عني[٩]

وفي هذه السنة تم تدبير القاهر على مونس وانعكس ما دبره مع ابن مقلة من القبض على القاهر وذلك انه لما عومل بما ذكرناه وضيق عليه التضييق الذي شرحناه راسل الساجية وضربهم على مونس وبليق وضمن لهم الضمانات الكثيرة.

---

١) طبعت الجمهرة هـذه طبعة اولى مصححة ومنقحة بحيدر اباد الدكن سنة ١٣٢٤ بثلاثة اجزاء رابعها فهارس عامة اطلب كشف الظنون عمود [٦٠٥] وبروكلمن ١١٢/١ وملحق ١٣٧/١

٢) جمع له ديوانًا السيد محمد بدر الدين العلوي، استاذ اللغة العربية في الجامعة الاسلامية علي كره وطبعه في مصر بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ صفحاته ١٤٣

٣) زيدان ١ تاريخ اداب اللغة العربية ١٨٨/٢ كتب عنها لمة وكشف الظنون عمود [١٨٠٢] وبروكلمن ١١١/١–١١٢ و١٤/٣ و٢٥ وملحق ١٧٣/١

٤) في الاصل ضنا

٥) لم اجد هذين البيتين في الديوان المذكور آنفًا

٦) كذا في الاصل ولعله يريد نرجس .

٧) في الديوان ٨٦ حكت وجنة المشوق قبل مزاجها وفي حماسة ابن الشجري ٢٥٩ فلما مزجناها حكت لون عاشق

٨) في الاصل الضبي

٩) لم اجد هذه الابيات في الديوان المذكور آنفًا

وكانت اختيار قهرمانة القاهر تخرج من الدار وتتوصل الى ان تخفي ليلا الى ابي جعفر محمد بن القيم بن عبيدالله وتشاوره في امور القاهر .

وعزم ابن مقلة وبليق وابو الحسن بن هارون على خلع القاهر وتولية ابي احمد بن المكتفي بالله . فاشار عليهم مونس بالتمهل وامرهم بالتلبث الى ان ينبسط القاهر ثم يقبضون عليه فاتفق لبليق ان خادمه صدمه في الميدان صدمة اعتل فيها .

وبادر ابن مقلة بمكاتبة القاهر يعلمه ان القرمطي[١] قد وافى[٢] الكوفة وقد قررت انا ومونس مع علي بن بليق الخروج اليه وامرناه بلقاء امير المؤمنين في ليلتنا (١٠١/٥٣) هذه . وكان قصدهم انه اذا وصل اليه قبض عليه واتبع الرقعة باخرى متمضن الحال فاستراب القاهر وخاف ان تكون حيلة . ونم الخبر اليه من جهة طريف السكري[٣] .

فلما كان بعد العصر حضر ابن بليق منتبذا[٤] ومعه عدد يسير من غلمانه وكان الظاهر قد ارسل الساجية يحضروا بالسلاح وشتموا عليا وحملوا على القبض عليه فحامى غلمانه عنه وطرح نفسه من الروشن الى الطيار وعبر [من ليلته الى الجانب الغربي][٥] واستتر من ليلته .

واستتر ابن مقلة وابن قرابة .

وانحدر بليق ليعتذر لابنه فقبض عليه القاهر وراسل مونسا واعلمه الحال وساله في الحضور فاعتذر بثقل الحركة فعاوده في السوال في الحضور فاستقبح له طريف السكري التاخر فلما حصل في دار السلطان قبض عليه فكانت وزارة ابن مقلة للقاهر تسعة اشهر وثلاثة ايام .

وزارة ابي جعفر محمد بن القسم بن عبيد الله

ووجه القاهر الى ابي جعفر محمد بن القسم بن عبيد الله فاستحضره في

١) في الاصل القرمضي
٢) في الاصل وافا
٣) في البداية والنهاية ١١/١٧٢ اليشكري ولعله الصواب
٤) في الكامل ٦/٢٢ وفي راسه نبيذ
٥) زيادة عن الكامل ٦/٢٢ يقتضيها السياق

مستهل شعبان وقلده وزارته وخلع عليه يوم الاثنين ثالث شعبان خلع الوزارة .

ووجه القاهر من يومه من استقدم عيسى المتطبب من الموصل .

وانفذ الى دار ابن مقلة بباب البستان فطرح فيها النار .

وظهر محمد بن ياقوت وصار الى دار السلطان وخدم في الحجبة ثم علم كراهية طريف والساجية والحجرية له فاحتال في الهرب واستتر وانحدر الى ابيه بفارس وجلس يرى الصوفية[1] ($\frac{١٠٢}{٥٦}$) في الما وركب البحر ووافى مروبان وجاء ليسلا الى ارجان فنزل على ابي العباس بن دينار وانفذ اليه ابوه مالا وكسوة وتلاحق به اصحابه وقلده[2] القاهر كور الاهواز ثم اصبهان .

واستحجب القاهر سلامة الطولوني وقلد ابا العباس خاقان[3] الشرطة بجانبي[4] بغداد واخذ القاهر ابا احمد بن المكتفي من دار عبد الله بن الفتح فسد عليه باب بيت وعرف باستتار علي بن بليق في دار فانفذ من كبسها فاستتر في تنور فاطبق عليه غطاوه فتاخر بعض الرجال عن اصحابه حين لم يجدوه واتى الى التنور ففتحه وظن ان فيه خبزا يابسا فلما رآه[5] صاح فعاد[6] اصحابه فاخذوه وضرب بين يدى القاهر وادى عشرة آلاف[7] دينار وحبسه .

وقبض الوزير ابو جعفر على اخيه الحسين بعد ان امنه ونفاه الى الرقة وقال انه يعتقد مذهب ابن ابي العزاقر .

ثم ان رجال مونس وبليق شغبوا وقصدوا دار الوزير ابي جعفر فاحرقوا روشنه .

وتقدم القاهر بذبح علي بن بليق وانفذه الى ابيه فلما رآه بكى[8] ثم ذبح بليق وانفذ راسيهما[9] الى مونس فلما رآهما[10] لعن قاتلها فذبح كما تذبح الشاة[11]

١) في تجارب الامم ٢٦٥/٥ بزي اصحاب المحابر

٢) في تجارب الامم ٢٦٥/٥ وكاتبه القاهر بما يسكنه منه واعلمه انه عجل على نفسه واستوحش وقلده . . .

٣) في تجارب الامم ٢٦٦/٥ ابا العباس احمد بن خاقان

٤) في الاصل بجاني

٥) في الاصل رءاه

٦) في الاصل فعادوا

٧) في الاصل وادا وءالاف

٨) في الاصل رءاه بكا

٩) في الاصل راسها

١٠) في الاصل رءاهما

١١) في الاصل الشات

واخرج الروس في ثلاث[١] طسوت حتى شاهدها الناس واعيدت الى خزانة الرؤس [كما جرت العادة][٢].

وكان وزن راس مونس بعد تفريغ دماغه ستة ارطال.

وسهل القاهر امر ابن مقلة حين اخذ من الاستتار فاطلقه.

وقبض الوزير[٣] على ابي جعفر بن شيرزاد[٤] واخذ خطه بعشرين الف دينار.

وكبس على بني البريدي فلم يوجدوا.

(١٠٣/٥٢)واحضر القاهر علي بن عيسى وقلده وسطا وسقي الفرات وقبض القاهر على الوزير محمد بن القسم[٥] فكانت وزارته ثلاثة اشهر واثنا عشر يوماً.

واخذ من داره ابو يوسف البريدي.

واستدعى[٦] القاهر عبد الوهاب بن عبيد الله الخاقاني واسحاق بن علي القناني[٧] على ان يولي احدهما الوزارة وجلس القواد بين ايديهما فخرجت رسالة بالقبض عليهما وادخالهما المطبق[٨]

ثم وجه[٩] الى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة فحضر وتلقاه القواد وقبلوا يده ووجه بمن قبض عليه وحبسه.

ثم وجه الى الفضل بن جعفر واستدعاه ليستوزره فاستتر.

ثم استدعى[٦] الخصيبي وخلع عليه وكتب للبريديين امانا بعد ان صادر ابا يوسف على اثني عشر الف الف درهم.

ولما اتاه عبدالله عاتبه وقال له شمت[١٠] ام اخي وهي امي[١١] وحقوقي

١) في الاصل ثلات
٢) زيادة عن الكامل ٢٢٩/٦ يقتضيها السياق
٣) في تجارب الامم ٢٧٠/٥ الوزير هو ابو جعفر
٤) في تجارب الامم ٢٧٠/٥ ابو جعفر محمد بن شيرزاد
٥) نسبه في الكامل ٢٢٩/٦ فقال: ابو جعفر محمد بن القاسم ابن عبيد
٦) في الاصل واستدعا
٧) عرفه ابن الأثير في اللباب ٢/٥ فقال: ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي القناني
٨) في تجارب الامم ٢٧٢/٥ الحبوس الغامضة
٩) اي القاهر كما هو في تجارب الامم ٢٧٢/٥
١٠) في الاصل شمت
١١) في تجارب الامم ٢٧٣/٥ لما ذكرت ام ابي يوسف وهي امي

عليك توجب صيانتها عن الذكر القبيح فقال له دع ما مضى[١] فانني لم املك نفسي وقد وصفتك لامير المؤمنين ولا بد من الفي الف درهم فقال ابو عبدالله لقد اعتبتني[٢] ايها الوزير واحسنت التلاقي فقال بجياتي عليك اكتب خطك بهذا المبلغ فكتب به خطه وانصرف .

وانحدر البريدي الى واسط وعقدها القاهر عليه بثلاثة عشر الف درهم واتاها وبها علي بن عيسى وقد عمرها وقال عيسى المتطبب للبريدي ان القاهر يريد القبض عليك فاستتر ولم يظهر حتى خلع القاهر .

وزارة الخصيبي

(١٠٦/٥٥) وكان ابن مقلة يراسل الساجية والحجرية في استتاره ويضريهم[٣] على القاهر .

وكان الحسن بن هارون يلقاهم ليلا بزي السوال وفي يده زبيل[٤] حتى تمت له الحيلة .

وبذل لمنجم[٥] كان يخدم سيما مايتي دينار حتى قال له من طريق النجوم انه يخاف[٦] عليه من القاهر .

وبلغ الخبر باستيلاء اصحاب ابن رايق على الاهواز .

وبلغ الخصيبي ما عول عليه الحجرية والساجية من قصد دار السلطان فانفذ عيسى المتطبب[٧] الى القاهر ليخبره بالحال ، فوجده نايما مخمورا واجتهد في انباهه فلم ينتبه لشدة سكره .

فقام سيما بهم وركبوا معه الى دار السلطان ورتب على كل باب من ابوابها

---

١) في الاصل مضا . وفي تجارب الامم ٢٧٣/٥-٢٧٤ دع ما مضى الخليفة

٢) في تجارب الامم ٢٧٤/٥ اغنيتني

٣) في الاصل ويضرحم والتصويب عن تجارب الامم ٢٨٦/٥

٤) في الاصل ربيل ، وقال في اقرب الموارد الزَّبِيل القفة وقيل الجراب وقيل الوعاء جمع زبابيل

٥) في الكامل ٢٣٦/٦ الباذل هو ابن مقلة ، وعرّفه الصولي في الاوراق صفحة١ ، اخبار الراضي والمتقي وهو سيما المناخلي

٦) في الاصل يخاف

٧) في الاصل المتصبب ، ولعيسى هذا ترجمة في كتاب القفطي اخبار العلماء ص ١٦٥

جماعة من الحجرية والساجية وامرهم بالهجوم في وقت عينه وهجم من باب العامة فوقف به ودخل اصحابه .

فخرج الخصيبي في زي امراة واستتر .

وانحدر سلامة الى مشرعة الساج واستتر .

ولما علم القاهر بالحال انتبه من سكره وافاق وهرب الى سطح حمام في دور الحرم ووقع في ايـديهم خادم صغير فضربوه بالدبابيس[1] حتى دلهم على موضعه فاخذوه وعلى راسه منديل ديبقي وبيـده سيف مجرد واجتهدوا به في النزول اليهم وقالوا نحن عبيدك وما نريد غير التوثق لانفسنا وهو ممتنع حتى فوق اليه احدهم سهما فنزل .

وقبضوا عليه ضحوة يوم الاربعا لست خلون من جمادى الاخيرة سنة اثنين وعشرين وثلاثماية (٩٣٣) .

واتوا الى محبس طريف السبكري فكسروا قيده وحبسوا القاهر مكانه ووكلوا به

(١٠٠ ب) وظفروا بزيرك خادمه وعيسى المتطبب واختيار[2] القهرمانة .

واستدلوا على الموضع الذي فيه ابو العباس محمد بن المقتدر فدلهم على مكانه خادم[3] فوجدوه ووالدته معتقلين ففتحوا عنهما .

ووقع النهب ببغداد .

خلافة الراضي[4] بالله ابي العباس[5] محمد بن المقتدر
رحمها الله

وامه ظلوم .

وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام .

---

١) في تجارب الامم ٢٨٩/٥ بالطبرزينات والدبابيس ضرب من العصي قصير له راس كالكرة مفردها دبوس

٢) في الاصل احتيار

٣) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ خليفة لزيرك الخادم

٤) افاض في البداية والنهاية ١٧٨/١١ في ذكر اخبار خلافة الراضي وانما في جملة اخبار سنة ٣٢٢ هـ وكذلك في تجارب الامم ٢٨٩/٥ والمنتظم ٢٦٥/٦ والصولي في الاوراق في اخبار الراضي بالله والمتقي لله ؛ تسرد ت ٥) كلمة ابي العباس في الاصل كتبت على سطر اعلى

اجلسه الساجية والحجرية على السرير وبايع له القواد[١] وبدر الخرشني ولقب بالراضي بالله .

واستحضر علي بن عيسى واخاه عبد الرحمان وشاورهما فعرفه ابو الحسن ان سبيله ان يعقد لواء نفسه[٢] على رسم الخلفا ففعل ذلك واستحفظ باللواء في الخزانة وتسلم خاتم الخلافة وهو خاتم فضة وفصه حديد صيني عليه مكتوب ثلاثة اسطر محمد رسول الله .

وانفذ الى القاهر بن طالبه تسليم خاتمه اليه وكان فصه ياقوتا احمر وعليه منقوش بالله محمد الامام القاهر بالله امير المومنين يثق . فامر ان يسلم الى نقاش حاذق فمحاه[٣] .

ومضى[٤] القاضي ابو الحسين[٥] والقاضي ابو محمد الحسن ابن عبد الله بن ابي الشوارب فامتنع ان يخلع نفسه فقال علي بن عيسى اخلعوه فان افعاله[٦] مشهورة واعماله معروفة .

وسمل في تلك الليلة .

واخذ البيعة للراضي(١٠٦/٥٦) علي بن عيسى واخوه وسال الراضي علي بن عيسى ان يتقلد الوزارة فاستعفاه وقال اني لا افي بالامر واشار بابن مقلة وكان مستترا وكتب له امانا فظهر .

وزارة ابن مقلة

ومضى[٧] النـاس اليه وهو في دار ابن عبدوس الجهشياري[٨] فجوه وخلع عليه خلع الوزارة .

وظهر من الاستتار مفلح الاسود خادم المقتدر وسرور وملفل[٩] والحسين بن هارون وابو بكر بن قرابة .

---

١) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ هو علي بن عيسى

٢) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ لنفسه

٣) زاد في تجارب الامم ٢٩٠/٥ ونقش له خاتم آخر عليه الراضي بالله

٤) في الاصل ومضا

٥) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ ابو الحسين عمر بن محمد

٦) في الاصل اماله

٧) في الاصل ومضا

٨) في الاصل الجهشيارى

٩) كذا في الاصل ولعله يريد فلفل

وصاروا الى ابي علي وهنوه وقال ابن مقلة لما اتاه الناس كنت مستترًا في دار ابي الفضل بن ماري النصراني فسعى بي القاهر قبل زوال امره بشهرين وعرف موضعي واني لجالس وقد مضى نصف الليل[١] اتحدث مع ابن ماري اخبرتنا زوجته ان الشارع قد امتلا بالمشاعل والشمع والفرسان فطار عقلي وادخلني ابن ماري بيت تبن وكبست الدار وفتشوها ودخلوا بيت التبن وفتشوه بايديهم فلم اشك انني ماخوذ وعهدت وعاهدت الله تعالى على انه ان نجاني من يد القاهر بالله ان انزع عن ذنوب كثيرة وانني ان تقلدت الوزارة آمنت[٢] المستترين واطلقت ضياع المنكوبين ووقفت وقوفا على الطالبين فما استتمت نذري[٣] ، حتى خرج القوم وانتقلت الى مكان آخر[٤] .

وما نزع من الخلع حتى وفى بالنذر .

وكتب ابن ثوابة في خلع القاهر كتاباً قري على المنابر .

واطلق ابن مقلة المحبسين .

وقلد الراضي بالله الشرطة ببغداد بدر الخُرشني .

وكان زبرك القاهرى قد اجمل عشرة (١٠٧/٥٦) الراضي وقت اعتقاله فكافاه[٥] بان قلده امر حرمه واكرمه وسلم ابن مقلة عيسى المتطبب الى بني البريدي فاخذوا منه ثلاثين الف دينار ارتفق بها منهم ورددوه على ابن مقلة وقالوا انه قد امتنع من اداء شي .

ولم يعترف القاهر بشي سوى خمسين الف دينار ، ففرقها الراضي في الجند .

وقلد ابن مقلة ابا الفتح الفضل بن جعفر[٦] خلافته على سائر الاعمال .

وقلد ابا عبدالله البريدي خوزستان[٧] وقلد اخوته البصرة والسوس وجنديسابور وكور دجلة وبادوريا والانبار وبهرسير وقطربل ومسكن .

---

١) في الاصل الليل

٢) في الاصل ءامنت

٣) تكررت هذه الجملة في الاصل

٤) في الاصل ءاخر

٥) في الاصل فكفاه

٦) نسبه في الكامل ٢٣٨/٦ فقال ابا الفضل جعفر بن الفرات

٧) في الاصل حوزستان

وكتب الى علي بن خلف بن طياب باقراره على فارس وكرمان .

وقلد الحسن بن هارون ما قلده علي بن عيسى من اعمال واسط بمائة الف كر شعير وعشرة الاف[1] كر ارز واربعمائة كر سمسم والف الف واربعمائة الف درهم.

وقلد القراريطي كتابة ابن ياقوت الزمام وديوان الفرات فسفر حينئذ لصاحبه محمد بن ياقوت في الحجبة .

وحمل الى سيما خمسة عشر الف دينار حتى عرف الراضي بالله انهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت وانفق هذا الوجه بحجبه على القواد مائة الف وعشرين الف دينار .

فغاظ[2] ابن مقلة لانه استدعى ابن رايق وهو بالباسيان لذلك ولم يمكنه تغيره فلما صار ابن رايق بالمداين امره الراضي بالانحدار الى واسط واضافها الى اعماله بالبصرة وغيرها .

وكان ابن ياقوت برامهرمز[3] عازماً على التوجه الى اصبهان فكوتب بالاصعاد فالتقى ابن ياقوت [في][4] طياره وابن رايق في حديديه[5] فسلم كل (١٠٨/٥٧) واحد منهما على صاحبه ايماء من غير قيام .

وتلقى ابن ياقوت الحجرية والساجية ودخل على الراضي فخلع عليه وقلده الحجبة وصار اليه الناس الى داره بالزاهر ولم يقم لاحد الا لابن مقلة ولعلي بن عيسى .

واستولى ابن ياقوت على الامر .

وحصل ابن مقلة مع كاتبه القراريطي[6] متعطلا .

واخذ خطوط البريديين بمائة الف دينار .

وكان هارون بن غريب بالدينور فعرف الحال بينهما وهي على عشرة فراسخ من بغداد عازما على ان يتقلد الجيش فكره الناس ذلك .

---

١) في الاصل ٠الاف

٢) في الاصل فماط

٣) في الاصل برا جرمز

٤) زيادة يقتضيها السياق

٥) اقرأ وصف الحديدي في كتاب معجم المراكب والسفن في الاسلام لحبيب زيات المشرق ٤٣/٣٢١

٦) في الاصل القربرطي

واستحضر ابن ياقوت ابن شيرزاد واوصله الى الراضي بالله حتى حمله رسالة اليه يامره بالرجوع الى الدينور .

فمضى[1] ومعه القراريطي فالتقى به بجسر النهروان فلم يقبل قال ومن جعل ابن ياقوت احق بالرياسة[2] مني وقد كان يجلس بين يدي وانا نسيب امير المؤمنين وقال للقراريطي لولا انك رسول لقتلتك . فانصرفا[3] الى بغداد .

واستخرج هارون اموال طريق خراسان فعسف الرعية وظلمهم .

وسار ابن ياقوت في الحين الى[4] . . . فنزلها وانفذ ابن شيرزاد[5] برسالة جميلة وعرض عليه تسبيب الاموال على النهروانات فلم يقبل .

ومضى[1] كثير من الجند الى هارون مستامنين واشتد القتال وابن ياقوت يقرا في مصحف ويسبح وهو في عدد قليل حتى انهزم اصحابه ونهب سواده .

وبلغ هارون ان محمدا قد عبر قنطرة نهر بين[6] فبادر وحده ليأسره فتقطر به فرسه فسقط عنه في ساقية فلحقه غلام[7] ابيه يمن الغربي فضربه ضربة عظيمة (٣٢٢/٥٠١) وبادر غلام اسود فذبحه ورفع رأسه فتفرق اصحابه ونهب الحجرية والساجية سوادهم .

وامر ابن ياقوت بتكفينه[8] ودفن بپرس[9] من غير ان يصلى عليه ودخل بغداد وبين يديه راسه ورؤوس اصحابه فامر الراضي بنصبها على باب العامة .

ثم ان والده الراضي سالت ان تحمل جثته ويدفن راسه في تربته بقصر عيسى فاجابها الى ذلك .

---

١) في الاصل فضا

٢) في تجارب الامم ٣٠٨/٥ بالحجبة والرئاسة

٣) كذا في الاصل ولعله يريد فانصرف ، كما هو في تجارب الامم ٣٠٨/٥

٤) بعدها بياض في الاصل ، وفي تجارب الامم ٣٠٨/٥ شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالخضر ، ونزل في المضارب .

٥) نسبه في تجارب الامم ٣٠٨/٥ هو ابو جعفر محمد بن شيرزاد

٦) نهر بين : كورة من كور الاهواز ، معجم ما استعجم ٢٩٧/١

٧) في الكامل ٢٤٠/٦ غلام له اسمه يمن وفي تجارب الامم ٣٠٩/٥ يمن غلامه

٨) في الكامل ٢٤٠/٦ وامر بغسله وتكفينه وفي تجارب الامم ٣٠٩/٥ وا بتكفينه ودفنه

٩) كذا في الاصل

واخذ ابن مقلة لابنه ابي الفتح امانا من الراضي وقطع امره على ثلاثين الف دينار .

وفي رجب هذه السنة مات ابو جعفر السجري الحاجب وبلغ من السن مائة واربعين سنة قال ابن سنان وراسه صحيح الحواس والبصر منتصب الظهر ملزز[١] الاعضاء بغير معاون وقال له علي بن عيسى انما قطعت مالك لكذبك في سنك فقال ايها الوزير استدع الجرايد من شر من راى فانك تجد اسمي فيها واسم[٢] من... قبلي وبعدي فوجد الامر كما قال . وقال ابن ابي داود السجستاني اعرفه واهله وهم معمرون وحكي انه يذكر دخول هرثمة وهو في المكتب .

واراد الراضي تولية محمد بن الحسن بن ابي الشوارب القضاء بمدينة المنصور كما كان يتولى ذلك ابوه فشفع محمد بن ياقوت في امر ابي الحسن حتى لم يغير[٣] عليه وكتب عهده حتى زال الارجاف عنه .

وضمن ابو يوسف البريدي اعمال واسط والصلح والمبارك واستخلف عليهما الحسين بن علي النوبختي وكان يتقلدهما لهارون ابن غريب وكان عفيفا خبيرا بالاعمال .

وكان ابن مقلة قد احدر الخصيبي (١١١ / ٥٨) وسليمان بن الحسن الى البصرة وامر البريدي بنفيها في البحر فخف بها ليلة فكادا يغرقان وايسا من الحياة فقال الخصيبي اللهم اني استغفرك من كل ذنب وخطية واتوب اليك من معاودة معاصيك الا من مكروه ابي علي بن مقلة ان قدرت عليه جازيته عن ليلتي هذه وما حل بي منه فيها وتناهيت في الاساءة اليه فقال سليمان وفي هذا الموضع وانت معاين للهلاك تقول هذا فقال ما كنت لاخادع ربي .

ولما وصلا الى عمان عدل بالخصيبي الى سرنديب فعرف سليمان ابن الحسن بن وجيه خبره فامر برده الى عمان .

ولما عزل الراضي ابن مقلة وولى عبد الرحمان بن عيسى ضمن الخصيبي ابن مقلة فلما رآه[٤] تلفت نفسه فاسمه الخصيبي نهاية ما كره وسلمه الى الدستواني

---

١) في الاصل ملزر

٢) بعدها بياض في الاصل

٣) في الاصل يغر

٤) في الاصل رءاه

وكان لابن مقلة اليه اساءة لانه سلمه الى ابن البريدي حتى ان الوى[1] نعمته فعمل الدستواني بابن مقلة صنوف المكاره .

وجاء ابو بكر بن قرابة فضمن عنه ماية الف دينار والفي دينار ودفعت الضرورة الى ان وزن ابن قرابة المال من عنده .

وفي هذه السنة ظهرت حال ابن ابي العزاقر[2] وكان يدعي ان اللاهوت قد حل فيه وكان قد استتر عند بختيشوع[3] بن يحيي المتطبب وتتبع حتى قتل وقتل جماعة صدقوه .

سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية

في صفر مات ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة ($\frac{111}{58}$) ابن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي النحوي المعروف بنفطويه[4] ومولده سنة خمسين ومايتين (٨٦٤) وصلى عليه ابو محمد البربهاري ومن شعره :

استغفر الله مما يعلم الله ان الشقي لمن لم يرحم الله
هبه تجاوزني[5] عن كل مظلمة واحسرتا[6] من حياتي[7] حين القاه

وله :

اهوى الملاح واهوى ان اجالسهم وليس لي في حرام منهم وطر
وهكذا الحب لا اتيان معصية لا خير في لذة من بعدها سقر

---

١) في الاصل الوا

٢) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٤١/٦ ابن ابي الغراقر ، وفي اللباب لابن الاثير ٢٧/٢ ترجمة مختصر

٣) في الاصل تحيتشوع

٤) نسبه في الكامل ٢٥٠/٦ ، وترجم له في الحاشية رقم ٣ ، وننقرأ له ترجمة في بغية الوعاة ١٨٧ والمنتظم ٢٧٧/٦ وابن كثير في البداية والنهاية ١٧٣/١١ وانباه الرواة للقفطي ١٧٦/١ وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٧٢

٥) في المنتظم ٢٧٧/٦ تجاوز لي

٦) في المنتظم ٢٧٧/٦ واسوأتا

٧) في الاصل حياءي

واجتاز[1] علي بن بقلي[2] فكال[3] كيف الطريق الى درب الراسين فالتفت الى جار له فقال فعل الله بغلامي وصنع قال وكيف قال : جعل السلق تحت البقل في اسفل البنيكه[4] حتى اصفع هذا الماض بظر[5] امه فتركه ابن عرفة وانصرف ولم يجبه بشي .

وفي هذا الشهر صرف عبد الرحمان ابن عيسى عن الدواوين واحضر ابن مقلة ابن شنبوذ وقال له بلغني انك تقرا حروفا في القرآن[6] بخلاف ما في المصحف وكان ذلك بحضرة ابن مجاهد واهل القرآن[6] فاعترف بقراءة ما عزي اليه من الحروف منها اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا الى ذكر الله[7] .

واغلظ للوزير وللجماعة في الكلام ونصرَ ما عزي اليه فامر به ابن مقلة فضرب فدعا عليه بتشتيت الشمل وقطع اليد ودعا على ابن مجاهد بثكل الولد وعلى الضارب له بالنار فشوهد قطع يد ابن مقلة وثكل ابن مجاهد ولده .

ثم انه استيب ($\frac{١١٢}{٥٩}$) عن قراءة الحروف فتاب منها . .

ودعا الائمة في الجوامع لابن ياقوت فانكر ذلك الراضي وصرفهم .

وقرر ابن مقلة مع الراضي القبض على محمد بن ياقوت لما غلب على الامور وانفرد بجباية الاموال وتضمين الاعمال .

فلما دخل ابن ياقوت دار الخلافة عدل به الى حجرة فقبض عليه وعلى كاتبه القراريطي ونهبت دار القراريطي وحده .

وتقلد الحجبة ذكي مولى الراضي .

واخذ خط القراريطي بخمسماية الف دينار .

---

١) في الاصل واحتاز

٢) كذا في الاصل وفي المنتظم ٢٧٧/٦ فتقدم الى رجل يبيع البقل وفي اخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ص ٧٦ القصة بتمامها

٣) كذا في الاصل وفي المنتظم ٢٧٧/٦ فقال

٤) كذا في الاصل البنيكة

٥) في الاصل بطر

٦) في الاصل القرءان

٧) القران ، الجمعة الاية ٩ وروايتها كاملة : يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون

وكان ياقوت بواسط فلما علم القبض على ابنيه انحدر الى السوس فكاتبه ابن مقلة بالمصير الى فارس لفتحها وكان علي بن بويه قد تغلب عليها .

وهذه حال الامير ابي الحسين علي بن بويه[١] الملقب بعد عماد الدولة لقبه بهذا اللقب المستكفي بالله عند وصول اخيه الامير ابن الحسين اليه[٢]

هو احد قواد مزداويج[٣] بن زيار الديلمي فانفذه ليستحث[٤] له مالاً في الكرج فاتاها فاخذ منها خمساية الف درهم وصار الى همدان ففتحها عنوة وقتل كثيرا من اهلها ثم صار الى اصبهان فتركها عليه المظفر بن ياقوت مسالما ولم يلبث بها علي بن بويه حتى اخرجه منها اصحاب مزداويج[٣] فصار الى ارجان وكاتب ياقوت وخاطبه بالامارة وساله ان يقبله وكان قد استخرج من ارجان ($\frac{١١٣}{٥٩}$) مايتي الف دينار ووجد كنوزا كثيرة واشتدت شوكته وصار في الف وخرج اليه ياقوت في بضع عشرة الاف[٥] من الغلمان الحجرية وغيرهم فساله علي بن بويه ان يفرج له عن الطريق لينصرف الى باب السلطان فمنعه[٦] وطمع فيه لقلة عدده وما معه من المال ولقيه على باب اصطخر[٧] ونصر ياقوت في يومين عليه وواقعه في اليوم الثالث وهو يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الاخيرة سنة اثنين وعشرين وثلاثماية (٩٣٣) وحمل ابو الحسين احمد بن بويه معز الدولة في ثلاثين رجلا على ياقوت حملة صادقة فهزم ياقوت الى شيراز ولم يصدق بهزيمته بل ظنها مكيدة حتى عرف ذلك في آخر[٨] النهار .

فمضى وراءه[٩] واقام على فرسخ من شيراز ودخل معز الدولة شيراز في ثمانين من الديلم فقتل من السودان الفا ونادى في اصحاب ياقوت فخرجوا واتى ياقوت الاهواز .

---

١) في المنتظم ٦/٢٦٨ ابي الحسن ، وله ترجمة ايضاً في البداية والنهاية ١١/١٧٣
٢) هذا المقطع بخط اكبر
٣) في البداية والنهاية ١١/١٧٣/ والمنتظم ٦/١٦٨ مرداويج براء مهملة
٤) في الاصل لليحث ، ولعل الصواب ما ذكرنا
٥) في الاصل ٠الاف
٦) في الاصل فمه
٧) في الاصل اصطخر
٨) في الاصل ٠اخر
٩) في الاصل فضا وراء

ولما ملك عماد الدولة شيراز طالبه اصحابه بالمال وكان مملقا فخاف من فساد امره فاستلقى على ظهره في مجلس من دار ياقوت وخلا فيه مفكرا ، فرأى[١] حية قد خرجت من سقف منه الى سقف فخاف ان تسقط عليه اذا نام فامر الفراشين بالصعود فوجدوا غرفة بين سقفين فامرهم بفتحها فوجدوا بها صناديق فيها خمسماية الف دينار فتقوت نفسه واستدعى[٢] خياطا[٣] اطروشا ليخيط له ثيابا وكان الخياط موصوفا بالحذق وكان يخدم ياقوت [١]

فلما خاطبه في تقطيع الثياب ($\frac{١١٦}{٦٠}$) حلف في الجواب انه لا وديعة عنده سوى اثني عشر صندوقا لا يدري ما فيها فعجب فوجه بمن حملها وعجب من الحال[٤] وكاتب الراضي بالله يساله ان يقاطعه على فارس بثمانية الاف[٥] الف درهم فاجيب.

وانفذ اليه ابن مقلة ابا الحسين بن ابرهيم المالكي الكاتب ومعه خلع ولواء، وامره ابن مقلة ان لا يسلم ذلك اليه الا عند تعجيل المال فلما قاربه تلقاه على فرسخ واخذ منه الخلع فلبسها ودخل شيراز واللواء بين يديه ولم يدفع الى المالكي شيئا ومات بشيراز فحمل تابوته الى بغداد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية (٩٣٤)

ووافى علي بن خلف بن طيار بغداد فقبض عليه بن مقلة وصادره على ثلاثماية الف دينار وانفذ اليه بابي الحسن احمد بن محمد بن ميمون صاحب بيت المال وقال له يقول الوزير لك عندي ماية الف دينار فحطها من الجملة واكتب الخط بالباقي فقال علي بن خلف من اي جهة هذا الدين فعاد ابن ميمون فقال له يقول لك الوزير تذكر وانا بشيراز وقد سالتك على ابي طالب بدر بن علي النوبندجاني[٦] من خراجه خمسماية الف درهم فامتنعت وعاددتك وقلت ان حططتها عوضتك عنها ماية الف دينار ففعلت ولزمني ضماني لك وصار دينا لك علي وهذا وقت القضا .

١) في الاصل فرا

٢) في الاصل واستدعا

٣) في الاصل حياطا بحاء مهملة والتصويب عن تجارب الامم

٤) اطلب القصتين في تجارب الامم ٥/٢٩٨-٢٩٩ وقال في البداية والنهاية ١١/١٧٧ فامر باحضارها فاذا فيها اموال عظيمة تقارب ثلثمائة الف دينار

٥) في الاصل الاف ٦) في الاصل النويندجاني

وقد السلطان ياقوت [١] الاهواز وصار كاتبه ابو عبدالله البريدي .

وانفذ اخاه ابا الحسين للنيابة عن ياقوت واخيه بالحضرة .

وكان مع عماد الدولة ابو سعيد (١١٥/٦٠) النصراني الرازي يكتب له .

وضمن شيراز منهُ ابو الفضل العباس بن فسانجس .

وانتهى[١] الى مزداويج خبر علي فقامت قيامتهُ وانفذ اصبهلار عسكره شيرز بن ليلى في الفين واربعماية من الديلم والجيل الى الاهواز فقطع ياقوت قنطرة نهر اربق واقاموا بازاء ياموت اربعين يوما لا يمكنهم العبور ثم عبروا على اطواف بنهر المسرقان فهرب البريدي واهل الاهواز الى البصرة .

واتى ياقوت واسطا فاخرج له محمد بن رايق عن غربيها فنزل فيه .

واقام علي بن بويه عماد الدولة الخطبة لمزداويج وانفذ اليه الرهون على طاعته فسكنه بذلك .

فبينا هم كذلك اتاهم الخبر بان مزداويج في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية (٩٣٤) قتلوه في[٢] الحمام باصبهان وحمل تابوته[٣] الى الري ومشى[٤] الديلم والختل[٥] حوله حفاة[٦] اربعة فراسخ ووفى[٧] رجاله لاخيه وشمكير فولاهم من غير عطا .

فلما عرف شيرز[٨] بن ليلى خلو اصبهان سار اليها واتى الري فبايع[٩] وشمكير واستوزر ابن وهبان القصباني وكان يبيع القصب بالبصرة وصار في جملة ابن الخال فتنقلت بـه الحال الى ان تقلد همدان واستامن الى مزداويج عن هزيمة هارون فعفا عنه ونفق عليه وجعل اليه كور الاهواز وقال له قد جعلت اليك الفي دينار في كل شهر فان اديت الامانة استوزرتك ونصبت الرايات بـين

---

١) في الاصل وانتها
٢) قصة قتله مطولة في الكامل ٦/٢٤٤–٢٤٥ وفي تجارب الامم ٥/٣١٠
٣) قال في البداية والنهاية ١١/١٨٢ وذهبت طائفة من الاتراك معه الى اخيه
٤) في الاصل ومشا
٥) كذا في الاصل ولعلها الخيل
٦) في الاصل حفاتا
٧) في الاصل ووفا
٨) في الاصل شير بن ليلى
٩) في الاصل فابيع

بديك وشرهت لمعدتك العظيمة وكركرتك الكبيرة والحلاوات بخورستان كثيرة فلاشقن بطنك بهذه الدشنى العريضة (١١٦/٦١) فقال له ستعلم ايها الامير نصحي وامانتي .

وكانت هذه الفتن[١] نعمة على البريدي[٢] لانه حصل من الاموال ما لم يحاسب عليه .

وحصل ابو عبدالله وابو يوسف اربعة الاف[٣] دينار خرجا بها على السلطان.

وابعد ابن مقلة خلقا من الجند عند ضيق الاموال واحالهم على البريدي فصاروا اليه فقبلهم واضافهم الى غلامه اقبال فاجتمع معه ثلاثة الاف[٣] رجل

وخرج توقيع الراضي بالله في جمادى[٤] الاولى بتلقيب ابي الحسن علي ابن[٥] الوزير ابي علي بن مقلة بالوزير وسنه اذ ذاك ثمانية عشر سنةوان يكون الناظر في الامور صغيرها وكبيرها وخلع عليه خلع الوزارة وطرح له مصلى في مجلس ابيه .

وركب بدر الخرشني صاحب الشرطة فنادى[٦] ببغداد ان لا يجتمع من اصحاب ابي محمد البربهاري نفسان .

واستتر البربهاري .

وخرج من الراضي توقيع[٧] طويل في معناهم وكانت حال البربهاري قد زادت ببغداد حتى انه اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمته اصحابه فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة في الوقت وهو في روشنه فسال عن الحال فاخبر بها فاستهولها .

واصحابه يذكرون عنه صلاحا كثيرا واضداده يذكرون خلاف ذلك حتى حكوا عنه انه حمل في درج مقفول له منطر[٨] بعرة وجاء الى بزاز في الكرخ فقال هذه بعرة جمل ام المؤمنين عايشة رضي الله عنها واريد ان ارهنها عندك على الف دينار فاعتذر الرجل فتركه فلما كان من الغد اجتاز عليه فصعد وقبل لحيته وقال (١١٧/٦١) رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقبلها فتركه اصحابه امرد وحكاياتهم في امثال هذا عنه كثيرة .

١) في تجارب الامم ٣٢١/٥ الفتنة
٢) في تجارب الامم ٣٢١/٥ ابي عبدالله وابي يوسف البريديين
٣) في الاصل ٤٠الاف
٤) في الاصل جماد
٥) في الاصل بن
٦) في الاصل فنادا
٧) نقرأ نسخته في تجارب الامم ٣٢٢/٥
٨) كذا في الاصل

سعيد[١] بن حمدان في ضمان الموصل وديار ربيعة سرا ومضى اليها في خمسين غلاماً فقبض عليه حين وصل اليها ابن اخيه ابو محمد الحسن بن عبد الله وقتله فانكر ذلك الراضي فامر ابن مقلة بالخروج اليه فاظهر ابن مقلة ان علي بن عيسى هو الذي كاتبه حتى عصى[٢] وصادر عليا على خمسين الف دينار واخرجه الى الصافية .

واستخلف ابن مقلة ابنه بالحضرة وصار الى الموصل فتركها ابو محمد ورحل الى بلد الزورا[٣] ، فاستخرج ابن مقلة مال البلد[٤] واستسلف من التجار على غلاته فحصل معه اربعماية الف دينار .

فبذل سهل ابن هاشم كاتب ابي محمد [بن][٥]حمدان للوزير ابي الحسين ابن[٦] الوزير ابي علي عشرة الاف[٧]دينار حتى كاتب اباه ان الامور بالحضرة مضطربة فانزعج واستخلف على الموصل علي بن خلف بن طياب[٨] وانصرف الى بغداد وخرج اليه الامير ابو الفضل متلقيا ولقي الراضي بالله وخدمه فخلع عليه وعلى ابنه .

وقبض على جعفر بن المكتفي حين بلغهم انه دعا الى نفسه ونهب منزله واخذ له مال جزيل وكانت داره قريبا من الزاهر .

وممن استجاب له يانس المرفقي وكان نزل بقصر عيسى فابعد الى قنسرين والعواصم وجمل اليه اعمالها .

١) قبله: ياض في الاصل وفي الكامل ٢٤٨/٦ وفيها قتل ناصر الدولة ابو محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان عمه ابا العلاء بن حمدان وسبب ذلك ان ابا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل . . . وفي تجارب الامم ٣٢٣/٥ ، وفيها قتل الحسن بن عبدالله بن حمدان عمه ابا العلاء سعيد بن حمدان الخ . . .
٢) في الاصل عصا
٣) في الكامل ٢٤٩/٦ وتجارب الامم ٣٢٦/٥ الزوزان
٤) اي الموصل
٥) زيادة عن تجارب الامم ٣٢٦/٥ يقتضيها السياق
٦) في الاصل بن
٧) في الاصل الاف
٨) في تجارب الامم ٣٢٦/٥ ابن خناب

وفي شهر رمضان توالى وقوع الحريق بالكرخ منها في صف التوزيين[1] (١١٨/٦٣) اصيب به خلق من التجار فعوضهم[2] الراضي مالا وكان المقار لقوم من الهاشميين فاعطاهم عشرة الاف[3] دينار .

واحترق ثمانية واربعون صفا من اسواقها طرح النار قوم من الحنبلية حين قبض بدر الخرشني على رجل من اصحاب البربهاري يعرف بالدلا .

واحترق خلق من الرجال والنساء .

ووقع حريق ثالث احترق فيه الحدادون والصيارف والعطارون .

وقبض الوزير ابو الحسين بن مقلة على ابي الحسين البريدي فتوسط بينهما ابو عبدالله محمد بن عبدوس فصادره على خمسين الف دينـار يسلمها بالاهواز ومضى[4] معه الكوفي لياخذها فلم يسلم اليه شيئا وكان الكوفي يحمل عشرته ويقول اقمت معه غير متصرف ولا داخل تحت تبعه سنة وحصل لي منه خمسة[5] وثلاثون الف دينار وتقلدت هناك امر ابن رايق وكفيت امر ابن مقلة .

وكاتب ابن مقلة البريدي كتابا يقول فيه ويل للكوفي انفذته ليصلحك لي فافسدك علي والله لاقطعن يديه ورجليه .

واتى ابو محمد بن حمدان الى الموصل وبها اصحاب السلطان وعلى حربها ماكرد الكردي فهزموه ثم هزمهم وكتب يسال الصفح ويقوم بمال الضمان فاجيب الى ذلك ولم يستوف التجار الغلات التي ناعمهم[6] اياها ابن مقلة فتظلموا فاحالهم على عمال السواد ببعض اموالهم وباعهم بالباقي ضياعا سلطانية فلم تحصل من سفرته حينئذ فايدة وهرب من دار الوزير ابي علي القراريطي .

وقبض على ابي يوسف عبد الرحمان بن محمد بن دارة (١١٩/٦٣) بسوق العطش وصودر على خمسين الف دينار .

١) في البداية والنهاية ١٨٢/١١ في طريق الموازين ، وفي المنتظم ٣٧٦/٦ قال وفيها ، اي هذه السنة ، وقع حريق عظيم في الكرخ في طرف البزازين فذهبت فيه اموال كثيرة للتجار فاطلق لهم الراضي ثلاثة الاف دينار

٢) في الاصل فعوظهم

٣) في الاصل ١٠الاف

٤) في الاصل ومضا

٥) في الاصل خمسة

٦) كذا في الاصل

ومات محمد[١] بن ياقوت في الحبس واخرج الى القضاة[٢] فشاهدوه وسلم الى اهله وباع الوزير ضياعه واملاكه .

وغلا السعر ببغداد حتى بلغ الكر من الحنطة مائةوعشرين دينارا والشعير تسعين دينارا .

ومات ابو عبدالله محمد بن خلف النيرماني بالاعمال التي استولى عليها مرداويج وكان قد انفذ اليها .

واقبل غلمان مرداويج[٣] متقدمهم بجكم الى جسر النهروان فامروا بدخول الحضرة .وعسكروا بالمصلى واضطرب الحجرية لذلك فكاتبهم ابن رايق وهو يتقلد اعمال المعاون بواسط والبصرة فانحدروا اليه فاسنى لهم الرزق وجعل متقدمهم بجكم الرايقي واتته الاعراب والقرامطة فقبلهم واستفحل امره .

سنة اربع وعشرين وثلاثمائة

في شهر ربيع الاول مات الامير هارون بن المقتدر بالله واغتم عليه الراضي غما شديدا واتهم بختيشوع[٥] بانه افسد تدبيره فنفاه الى الانبار ثم سالت فيه السيدة فاعاده .

واطلق المظفر بن ياقوت من الحبس .

وقلد ابن مقلة محمد بن طغج الاخشيد اعمال مصر مع ما[٦] اليه من الشام .

وعزل عن مصر احمد بن كيغلغ .

وقطع ابن رايق مال واسط والبصرة واحتج باجتماع الجيش عنده .

ولما خرج المظفر بن ياقوت من الحبس عول على التشفي من ابن مقلة وكان قد حلف له على صفا النية .

واعتضد ابن مقلة ببدر الخرشني

١) نسبه في الكامل ٢٤٩/٦ ابو بكر محمد
٢) في الاصل القضات
٣) في البداية والنهايه ١٨١/١١ وتجارب الامم ٣٣٠/٥ مرداويج براء مهملة
٤) في المنتظم ٢٨٨/٦ اخوه الراضي
٥) في الاصل بختيشوع
٦) في الاصل مما

واوحش المظفر للساجية والحجرية (١٢٠/٦٣) فصارت كلمتهم واحدة واحدقوا بدار السلطان وضربوا الخيم .

وكان المظفر يظهر للوزير انـه مجتهد في الصلح فحلف لهم وحلفوا له ولبدر الخرشني .

ودبر ابن مقلة الخدار الراضي الى واسط مظهرا انه يقصد الاهواز حتى يقبض[1] على ابن رايق فاخذ معه القاضي ابا الحسين ليسمع[الرسالة][2] من الخليفة وساله [ان][3] يتقدم بها الى ابن رايق .

فلما حصل في دهليز الصحن التسعيني شغب عليه المظفر بن ياقوت مع الحجرية وقبضوا عليه وعرفوا الراضي انه المفسد الاحوال وسالوه ان يستوزر غيره وذكروا علي بن عيسى فامتنع فاستشاره الراضي فاشار باخيه عبد الرحمان فانفـذ الراضي بالمظفر بن ياقوت الى عبد الرحمان فاحضره .

وزارة عبد الرحمن بن عيسى للراضي بالله

خلع عليه لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وسار الجيش معه الى داره واحرقوا دار ابن مقلة واستتر اولاده .

وحكى ان ابن مقلة لما شرع في بناء داره بالزاهر جمع له المنجمون حتى اختاروا وقتا لبنايه ووضع اساسه بين المغرب وعشاء الاخرة فكتب اليه بعضهم :

قل لابن مقلة مهلا لا تكن عجلا	واصبر فانك في اضغاث احلام
تبني بانقاض دور الناس مجتهدًا	دارا ستنقض ايضا بعد ايام
ما زلت تختار سعد المشترين[4] لها	فلم توقَّ بـه من نحس جرام
ان القران وبطليموس ما اجتمعا	في حال نقض ولا في حال ابرام

وجرى[5] على ابن مقلة من المكاره ما يطول شرحه وضرب بالمقارع (١٢١/٦٣) واخذ خطه بالف الف دينار وكان بضيق النفس لان الدستواني دهقه على صدره .

قال ثابت بن سنان دخلت اليه لاجل مرض اصابه فرايتـه مطروحا على حصير خلق على بارية وهو عريان بسراويل ومن راسه الى اطراف اصابعه كلون الباذنجان فقلت انه محتـاج الى الفصد فقال الحصيني يحتاج ان يلحقه كد في

١) في الاصل تقبض
٢) زيادة عن تجارب الامم ٣٣/٦
٣) زيادة ليستقيم بها سياق القول
٤) في المنتظم ٣١٠/٦ المشترى
٥) في الاصل وجرا .

المطالبة فقلت ان لم يفصد تلف وان فصد ولحقه مكروه تلف فكاتبه الخصيبي ان كنت تظن ان الفصد يوفهك فبيس ما تظن ثم قال افصدوه ورفهوه اليوم ففصد وهو يتوقع المكروه .

فاتفق للخصيبي ما احوجه للاستتار فكفي ابن مقلة امره .

وحضر[1] ابن قرابة وتوسط امره وضمنه حمله الى داره واطلقه بعد ايام وانفذه الى ابيه .

وكرهت الحجرية مقام بدر الخرشني بالحضرة فصرفه الراضي عن الشرطة وقلده[2] باصبهان وفارس فاستعفى[3] عبد الرحمان بن عيسى من الوزارة حين عجز عن تمشية الامور فقبض عليه الراضي في رجب وقبض على اخيه علي بن عيسى وصادر عليا على ماية الف دينار ادى منها تسعين الفا وصادر عبد الرحمان على سبعين الفا ادى منها ثلاثين .

ولليلة بقيت من شعبان توفي ابو بكر محمد بن موسى بن مجاهد[4] ودفن عند داره بسوق العطش وكان مولده سنة خمس واربعين ومايتين (٨٥٩) .

قال ابو الفضل الزهري انتبه ابي في الليلة التي مات فيها ابو بكر بن مجاهد المقري فقال يا بني ترى[5] من مات الليلة[6] فاني رايت في منامي كان قايم يقول قد مات (١٢٣ / ٦٦) الليلة مقوم وحي الله منذ خمسين سنة فلما اصبحنا واذا بابن مجاهد قد مات .

ونقلت من خط رئيس[7] الروسا ابي الحسن بن حاجب النعمان كان ابن مجاهد اذا اختم احد عنده القرآن[8] عمل دعوة فختم احد اولاد التجارين فعمل دعوة فحضر ابو بكر واصحابه وحضر الصوفية والقوالون فلما قارب ثلث الليل

---

١) في الاصل وحصر ؛ وفي تجارب الامم د/٣٣٧ وحضر ابو بكير بن قرابة

٢) بعدها بياض في الاصل وفي تجارب الامم ٥/٣٣٨ وولى اعمال المعاون

٣) في الاصل فاستعفا

٤) ترجم له في البداية والنهاية ترجمة قصيرة ١١/١٨٥ او في المنتظم ٦/٢٨٢

٥) في الاصل ترا

٦) في الاصل البلة

٧) في الاصل رديس

٨) فى الاصل القرءان

استدعى[١] ابو بكر بن مجاهد ازاره[٢] فطرحه على كتفه وقال امضي في حاجة واعود فلا يتبعني احد قال فعجبنا من خروجه في ذلك الوقت وظننا انه انكر سوء ادب ومكثنا منكرين فلما كان بعد ساعتين وافى[٣] وعاد الانبساط فسالناه عن نهضته فقال اصدقكم نظرت فاذا انا في طيبة ولذة وذكرت ان بيني وبين فلان الضرير مقة[٤] وشر ففكرت انني في هذه اللذة وان ذاك واقف بين يدي الله عز وجل يتهجد ولم احب ان اكون بهذه الصفة وهو على تلك الحال من ثقل القلب فخفت من الله تعالى[٥] فقصدته ودخلت داره فقبلت راسه واصلحت بيني وبينه فامنت استحكامه وعدت الى ما نحن عليه وانا طيب القلب .

وفي شهر رمضان ورد الخبر بقتل ياقوت بعسكر مكرم ودفن بها وذلك ان جنده شغبوا عليه ومن جملتهم ثلاثة الاف[٦] اسود وانصرف عنه طاهر الجيلي في ثمان رجال الى الكرج وكبسه علي بن يلقويه[٧] فقتل رجاله ونجا طاهر بنفسه واستاسر كاتبه ابا جعفر الصيمري وكان سبب اقباله واتصاله بمعز الدولة .

فكاتب ياقوت البريدي وهو بالاهواز يعرفه ($\frac{١٢٣}{٦٦}$) الصورة فقال البريدي انا كاتبك ومدبر امرك والصواب ان تنفذ بالرجال حتى اقرر معهم الحال فتقدم اليهم بالمصير فاستمولهم البريدي فانقطعوا اليه فسار ياقوت اليه في ثلاثماية رجل لئلا يستوحش ويلقاه البريدي في السواد الاعظم وترجل له وقبل الارض ووقف على راسه على سماطه وقال الجند انا وافى[٢] ياقوت ليقبض علينا .

وقد وافق البريدي على ذلك فقال له البريدي اخرج ايها الامير والا قتلنا جميعاً فخرج الى تستر وسبب له البريدي على عاملها خمسين الف دينار .

فقال لياقوت مونس مولاه ايها الامير ان البريدي يجز مفاصلنا ويسخر مناوانت مغتر [به][٨] وقد افسد رجالك وقوادك وقد

---

١) في الاصل استدعا
٢) في الاصل ارارة
٣) في الاصل وافا
٤) في الاصل قفة
٥) في الاصل نعلى
٦) في الاصل ، الاف
٧) كذا في الاصل ٨) زيادة عن الكامل ٥/٢٤٢ وتجارب الامم ٣٤٢/٥

اتصلت كتب الحجرية اليك وليس لهم شيخ سواك فلو دخلت بغداد فاول من يطيعك محمد بن رايق بالضرورة ولانك نظير ابيه والا فاخرج الى الاهواز فاطرد البريدي عنها فانت في خمس ماية كهو[1] في عشرة الاف[2] ومعك خمسة الاف[2] وانت انت وقد قال عدوك علي بن بويه لو كان في عسكرك ماية مثلك ما قاومناك فقال افكر في هذا .

فخرج مونس مغضبا في ثلاثة الاف[2] ووافى عسكر مكرم وقال انا لا اعصي مولاي فانه اشتراني ورباني واصطنعني ولكني[3] افتح الاهواز واسلمها اليه.

فما استقر مونس بعسكر مكرم ثلاث ساعات حتى وافى كتاب ياقوت اليه يحذره كفر نعمه.

وكان الكتاب مع شيخ مقدم يقال له دَرَك وكانت السن قد اخذت منه وحضر[4] معه خادم ($\frac{١٣٦}{٦٥}$) مغفل يقال له ابو التمر فقال لمونس مولاك قبض على ابنيه وهما درتان فلم يستحل ان يعصي مولاه ولم يحارب لاجلها ولا طالب بها واستفتى[5] الفقها. فافتوه انه لا يحل له ان يحارب الامام افانت تعصى مولاك اما تخاف ان تخذل في هذه الحرب فتخسر الدنيا والاخرة.

فاقام مونس لما اخذه العذل والتانيب[6] حتى وافى[7] ياقوت واجتمع معه ووافى عسكر البريدي فخيموا في صحراخان[8] طوق ومتقدمهم ابو جعفر الجمال غلام البريدي .

فقال ياقوت لمونس ان السلطان لنا بالنية التي عرفتها ولا موضع لنا ناويه غير هذا البلد والحرب سجال وان حاربنا هذا الرجل وانهزمنا كنا بين القتلى فيقال قد كفر نعمة مولاه فالعن او بين الاسارى وان ينفذنا الى الحضرة فتشهر

---

١) في تجارب الامم ٣٤٣/٥ وهو
٢) في الاصل الاف
٣) في الاصل ولا كني
٤) في الاصل وحصر
٥) في الاصل واستفتا
٦) في الاصل والتانيث
٧) في الاصل وافا
٨) في الاصل صخراخان والتصويب عن تجارب الامم ٣٤٤/٥

بها والوجه المداراة[1] وان نعود الى تستر والجبل فان صح لنا بها امر والا لحقنا خراسان وشاع كلامه فضعف نفوس اصحابه .

وطالت الايام[2] واستامن من عسكره الى البريدي خلق حتى بقي ياقوت في الف رجل وكان مونس يبكر اليه ويقول يا مولاي مضى[3] اصحابنا فيقول واي خير في من لا يصلح لنا .

فلما علم البريدي من نفسه القوة راسل ياقوتا بالقاضي ابي القسم التنوخي واعلمه انه على العهد وانه كاتبه وان الامارة لا تصلح له وساله ان يعود الى تستر وان يزوج ابنته من ابي العباس احمد بن ياقوت .

فقبل ياقوت الرسالة وانعقد الصهر ورحل الى تستر ووافاه ابنه المظفر بها واخبره ($\frac{١٢٥}{٦٥}$) ان الراضي قد من عليه بنفسه واشار عليه بالاصعاد اليه والمقام بدير العاقول وان راى[4] الحجرية مبادرين اليه وان كره السلطان تولى الموصل وديار ربيعة وان منع من ذلك قصد الشام .

فخالف[5] ابنه ابنه[6] فاستأذن ابنه ان يكون بعسكر مكرم فاذن له واستامن البريدي وجاء ياقوت الى العسكر فنزل عند نهر جارود فظهرت الطلايع من عسكر ابي جعفر الجمال وبيت ياقوت في الف رجل فاعي[7] من بازايه وهم اضعاف عدته وكادوا ينهزمون فظهر كمين البريدي في ثلاثة الاف[8] رجل فابلس ياقوت وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فرمى بنفسه من دابته وبقي بسراويل وقميص شيزي واوى الى باب رباط يعرف برباط الحسين بن زياد[9] ولو دخله لجاز ان يسلم وجلس وغطى[10] وجهه وجعل يسال ويوهم انه رجل من ارباب النعم متصدق[11] .

---

١) في الاصل المدارات

٢) في تجارب الامم ٣٤٤/٥ وطالت الايام في منازلة عسكر البريدي

٣) في الاصل مضا

٤) في الاصل راي

٥) في تجارب الامم ٣٤٥/٥ فخالف

٦) مكررة في الاصل

٧) في الاصل فاعيا

٨) في الاصل ١٠ الاف

٩) في تجارب الامم ٣٤٧/٥ دبار

١٠) في الاصل وغطا

١١) في تجارب الامم ٣٤٧/٥ افتقر

فركض اليه من قوم [البربر اصحاب][1] من البريدي فكشفوا وجهه وحزوا راسه حين عرفوه وحملوه الى الجمال[2] فاطلق طايرا الى البريدي بالخبر فامر ان يجمع بين راسه وجثته ويدفن بالموضع الذي قتل فيه ويعرف بين الساقيتين ولم يجد له غير اثني عشر الف دينار ووجد في صناديقه كتب الحجرية اليه من بغداد ليراشوه .

وانفذ البريدي ابنه المظفر الى الحضرة وكان[3] نفس ابي عبدالله البريدي البريدي ضيقة فقواها اخوه ابو يوسف حتى شهر نفسه بالعصيان .

وكانت نفقة مايدته في كل يوم الف درهم وكان غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم ($\frac{١٢٦}{٦٦}$) يتسر الا بثلاث جواري ولم تكن له زوجة غير والدة ابنه ابي القسم وكانت صلاته للجند خاصة ولم يعط شاعرا ولا طارقا شيئا .

وصادر ابو جعفر الكرخي ابن مقلة بعد مصادرة عبد الرحمان بن عيسى على ماية الف دينار ادى منها ابن قرابة عنه خمسة واربعين الف دينار ولم يعد اليه العوض[4] .

ورد الوزير ابو جعفر الكرخي الى ابي علي بن مقلة الاشراف على اعمال الضياع والخراج لسقي الفرات واجرى عليه في كل شهر الف دينار .

وقبض على ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري وصادره على مايتي الف دينار ادى منها ماية الف .

وكان الكرخي غير ناهض بالوزارة وكان فيه ابطا في الكتابة والقراءة فلما نقصت هيئته واحتف المطالبة له بالاموال وقد تغلب الخوارج[5] على الاعمال فاستتر بعد ثلاثة ايام من تقلده الوزارة وكان استتاره يوم الاثنين لثمان خلون من شوال فاستحضر الراضي ابا القسم سليمان بن الحجر[6] عاشر شوال وخاطبه

١) زيادة عن الكامل ٢٥٤/٦ يقتضيها السياق وفي تجارب الامم ٣٤٧/٥ البربر بدل البريدي

٢) في الكامل ٢٥٤/٦ الحال ، بحاء مهملة

٣) كذا في الاصل ولعل الصواب وكانت

٤) في الاصل العوص ، والصواب ما ذكرناه لمقتضى السياق

٥) في الاصل الخواج والصواب ما ذكر

٦) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٥٤/٦ وتجارب الامم ٣٥٠/٥ الحسن

في الوزارة وخلع عليه فكان في التجبر مثل ابي جعفر فدفعت الراضي الضرورة الى ان راسل ابا بكر بن رايق في القدوم وتقلد الامارة ورياسة الجيش وان يخطب له على المنابر بكنى وانفذ اليه بالخلع واللوا مع الخدم .

وانحدر اليه اصحاب الدواوين وجميع قواد الساجية فلما حصلوا بواسط قبض على الحسن بن هارون وعلى الساجية وحبسهم في المطامير ونهب رحلهم . وخرج من بغداد منهم حين بلغهم الخبر الى الشام .

($\frac{١٢٧}{٦٦}$) واصعد ابن رايق الى بغداد في العشرين من ذي الحجة معه بجكم[١] والاتراك والديلم والقرامطة وضرب له الراضي مضروبا في الحلبة ووصل الى بغداد لخمس بقين من ذي الحجة ووصل الى الراضي ومعه بجكم[١] وروسا اصحابه وصارت مرتبته فوق الوزير وخلع عليه وصار في الخلع الى مضربه بالحلبة وجعل اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه .

وكانت الحجرية قد ضربوا الخيم متوكلين بالدار[٢] وامرهم بالانصراف فعطل امر الوزارة .

ولم يكن الى الوزير غير حضور الموكب بالسواد والسيف والمنطقة .

وفي هذه السنة ملك ابو علي بن الياس وهو من الصغد كرمان وصفت له وزالت المنازعات .

سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

انحدر ابن رايق[٣] مع الراضي لمراسلة البريدي في عشر من المحرم .

وكانت عدة الحجاب في دار السلطان اربعماية وثمانين حاجباً فاقتصر ابن رايق على ستين واسقط الباقين واسقط من الحجرية خلقا فحاربوه فهزمهم واسر بعضهم وامر صاحب شرطته لولو بقبض اموالهم واحراق دورهم وتقدم بقتل[٤] من حبسهم من الساجية .

---

١) في الاصل بجكم بجاء مهملة والتصويب عن الاصول

٢) في المنتظم ٢٨١/٦ اي دار الخلافة

٣) نسبه في تجارب الامم ٣٥٧/٥ ابو بكر محمد بن رايق

٤) في الاصل كتبت بحبس ، ثم ضرب عليها وكتب بقتل

وكان مدبر امر رايق ابا عبدالله النوبختي فاعتل بعد مصاحبته بثلاثة اشهر فاستكتب مكانه ابا عبدالله الكوفي .

وقلق البريدي لما نزل الراضي وابن رايق باذبين[1]. وراسل بان يحمل في كل سنة ثلاثماية الف وستين الف دينار وان يسلم الجيش الى جعفر بن ورقا حتى (١٣٨/٦٧) يحملهم الى فارس .

وكان اخوه ابو الحسين وامه ببغداد فانحدرا الى واسط فخلع عليهما واحدرا اليه .

ومضى[2] مع جعفر بن ورقا فلما لبس البريدي الخلع التي صحبت جعفر وسار بين يديه العسكر وكان لبسه للخلع بجامع الاهواز فلما رأى[3] طاعة الجند له ادهش ذلك جعفرا وولاهم البريدي عليه حتى طالبوه بالمال فاستجار جعفر بالبريدي حتى اعاده الى الحضرة .

واصعد الراضي وابن رايق الى بغداد .

وكان المتولي للبصرة محمد بن يزداد .

واستوحش ابو[4] الحسن بن عبد السلم واشار عليه بالتغلب على البصرة فبنى[5] ابو عبدالله ماية قطعة من آلة[6] الماء واتاه اهل البصرة في جمع عظيم للتهنية بالولاية فقربهم واكرمهم وقال قد اطلع ابن عبد السلم على نيتي[7] الجميلة فيكم واني قد اعددت آلة[6] الما انفذ منها الجيوش لاحصن بلدكم من القرامطة وانما ضمنت[8] البصرة من السلطان لظلم ابن رايق لكم .

وكان ابن رايق قد امتنع من اجابة ابي يوسف البريدي الى ضمان البصرة وبذل فيها اربعة الاف[9] الف درهم . وما زال به الكوفي وابن مقاتل حتى

١) عرّفها ياقوت في معجم البلدان ٣١٨/١ طبعة داري صادر وبيروت
٢) في الاصل ومضا
٣) في الاصل را
٤) في تجارب الامم ٣٦٤/٥ ابو الحسين بن عبد السلام
٥) في الاصل فبنا
٦) في الاصل الة
٧) في الاصل بنتي
٨) في تجارب الامم ٣٦٤/٥ وانما امتضت لكم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته لكم ٩) في الاصل الاف

ضمنه اياها وقد ازلت عنكم يا اهل البصرة الشرطة والمآصير[١] والشرك[٢] وتحملت ذلك من مالي .

وكتب توقيعاً بخطه برفعها عنهم وسيبلغ ابن رايق فعلي بكم فيعاديني وما ابالي ولو عاداني اخواني في صلاحكم واني لارجو المغفرة بازالة الرسوم الجايرة عنكم وان عزم ابن رايق على رد ذلك فاين السواعد القوية والاكف التي حاربت علي بن ابي طالب (١٣٩/٦٧) عليه السلام وما فكرت في مكاشفته فتى رام ابن رايق رد ذلك فاضربوا وجهه بالسيف وانا من ورايكم .

يا اهل البصرة لقد فشلتم ابن يومكم مع ابن الاشعث[٢] ابن يومكم مع ابراهيم بن محمد[٤] ابي عبدالله بن حسن بن حسن متى اخذكم ضيم فصبرتم ثم هذا عسكري سائر معكم فلتكن آمالكم[٥] ممتدة وقلوبكم قوية .

ووقع للنفقة على الجامع بالفي دينار ووقع لهم بتخفيف معاملاتهم بالف الف درهم وانصرفوا وقد صاروا سيوفهم[٦] .

وسير [البريدي][٧] اقبالا غلامه في الفي رجل وتقدم اليهم ان يقيموا بحصن مهدي الى ان ياتيهم اقبال واتصل الخبر بابن يزداد فقامت قيامته .

ولما وصل الراضي وابن رايق الى بغداد قلد ابن رايق بجكم[٨] الشرطة وانزله في دار محمد بن خلف النيرماني على دجله وقلد القاضي ابا الحسين عمر بن محمد[٩] قضاء القضاة[١٠] .

---

١) في الاصل الماصير وفي اقرب الموارد المآصر ، الحاجز يمد على طريق النهر يؤخر به السفن والسابلة اي يحبس ليؤخذ منهم العشور . راجع كذلك ابن رسته في الاعلاق النفيسة صفحة ١٨٥

٢) في تجارب الامم ٥/٣٦٤ ،الشوك

٣) في تجارب الامم ٥/٣٦٥ عبد الرحمن بن الاشعث

٤) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٥/٣٦٥ ومحمد وابراهيم ابني عبدالله بن حسن حسن

٥) في الاصل ،امالكم

٦) في تجارب الامم ٥/٣٦٥ وانصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه

٧) زيادة عن الكامل ٦/٢٥٩ يقتضيها السياق للتوضيح

٨) في تجارب الامم ٥/٣٦٥ قلد محمد بن رائق ابا الحسين بجكم الشرطة

٩) في تجارب الامم ٥/٣٦٥ الحسين عمر بن محمد ١٠) في الاصل القضات

وانبث ابن رايق من الحجرية الفي رجل وامرهم بالمسير الى الجبل فلما صاروا بالهزوان[١] اجمع رايهم على المضي الى الاهواز فغلبهم البريدي واضعف ارزاقهم واظهر للسلطان وابن رايق انه لم تكن له قدرة بدفعهم .

وغلبت على الدنيا الطوايف فصارت واسط والبصرة والاهواز في يد البريدي وفارس في يد علي بن بويه[٢] وكرمان في يد ابي علي بن[٣] الياس والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابي علي[٤] بن بويه ووشكمير والموصل[٥] وديار ربيعة وديار بكر في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج والمغرب وافريقية في يد ابي نعيم[٦] والاندلس في يد الاموي[٧] وخراسان في يد نصر بن[٨] احمد (١٣٠/٦٨) وطبرستان وجرجان في يد الديلم واليمامة[٩] والبحرين في يد ابي طاهر[١٠] الجنابي[١١] .

ولم يبق في يد الرضي وابن رايق غير السواد[١٢] .

وكان بدر الخرشني بديار مصر فضاق مالها عن رجاله فانحدر عنها وحصل بهيت فقصد الديار سيف الدولة فغلب عليها .

وقبض ابو عبدالله احمد بن علي الكوفي على ابي محمد بن يحيى بن شيرزاد وصادره على ماية وعشرين الف دينار .

---

١) كذا في الاصل ولعله يريد النهروان

٢) في البداية والنهاية ١٨٤/١١ عماد الدولة بن بويه

٣) في البداية والنهاية ١٨٤/١١ ابو علي محمد بن الياس بن اليسع

٤) في المنتظم ٢٨٨/٦ ابو علي الحسن بن بويه

٥) زاد في البداية والنهاية ١٨٤/١١ والجزيرة

٦) قال في البداية والنهاية ١٨٤/١١ في يد القائم بامر الله ابن المهدي الفاطمي ونلقب بامير المؤمنين

٧) قال في البداية والنهاية ١٨٤/١١ في يد عبدالرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي

٨) زاد في البداية والنهاية ١٨٤/١١ وخراسان وما وراء النهر وكذلك المنتظم ٢٨٨/٦

٩) في البداية والنهاية ١٨٤/١١ زاد وهجر وفي المنتظم ١٨٨/٦ وديار ربيعة

١٠) نسبه في المنتظم ٢٨٨/٦ فقال : ابو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي

١١) ورد هذا الخبر في البداية والنهاية ١٨٤/١١ في جملة اخبار ٣٢٦

١٢) في المنتظم ٢٨٨/٦ ولم يبق في يد الخليفة غير مدينة السلام وبعض السواد ، وفي تجارب الامم ٣٦٧/٥ غير السواد والعراق

ووافى ابو طاهر القرمطي الى الكوفة فخرج ابن رايق من بغداد لثلاث خلون من جمادى الاولى ونزل بستان ابن ابى الشوارب بالياسرية[١] وارسل ابا طاهر وقرر معه ان يحمل اليه في كل سنة اذا دخل في الطاعة طعاما ومالا قدره مائة وعشرون الف دينار وسار ابو طاهر الى بلده وسار ابن رايق الى واسط وقد جاهر البريدي بالخلاف .

وعزل الراضي سليمان بن الحسن عن وزارته وكانت مدتها عشرة اشهر وثلاثة ايام .

واشار ابن رايق على الراضي باستيزار ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وكان بالشام فاستقدمه واستعتبه .

وزارة ابي الفضل[١] بن الفرات للراضي بالله

كانت عند قدومه من الشام لست خلون من شوال فقيل لابن مقلة فقال :

فقلت لها لاعداك الصواب وان كان قولك الا سديدا
امثلي تطاوعه نفسه على ان يرى[٣] خاضعاً مستزيدا

(١٣١/٦٨) وبلغ ابن رايق ما خاطب به البريدي اهل البصرة فاتاهم الكوفي وقال له[٤] اكتب اليه انني انكرت قبولك للحجرية فاما رددتهم واما طردتهم واما من انفذت به من اصحابك الى البصرة فانا فعلت ذلك لحفظها من القرامطة وقد كفينا امرهم ونفذوا الى بلادهم .

وكان قصد ابن رايق المغالطة وان لا يكاشفه بالعداوة .

فكان جواب البريدي ان اصحابه يتمسكون الحجرية لقربى بينهم وانه[٥] وان ابعدهم اوحش للجميع لكنه[٦] يقطع ارزاقهم حتى يتصرفوا .

وكانن اصحاب البريدي الذين[٧] انفذهم مع اقبال غلامه قد وقعت بينهم

---

١) في المنتظم ٣٦٧/٥ بقنطرة الياسرية
٢) في المنتظم ٢٨٩/٦ ابا الفتح ابن الفضل
٣) في الاصل يرا
٤) في الكامل ٢٥٩/٦ وكتب الى ابي عبدالله البريدي
٥) كذا في الاصل انهم وواضح انه قد ضرب على انهم وعوض عنها بـ [انه]
٦) في الاصل لاكنه ٧) في الاصل الذي

وبين اصحاب محمد بن يزداد وتكين[١] الصغدي شحنة[٢] البصرة حرب بنهر الامير انهزم فيها اصحاب ابن رايق وانهزموا ثانية بسكرابان على فراسخ من الابلة ودخل اقبال البصرة وخرج عنها محمد بن يزداد سالكا طريق البر الى الكوفة واصعد منها تكين[٣] ونيال الصغدي في الماء الى واسط .

وانفذ ابن رايق وقد عظم عنده الامر ابا عمرو والعاقولي برسالة البريدي[٤] تتضمن وعدا ووعيدا فكان جوابه انه لا يمكنه رد اصحابه عن البصرة لان اهلها قد تمسكوا بهم .

ولكن البصريون قد استوحشوا من محمد بن يزداد لما عاملهم به من سوء السيرة فكانوا يظنون عند[٥] البريدي خيرا فراوا منه ما تمنوا يوما من ايام ابن رايق فاستدعى[٦] ابن رايق بدرا الخرشني من هبت فخلع عليه خلعا سلطانية .

وعول ابن رايق على طرد الكوفي وقال ظننت اني اتالف[٧] به البريدي فحبي ($\frac{١٣٢}{٦٩}$) من ذنوبه شومه علي .

وعول على اعادة الحسين بن علي النوبختي وقال اوجه شفعايه عندي بركته على دولتي فقال ابن مقاتل لا ذنب للكوفي في هذا ولا فايدة في استعادة الحسين بن علي وهو سقيم طريح وانت ذاكر قولي لك احفظ البصرة فقلت ان تكين[٣] ونيال ليحفظانها .

فاحضر الكوفي واستخلفه على موالاته ومعاداة[٨] البريدي .

وخلع ابن رايق على بجكم[٩] وسيره وانفذ بعده بدر الخرشني الى الاهواز وانفذ معهما ابن ابي عدنان الرابي مشيرا ودليلا وامر احمد بن نصر القشوري بالمقام بالجامدة وامر بجكم ان يسير الى البصرة فيصير البريدي بينه وبين بدر .

---

١) في الاصل تكين والتصويب عن تجارب الامم ٣٦٩/٥ .

٢) الشحنة من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان اقرب الموارد ٥٧٥/١

٣) في الاصل تكين والتصويب عن تجارب الامم ٣٦٩/٥

٤) في تجارب الامم ٣٦٩/٥ فانفذ رسولا الى البريدي برسالة

٥) في الاصل عبد

٦) في الاصل فاستدعا

٧) كذا في الاصل

٨) في الاصل ومعادات

٩) في الاصل . بجكم ، وما كتبناه عن الاصول

وبادر بجكم ولم ينتظر بدرا وسار في ثلاثماية غلام اتراكا فلقيه(١) ابو جعفر الجمال(٢) في عشرة آلاف(٣) رجل باتم آلة(٤) واكمل سلاح فانهزموا(٥) من بين يدي بجكم .

واراد ان ينفرد بالفتح دون بدر فلما اتى ابو جعفر البريدي قام فلكمه وقال ظننت انك تحارب ياقوتا وقد ادبر بلقاء. الاتراك بسودان باب عمار والمولدين وضم اليه ثلاثة آلاف(٣) تستر(٦) فقال ابو جعفر قد تمكنت هيبة الاتراك في قلوب اصحابنا وستعلم حالهم .

فطرح بجكم نفسه في الماء بتستر فانهزم اصحاب البريدي بغير قتال فخرج ابو عبدالله ومعه اخوه في طيار وحملوا معهم ثلاثماية الف دينار كانت في خزائنهم فغرقوا بالنهروان(٧) فاخرجهم الغواصون واخرج لبجكم بعض(٨) المال فقال ابو عبدالله (١٣٣/٦٩) والله ما نجونا بصالح اعمالنا من الغرق ولكن(٩) لصاعقة يريدها الله تعالى(١٠) بهذه الدنيا وقال له اخوه ابو يوسف ويحك ما تدع التطايب في كل حال ودخل بجكم(١١) الاهواز وكتب ابن رايق بالفتح.

ولما وصل ابو عبدالله الى الابلة ومعه اخواه انفذ اقبالا غلامه الى مطارا واقام هو واخواه(١٢) في طياراتهم واعدوا ثلاثة مراكب للهرب خوفا من ان نقم(١٣) على اقبال من عسكر الجامدة بطايا(١٤) ما تم على ابي جعفر بالسوس .

١) في الاصل مافيه
٢) في الكامل ٢٦٠/٦ الجمال : بجاء مهملة
٣) في الاصل ٠الاف
٤) في الاصل ٠الة
٥) في الكامل ٢٦٠/٦ اي جماعة البريدي
٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٣٧١/٥ في ثلاثة الاف رجل الى تستر
٧) في الاصل بالهندوان والتصويب عن تجارب الامم ٣٧١/٥
٨) في الكامل ٢٦٠/٦ باقي
٩) في الاصل ولاكن
١٠) في الاصل تعلى
١١) في الاصل بجكم ، وما كتبناه عن الاصول
١٢) في الاصل اخوه والتصويب عن تجارب الامم ٣٧٢/٥
١٣) كذا في الاصل ، وفي تجارب الامم ٣٧٢/٥ واعد ثلاثة مراكب للهرب منها الى عمان ان اتفق على اقبال بمطارا من الهزيمة مثل ما تم على ابي جعفر بالسوس
١٤) راجع الحاشية السابقة ومعجم ما استعجم مادة مطار

فاخرج البريدي ابا الحسين بن عبد السلم لمناضدة اقبال فانهزم اصحاب ابن رايق ومتقدمهم احمد بن نصر القشوري واسر برغوت غلام ابن رايق فاطلقه البريدي وكتب معه كتابا يستعطف فيه ابن رايق .

ودخل البريديون[١] البصرة فاطمأنوا ولم يمكن بجكم[٢] ان يسير[٣] الى البصرة لخلوها[٤] من آلة[٥] الماء .

وعاد بدر الخرشني الى واسط فانفذه ابن رايق في الطيارات الى البصرة للحرب .
وانفذ ابا العباس احمد بن خاقان الى المدار[٦] فلقيه اصحاب البريدي فاسروه وحملوه اليه فاطلقه واستحلفه ان لا يعود الى حربه .

فلما اتصلت الهزيمة بابن رايق سار من واسط الى البصرة على الظهر للنصف من شوال وكتب الى بجكم[٢] ان يلحق به بعسكر ابي جعفر وانفذ بدر الى ابن عمر[٧] وانفذ البريدي غلامه اقبال بواسط فحصل بدر في الكلة وحصل اقبال بالرصافة . ولما ملك بدر الكلا[٨] هرب البريدي الى جزيرة اوال وخرج الجند والعامة لدفع بدر .

ووافى ابن رايق ١٣٦/٧٠ وبجكم[٩] الى عسكر ابي جعفر ضحوة النهار من يوم ورود بدر الكلا وعبر ابن رايق وبجكم[٢] دجلة البصرة وتبعها احمد بن نصر فراوا من العامة ما بهرهم حتى رجعوا طيار احمد فغرقوه .

وهرب ابو عبدالله من جزيرة اوال الى فارس واستجار بعماد الدولة[١٠] فانفذ معه اخوه معز الدولة[١١] .

---

١) في تجارب الامم ٥/٣٧٢ البريديون الثلاثة
٢) في الاصل بجكم ، بحاء مهملة
٣) في الاصل سير
٤) في تجارب الامم ٥/٣٧٢ ان يسير من الاهواز لخلو الاهواز من آلة الماء
٥) في الاصل ءالة
٦) في تجارب الامم ٥/٣٧٢ المذار ، اطلب التعريف به في معجم ما استعجم ص ١٣٠٣
٧) في تجارب الامم ٥/٣٧٢ الى نهر عمر
٨) الكَلَّاء ، مرفأ السفن بالبصرة معجم ما استعجم ص ١١٣٣
٩) في تجارب الامم ٥/٣٧٧ ووافى بجكم الى ابن رايق
١٠) في تجارب الامم ٥/٣٧٣ بعلي ابن بويه
١١) في تجارب الامم ٥/٣٧٣ ابا الحسين احمد بن بويه

ووردت الاخبار بذلك فتقدم ابن رايق الى بجكم[1] بالانصراف الى الاهواز ليحميها فقال لست احارب الديلم الا بعد ان تحصل لي امارة الاهواز فضمنه اياها بثلاثين الف دينار محمولة واقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار ونفذ.

ومن عجيب الاتفاق ان طاهر[ا][2] الجبلي[3] قصد ابن رايق الى واسط مستامنا فلم يجده فانحدر اليه الى عسكر ابي جعفر فتلقاه كتاب جاريته وابنه انهما حصلا في يد ابي عبدالله البريدي بفارس فاكرمها .

فعند ذلك سار طاهر في مايتي رجل وتبعه عسكر البريدي في الماء فانهزم بدر الى واسط وانهزم ابن رايق الى الاهواز فاشير على بجكم[1] بالقبض عليه فلم يفعل واقام عنده مكرما حتى وافاه فاتك غلامه من واسط فرجع معه اليها وخلف بجكم[1] بالاهواز وخلف ابو عبدالله البريدي عند عماد الدولة ابنه[4] ابا الحسين[5] محمدا وابا جعفر الفياض رهينة وسار مع ابي الحسين معز الدولة الى الاهواز . فلما نزلوا ارجان خرج بجكم[1] لحربهم فعاد بعد ثلاثة ايام منهزما وسبب انهزامه ان المطر اتصل (١٣٥/٧٠) اياما كثيرة فمنع الاتراك ان يرموا بالنشاب فعاد بجكم[1] وقطع قنطرة نهر اربق[6] ورتب عليها جماعة فكانت المنازلة بين معز الدولة وبينهم ثلاثة عشر يوما[7] . وعبر معز الدولة في خمسة نفر في سميرية فهزم من كان هناك من اصحاب بجكم[1] . فعند ذلك قبض بجكم[1] على وجوه اهل الاهواز فيهم ابن ابي علان ويحيى بن سعيد السوسي وسار بعسكره الى واسط وكاتب ابن رايق وهو بها ان كان عنده مائة[8] الف دينار يفرقها في عسكره[9] فالوجه ان يقيم والا فالصواب ان يصعد الى بغداد .

---

١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٢) في الاصل طاهر
٣) في تجارب الامم ٣٧٤/٥ الجيلي
٤) في تجارب الامم ٣٧٧/٥ ابنيه
٥) في الكامل ٢٦٣/٦ وتجارب الامم ٣٧٨/٥ ابا الحسن
٦) في تجارب الامم ٣٧٨/٥ اربق
٧) في تجارب الامم ٣٧٨/٥ ووقعت المنازلة بينه وبين محمد بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً
٨) في الكامل ٢٦٣/٦ تجارب بالامم ٣٧٨/٥ مائتا
٩) زاد في تجارب الامم ٣٧٨/٥ فانهم فقراء فالوجه . . .

فعند ذلك اصعد وطالب بجكم[1] حين دخل واسطا من اعتقله من اهل الاهواز بخمسين الف دينار فقال ابو[2] زكريا يحيى بن سعيد السوسي اردت ان اخبر ما في نفسه من طلب العراق فراسلته على لسان الموكل بي ايها الامير انت طالب للملك معول على خدمة الخلافة تطالب[3] قوما منكرين[4] في بلاد غربة ولقد حمي في امسنا طست وجعل على بطن سهل بن قطين اليهودي[5] اما تعلم انه اذا سمع هذا عنك اوحش الاباعد منك وما تذكر[6] انكارك على ابن رايق الحاشه[7] اهل البصرة واهل بغداد وقد حملت نفسك على مثل ما كان يعمل مرداويج باهل الجبل وبغداد هي دار الخلافة[8] لا تحتمل هذه الاخلاق.

فلما سمع بهذا الكلام رق وامر بحل قيودنا واستعقل يحيى بن سعيد السوسي واطلقه فشفع في الباقين. وكان طاهر الجيلي[9] قد($\frac{١٣٦}{٧١}$) فارق الامير عماد الدولة بارجان فكتب الى اخيه معز الدولة ان يطالب ابا عبدالله البريدي فكتب البريدي الى اخيه ابي يوسف بالقبض عليه وانفاذه الى فارس ففعل ذلك .

ووصل معز الدولة الاهواز ونزل البريدي دار ابي[10] علي المسرقان ووافاه اهل الاهواز داعين مهنين وكان [البريدي][11] يحمى الربع فدخل عليه يوحنا الطبيب وكان حاذقا فقال له ماتشير علي قال ان تخلط وعنى[12] بذلك في المأكولات لترمي بالاخلاط فقال اعظم مما خلطت يا ابا زكريا لا يكون قد ارهجت ما بين فارس والحضرة فان اقنعك هذا والا ملت الى الجانب الاخر وارهجتها الى خراسان.

وسبب معز الدولة على البريدي بعد ان اقام معه خمسة وثلاثين يوما بخمسة آلاف[13]

---

١) في الاصل بجكم
٢) في تجارب الامم ٣٧٨/٥ وابو زكريا السوسي
٣) في الاصل بطالب
٤) في تجارب الامم ٣٧٩/٥ منكوبين
٥) عرفه في تجارب الامم ٣٧٩/٥ وهو سهل بن نظير الجهبذ
٦) في الاصل بذكر والتصويب عن تجارب الامم ٣٧٩/٥
٧) في الاصل الحاشه
٨) في تجارب الامم ٣٧٩/٥ باهل الجبل وهذه بغداد ودار الخلافة
٩) كذا في الاصل ١٠) في الاصل ابا
١١) زيادة عن الكامل ٢٦٣/٦ يقتضيها السياق
١٢) في الاصل وعنا ١٣) في الاصل -الاف

الف درهم باحضار عسكره لينفذهم الى الامير ركن الدولة باصبهان فاحضر اربعة آلاف[1] رجل وقال[لمعز الدولة][2] ان اقاموا بالاهواز ربما جرى[3] بينهم وبين الديلم فتنة والوجه ان انفذهم مع صاحبي ابي جعفر الجمال للسوس فامره بذلك ثم طالبه ان يحضر رجال الماء الى حصن مهدي ليشاهدهم فينفذهم الى واسط. فاستوحش البريدي وقال هكذا عملت بياقوت فلو لم اتعلم الا من قصتي لكفاني.

وكان الديلم يهنونه[4] ويزعجونه من منامه وهو محموم وكان الامير ابو الحسين بن بويه يكرمونه[5] وابو علي العارض الكاتب يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا. فاما بقية (١٣٧/٧١) القواد من الديلم فكان عندهم بمنزلة دنية.

وهرب البريدي [من ابن بويه][6] في الماء الى الباسيان وتبعه جيشه وكاتبه البريدي انه يضمن منه الاهواز في كل سنة بثمانية عشر الف الف درهم فاجابه الامير ابو الحسين الى هذا. وراسله البريدي بالقاضي ابي القسم التنوخي وابي علي العارض ان نفسه لا تطيب بقرب داره منه.

واستقر الامر ان يحمل الى معز الدولة ثلاثين الف دينار لنفقة الطريق فاجاب الى ذلك معز الدولة فانفذ البريدي منها ستة عشر الفا مع التنوخي فاحتبسه معز الدولة على الباقي ثم اطلقه وقال دلان للامير ابي الحسين وهو كاتب جيش معز الدولة وكان الصيمري من اتباعه[7]، [فقال له][2] ان البريدي قد سلك معك طريقته مع ياقوت وغرضه ابعادك الى السوس.

واستحكمت الوحشة بين معز الدولة والبريدي وانفذ بجكما[8] قايدا من قواده في الفي رجل من الاكراد والاعراب فغلبوا على السوس وجند يسابور.

---

١) في الاصل ٠الاف

٢) زيادة عن الكامل ٢٦٣/٦ يقتضيها السياق

٣) في الاصل جرا

٤) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٣٨١/٥ يهينونه

٥) في تجارب الامم ٣٨١/٥ وكانت الكرامة متوفرة عليه من الامير ابي الحسين

٦) زيادة عن الكامل ٢٦٣/٦ يقتضيها السياق

٧) في الكامل ٢٦٤/٦ اي من اتباع معز الدولة، وفي تجارب الامم ٣٨٢/٥ وكان نائبا لدلان

٨) في الاصل بجكما.

واقام البريدي ببنات ادر[١] غالبا على اسافل الاهواز وبقي معز الدولة لا يملك غير عسكر مكرم وقد احتاط به الاعداء من كل جانب واضطرب عسكره وفارقوه حتى اتبعهم وترضاهم وكاتب عماد الدولة بالصورة فانفذ اليه الساريان[٢] وكان شجاعا في ثلاثماية ديلمي وخمسماية الف درهم .

وكان ابو علي العارض معتقلا بين يدي البريدي واتهم معز الدولة انه واطاه على ما فعله وكان يبغض العارض لانه (١٣٨/٧٢) شاهده وزير ماكان الديلمي وكان بجكم[٣] مملوكه فطلبه منه ماكان صاحبه فاهداه اليه .

فعند وصول الرجال والمال انفذ معز الدولة الصيمري الى السوس عاملا عليها وانفذ ثلاثماية رجل الى بنات ادر[١] فهرب البريدي الى البصرة فحصلت الاهواز بيد الامير ابي الحسين وحصل البريدي بالبصرة واستقر بجكم[٣] بواسط واقام ابن رايق ببغداد وهو الذي وضع المآصير ببغداد وما كانت سمعت بالضرايب من قبله .

وحكى بجكم[٣] ان ابن مقاتل قال لابن رايق اخطات حين قلدت بجكم[٣] الاهواز لانه اذا حصل بها نازعك[٤] في امرك وقد عرفت منازعة البريدي لك وهم اصحاب دراريع قال بلغني ذلك فاخذت معي عشرة الاف[٥] دينار وجيته ليلا وقد نام الناس فقلت في مهم لم يعلم به احد ولولا ان الترجمان محمد بن نيال يخبر عني ما استصحبته وقد توقف الامير عن تقليدي للاهواز واسالك[٦] ان تاخذ هذه العشرة آلاف[٧] دينار وتمضي عزمه فيما نواه .

فلما راى الدنانير مال اليها وكان ذلك سبب ولايتي .

سنة ست وعشرين وثلاثماية

لما ورد ابن رايق بغداد اطمعه الوزير ابو الفضل في اموال مصر والشام . وزوج ابنه ابا القسم بابنة ابن رايق وزوج ابن رايق ابنه بابنة طغج .

وخرج الوزير ابو الفضل الى الشام واستخلف بالحضرة ابا بكر البقري فلما بلغ هيت ضعف امره وقوى امر ابي عبدالله الكوفي وقلد ابن رايق اعمال

١) في تجارب الامم ٥/٣٨٢ بينا ناذر
٢) في تجارب الامم ٥/٣٨٣ قائداً من قواده كان ساريان جماله
٣) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة ٥) في الاصل ، الاف
٤) في الاصل نازعك ٦) في الاصل واسئلك ٧) في الاصل الف

الاهواز فداء بجكم[١] الى كتابته فاجابه ($\frac{١٣٩}{٧٢}$). وسفر ابو جعفر بن شيرزاد[٢] في الصلح بين ابن[٣] رايق والبريدي[٤] واخذ خط الراضي بالرضا عنهم وقطعت لهم الخلع على ان يقيموا الخطبة بالبصرة لابن رايق وان يفتحوا الاهواز وان يعطوا ثلاثين الف دينار واطلقت ضياعهم بالحضرة. وبلغ ذلك بجكم[١] فجزع لهذا الصلح.

واشار عليه يحيى بن سعيد السوسي بحرب البريدي فانفذ اليه البريدي ابا جعفر الجمال[٥] فالتقيا بشابرزان[٦] فانهزم الجمال وانفذ يعاتب البريدي ويقول له جنيت على نفسك باستجلاب الديلم اولا وبمظافرة ابن رايق ثانيا وانا اعاهدك ان اوليك واسطا اذا ملكت الحضرة فجد البريدي لما بلغته رسالته شكرالله تعالى[٧] ووصل رسوله بثلاثة الاف[٨] دينار وحلف بحضر من القاضي ابي القسم التنوخي والقاضي ابي الحسن بن عبد الواحد بالوفاء لبجكم[١].

وكان ابن مقلة يسال ابن مقاتل والكوفي في رد ضياعه فيمطلونه فكتب الى بجكم[١] والى اخي مزداوج يطمعها في الحضرة وكاتب الراضي بالله يشير بالقبض على ابن رايق وتولية بجكم[١] وكاتب الى بجكم[١] ان الراضي قد استجاب لذلك.

وظن ابن مقلة انه قد توثق من الراضي وبذل له استخراج ثلاثة الاف[٨] الف دينار ان قلده الوزارة فواقعه[٩] على ان ينحدر اليه سرا الى ان يتم التدبير على ابن رايق فركب من داره في سوق العطش في طيلسان وسار الى الارج[١٠] بباب البستان فانحدر في سميرية ليلة الاثنين لليلة بقيت من شهر رمضان وتعمد تلك الليلة ان يكون ($\frac{١٦}{٧٢}$) القمر تحت الشعاع وذلك يختار للامور المستورة.

فلما وصل الى دار السلطان لم يوصله الراضي واعتقله في حجرة[١١] وبعث بابي

---

١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٢) نسبه في تجارب الامم ٣٨٤/٥ ابو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد

٣) في الاصل ابي

٤) في تجارب الامم ٣٨٤/٥ وبني البريدي

٥) في الاصل الحال ، بحاء مهملة والتصويب عن تجارب الامم .

٦) في تجارب الامم ٣٨٤/٥ بناحية الدرمكان

٧) في الاصل تعلى

٨) في الاصل ٠ الاف

٩) كذا في الاصل ولعله يريد فواقفه

١٠) كذا في الاصل الادج ، وفي تجارب الامم ٣٨٧/٥ الاذج

١١) في الاصل حجره

الحسن سعيد بن سنجلا الى ابن رايق واخبره بما جرى[١] واظهر للناس حاله رابع عشر شوال واستفتى الفقها. في حاله وعرفهم ما كاتب به بجكم[٢] فيقال ان القاضي ابا الحسين عمر بن محمد افتى[٣] بقطع يده لانه سعى في الارض فسادا فامر الراضي باخراجه الى دهليز التسعيني وحضر فاتك حاجب ابن رايق والقواد فقطعت يده اليمنى ورد الى محبسه من دار السلطان وامر الراضي بمداواته فكان ينوح على يده ويقول يد قد خدمت بها الخلفا. ثلاث دفعات وكتب بها القرآن[٤] دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ثم قال ان المحنة قد تشبثت[٥] وهي تؤديني الى التلف وتمثل :

اذا ما مات بعضك فابك بعضا فان[٦] الشي. من بعض قريب[٧]

وقطع لسانه لما قرب بجكم[٢] الحضرة ومات فدفن في دار السلطان ثم طلبه اهله فنبش وسلم اليهم[٨] ثم نبشه زوجته الدينارية فدفنته بدارها بغلة صافي فنبش بعد موته ثلاث دفعات فهذا[٩] عجب[١٠] .

وابن انه[١١] انه مات وزر لثلاث خلفا وابن الفرات وزر لخليفة واحد ثلاث دفعات وابن مقلة وزر ثلاث دفعات لثلاث خلفا ودفن بعد موته ثلاث دفنات.

---

١) في الاصل جرا
٢) في الاصل بحكم بحاء مهملة
٣) في الاصل افتا
٤) في الاصل القرءان
٥) في تجارب الامم ٣٨٨/٥ تشبثت
٦) في تجارب الامم ٣٨٨/٥ فبعض
٧) البيت للخريمي ، ويتلوه :

يمني الطبيب شفاء عيني وما غير الاله لها طبيب

وللخريمي هذا ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة صفحة ٣٥٤ ، ومعاهد التنصيص للعباسي ٨٧/١ ، والورقة لابن الجراح صفحة ١٠٢ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز صفحة ١٣٨
٨) زاد في المنتظم ٣١١/٦ فدفنه ابنه ابو الحسين في داره
٩) في الاصل فهاذا
١٠) ترجم له في المنتظم ٣٠٩/٦ في جملة اخبار سنة ٣٢٨
١١) كذا في الاصل

كتاب طبّ خطّي

لصالح افندي

تعريف عنه

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

في دار حضرة الشيخ لويس نجيب الدحداح ، في بلاط (بلاد جبيل) ، كتاب طبّ خطي ، منقول بخطّ عربي ، بحبر اسود ، وعناوينه بحبر احمر ، غفل من العنوان ، يشتمل على اربعة كتب وابواب ، باربع مقالات ، وكل مقالة تُقسم الى فصول . أُثبت فهرسه في اوله . مجلد بجلد اسود لعب فيه النخر . عدد صفحاته ٤٥٩ صفحة ، طوله ٢١ سنتمترًا ونصف السنتمتر . عرضه ١٦ سنتمترًا . عرض هامشه ٥ سنتمترات ونصف السنتمتر . تحتوي الصفحة منه ٢٦ سطرًا . طول السطر ٨ سنتمترات ونصف السنتمتر . منسوخ على ورق عبّادي . خطه قريب من الخط الكنسي . قد التبست كلمات على الناسخ فنقلها مغلوطة ومحرّفة ولا تخلو منها صفحة . عُلق على هامشه بعض الحواشي . سُطر بعض وصفات طبية بخط مختلف ، على ورقات بيضاء في اوله وهي ليست من صلبه ، وبينها قاعدة لمعرفة توليد القمر .

وهذا الكتاب هو من تأليف الحكيم صالح افندي الذي اختطفته المنية قبل ترتيبه وانجازه ، فأوعز ولده يحيى افندي الحائز على مقام عالٍ في الصدارة العثمانية ، الى احمد ابو الاسعاد ان ينهض بهذه المهمة ، فامتثل امر سيده كما يتضح ذلك من مقدمته .

وكان الفراغ من نسخ هذا المخطوط « عن يد العبد الفقير سام باسيل ختام سنة ١٨٢٨» على ما هو مسطر بقلمه في ذيل آخر صفحة منه التي هي ٤٩٥ . وهذا الناسخ هو من قرية معراب ، القريبة من بلدة غوسطا (بلاد كسروان) ،

كما يستفاد من العبارة السريانية التي دونّاها على ظاهر الصفحة الاخيرة من هذا المخطوط[1] .

والى القراء مقدمة هذا الكتاب وفهرسه ، وبعض فصول او نبذات منه قياساً على نهجه في سائره .

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذي زيّن عقولنا في جواهر الحِكم البديعة ، ومرّج عيون بصائرنا في رياض علم الطبيعة ، وارشدنا الى معرفة علم الصحة وازالة المرض بعدما لم نكن نعلم ، وخلق لنا من النبات والحيوان والمعدن ما يحفظ الصحة ويُزيل السقم . والصلاة والسلام على اكبر رسله الحاوي فضائل من تقدمه من الرسل الكرام الماضية ، المليّن بكلامه الموجز الشامل المواد الفاسدة من القلوب القاسية . وعلى آله وصحبه الراقين في النجاء مدارج معراجه ، السالكين في شفا الموجود ارشاد قانونه ومنهاجه .

وبعده ، فلمّا كان علم الطب بحرًا لا يوصف له قرارًا (قرار) ، وتيهاً واسعاً لا يشقّ له غبارًا (غبار) . وقد دوّن في اصوله وفروعه الاساطين من حكما اليونان واطبّا الاتين (نظنها : اللاتين) ما لا يعدّ ولا يُحصى من الاسفار . ثم ان الخلق من فحول اطبا (أطبّاء) الاسلام فصّلوا تلك الفصول (تفصيلًا) لايقًا

---

١) رأينا نسخة خطيّة بالحرف العربي ، من هذا المخطوط الطبي لصالح افندي عند الحكيم حبيب ضرغام في البوار (بلاد جبيل) تقع في ٥٠٤ صفحة كبيرة ، بخط حنّا بن طنوس الخوري رعيدي من كفور كسروان ، انجز نقلها في ٢٧ آذار سنة ١٨٥٤ ، وقد نسخنا عنها بعض وصفات اذ كنا نلقي رياضةً روحيّة في البوار . وعثرنا ايضاً عند بطرس امين في العاملتين – جونية – على كتاب طب خطي كبير الحجم يسمى : « الكتاب الرابع في الطب الجديد الكيماني » لمؤلفه ورتبه احمد ابو الاسعاف ، مكتوب بالعربي بخط حنا بن طنوس الخوري رعيدي المذكور ، وانتهى من نسخه في ٣٠ آذار سنة ١٨٤٦ ، وفي هذا المخطوط وصفات طبية عديدة مثبتة في مخطوط البوار .

بالاعتنا والاعتبار . واضافوا الى ذلك اشيا كثيرة أدّاهم الى استخراجها سلامة القريحة وصحة الافكار . ثم لم يزالوا يحثوا عن ذلك درجٌ (درجاً) بعد درج، الى ان قيل : الكل منهم لج فحج ، واستمر هذا القانون في كل عصر وقرن، وفي كل فخذٍ وبطن . الى ان مرضت الهمم ، وسامت امزجت (امزجة) عزمات (عزائم) الامم . مع ان السلف هوّنوا الامر على الخلف . واراموا (وراموا) بالتدوينات صون ما كسبوه عن التلف (السلف)، الا ان اطبّاً العصر اضاعوا ما ورثوه عن السلف الخلف ، كورثة المال وقنعوا بظنّ العوام. اياهم اهل الكمال ختى افسد باب الاجتهاد في امر حديث والتميز بين الجريد والرشيد . الى ان وصلت النوبة الى واحد العصر والاوان ، وفريد الدهر والزمان ، عين الاعيان ، ومجرّد علم الابدان ، استاذ اهل الصناعة ، والرئيس في الدولة العثمانية على الجماعة ، اللوذعي الاوحدي المولى صالح افندي . فنهض عن سرير سريرته عزم صحيح المزاج ، قويّ القوى ، مليح الشيم صبيح الرؤى . يقتحم الادعار (الاوعار) ويزدحم الانجار (الانجاد) والاغوار . يُطلع الثنايا ويستطلع الخبايا التي في الزوايا . الى ان انغمس في عباب كتب تلك الاساطين من حكما اليونان واطبّاً الاتين (اللاتين). وغاص في لجج بحارهم حتى وصل مؤدّى ارائهم، واستخرج دررًا فاخرة ثمنًا (ثمينة) ، وتراكيب وعلاجات كانت في اصدافها كمينة. وغير ذلك من الفوائد الفريده ، وامراض الحديثة الجديده . حتى انه لم يُبق ولم يدع ، سوى الحرز والودع . بل لم يترك شيئاً ثمّة ولم يدر رجا المبتدر الخبر . وكان في قصده ونيّته ، وضميره وامنيته ، ان يرتب هذا الكتاب ترتيباً مطابقاً لمرامه ، لائقاً بمقامه . الى ان اختطفته يدُ المنيّة ، قبل ان يظهر الى الفعل ما كان في النيّة . افاض الله تعالى عليه سجال غفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه .

ثم ان نجله السعيد حضرة مولى الموالي ، وقرّة عين الموالي ، جرثومة الفضايل والمحامد ، ارومة قطب الافاضل والاماجد ، افلاطون الاوان ، وارسطاليس الزمان . ذو الاخلاق الاريضة ، والاحكام الشرعية . والشجاعة العنترية . فاكبر بشأنه واعظم بمكانه . هو الذي يدرك فيما يدرك وشن في عصره فما يشرك . الفاضل الذكي الالمعي المولى يحيى افندي . لا زالت اوقاته صافية من الكدر ، ولا برحة (برحت) مساعيه محمودة الاتر (الاثر) زاكية

الثمر (الثمر) . طالما كان يجول في خاطره ، ويلوح لناظره ، تكميل هذا الاثر الجليل وترتيبه ، واحكامه وتهذيبه . الا انه كان يعوق (يعوقه) عن تلك ، مناصب القضا (القضاء) العليّة ، لا سيما الصدارة الرومية في الدولة العثمانية ، والاشتغال بأحكامه عن الاشتغال بهذا الترتيب والتهذيب وإحكامه. ولما لم يمكن المولى الباذخ فخاره ، الشامخ على النجم مناره ، استخلاص صحته من يد الزمان خاليةً عن العايق ليرتب في هذا الكتاب على اسلوب انيق ، فأصدر امرًا لهذا الفقير ، بان يرتّب الكتاب على مقالة (مقالات) وفصول وابواب . فما وسعني في الحال الناعة ، الا الاجابة لامره بالسمع والطاعة . وشرعت في المقصود ، متوكلًا على الملك المعبود ، بترتيب الكتاب على طرز (طراز) يرتضيه اولو الالباب ، مقسّمًا الى اربعة كتب .

الكتاب الاول : في الامراض ويشتمل على اربع مقالات

الكتاب الثاني : في قوانين تركيب الادوية ، وبيان الحاجة الى التركيب وكيفية المواد التي هي اصول التركيب . ويشتمل على ثلاثة ابواب ، كل منها يشتمل على فصول ايضًا .

الكتاب الثالث : في الاقرابذينات الجامع في المركّبات . ويشتمل على بابين ، وكل منها يشتمل على فصول ايضًا .

الكتاب الرابع : في الطب الجديد الكيماني الذي اخترعه براكلوس (براكلسوس) . ويشتمل على مقدمة ومقالات وفصول مسمّياً اياها : «غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان» مقيدًا ما اشتملت عليه تلك المقالات . والفصول بحروف الجمل ، ليكون سهلًا لمطالعه هينًا لمراجعه . وأسأل الله ان ينفع به العباد . وان يجعله ذخرًا في يوم المعاد . لمؤلفه ومرتبه احمد ابو الاسعاد . وهو حسبي في ساير الاحوال ، وبيده ازمّة الآمال .

فلنبدأ بذكر اجزاء الرأس وامراضه لكونه اشرف الاعضاء الظاهرة المنفعة لازمة الحس والحركة .

فهرس الكتاب

المقالة الاولى

في امراض الدماغ وتشتمل على مئة فصل وواحد

١ في سوء المزاج الحارّ الساذج ٢ في سوء المزاج البارد العارض للرأس ٣ في الصداع لسوء مزاج رطب بلا مادّة ٤ في الصداع الكائن لسوء المزاج اليابس بلا مادة ٥ في الصداع الكائن لسوء المزاج بالرأس المادي ٦ في سوء المزاج المادي الكائن عن مشاركة الاعضاء وعلاماته وعلاجه ٧ في الصداع الكائن عن الابخرة والرياح النافخة ٨ في الصداع الكائن عن الدم ٩ في الصداع الكائن لسوء مزاج مادي صفراوي ١٠ في الصداع الكائن لسوء مزاج مادي بلغمي ١١ في الصداع الكائن عن خلط مائي ١٢ في الصداع الكائن عن مادة سوداوية ١٣ في الصداع الكائن عن سوداء محترقة ١٤ في الخودة والبيضة ١٥ في ما يعرض لارواح الدماغ ١٦ في الورم في الرأس والحجاب الخارج ١٧ في السهر ١٨ في السبات ١٩ في رؤية الاحلام الرديئة ٢٠ في الدوار ٢١ في الحمق والنسيان ٢٢ في السرسام ٢٣ في المالنخوليا ٢٤ في المراقيا ٢٥ في المانيا(μανία)[1] ٢٦ في ليترغوس[2] ٢٧ في الرعشة ٢٨ في الفالج ٢٩ في التشنج ٣٠ في الكابوس ٣١ في الصرع ٣٢ في السكتة ٣٣ في امراض الجفن ٣٤ في خشونة الجفن والجرب ٣٥ في ورم الجفن ٣٦ في الشعيرة في الجفن ٣٧ في السرطان في الجفن ٣٨ في استرخاء الجفن وتشنجه ٣٩ في القمل في الجفن ٤٠ في سقوط شعر الاجفان وبياضها ٤١ في غلظ شعر الاجفان ٤٢ في انقلاب الشعر وزيادته ٤٣ في الضربة ان اصابت الجفن ٤٤ في احتراق الجفن بالنار ٤٥ في سقوط القذى في العين ٤٦ في الرمد ٤٧ في الضفر (الظفر) ٤٨ في السبل ٤٩ في البياض في العين ٥٠ في النفاطات .

---

١) لفظة يونانية ، معناها الجنون السبعي .

٢) لفظة يونانية معناها النسيان ، وهو ورم بلغمي داخل قحف الرأس وهو السرسام البلغمي .

٥١ في القروح في الطبقة القرنية ٥٢ في الجراحات الواقعة في العين ٥٣ في الطرفه ٥٤ في وجع العين ٥٥ في الموسرج[1] ٥٦ في سبل العين ٥٧ في نزول الماء في العين ٥٨ في الغرب في العين ٥٩ في الدمعة ٦٠ في السلاق في العين ٦١ في جحوظ العين ٦٢ في ضعف البصر وبطلانه والعشا. ٦٣ في امراض حاسة السمع ٦٤ في المرض الفلغموني في الاذن ٦٥ في قروح الاذن وسيلان المادة منها ٦٦ في الدود في الاذن وسقوط الحيوان فيها ٦٧ في الدويّ والطنين في الاذن ٦٨ في الطرش والصمم في الاذن ٦٩ في وجع الاذن .

٧٠ في امراض الانف ٧١ في سرطان الانف ٧٢ في بواسير الانف ٧٣ في سدة الانف ٧٤ في آفات الشمّ وبطلانه ٧٥ في الرعاف .

٧٦ في امراض اللسان وشقاقه (وتشققه) وخشونته ٧٧ في اورام اللسان ٧٨ في جراحة اللسان ٧٩ في الضفدع في اللسان ٨٠ في بطلان الحس والذوق ونقصانه وتغيره ٨١ في بطلان حركة اللسان وتغيره .

٨٢ في امراض الشفتين ٨٣ في شقاق (تشقق) الشفتين ٨٤ في قروح الشفتين ٨٥ في امراض الاسنان ٨٦ في تحرّك الاسنان وتقلقلها ونقصان لحم اللثة ٨٧ في وجع الاسنان ٨٨ في ضرس الاسنان ٨٩ في تغير لون الاسنان وسيلان الدم ٩٠ في امراض اللثة ٩١ في نقصان لحم اللثة ٩٢ في اورام اللثة والقروح والسرطان ٩٣ في امراض الفم ٩٤ في القلاع في الفم ٩٥ في البخار والرائحة الكريهة في الفم .

٩٦ في امراض الحلق ٩٧ في سقوط اللهات ٩٨ في اورام اللهات وقروحها ٩٩ في اورام اللوزتين وقروحها ١٠٠ في العلق والشوك والعظم ١٠١ في الخناق.

المقالة الثانية

في امراض الصدر والرئة وقصبتها ، وتشتمل على مئة وثلاث واربعين مقالة

١ في سوء مزاج قصبة الرئة ٢ في بحة الصوت وخشونة قصبة الرئة ٣ في ضيق قصبة الرئة ٤ في قروح قصبة الرئة ٥ في امراض الرئة ٦ في ذات الرئة ٧ في ضيق مجاري الرئة ٨ في قروح الرئة والصدر والسل ٩ في ذات الجنب

١) هو خروج جزء العينية (في العين) لانخراق القرنية لقروح او تفرّق اتصال .

١٠ في الربو وضيق النفس ١١ في السعال ١٢ في نفث الدم ١٣ في امراض القلب ١٤ في دود غلاف القلب ١٥ في سوء مزاج القلب الحار ١٦ في سوء مزاج القلب البارد ١٧ في الخفقان ١٨ في ضعف القلب ١٩ في الغشي ٢٠ في امراض المري ٢١ في سوء المزاج الحار في المري ٢٢ في اورام المري ٢٣ في عسر الازدراد ٢٤ في قروح المري .

٢٥ في امراض المعدة ٢٦ في سوء المزاج الحار في المعدة ٢٧ في سوء المزاج الرطب في المعدة ٢٨ في سوء المزاج اليابس في المعدة ٢٩ في سوء مزاج المعدة مع مادة ٣٠ في علامات غلبة الصفراء وعلاجها ٣١ في النفخة والقراقر في المعدة ٣٢ في اورام المعدة الحارة والباردة ٣٣ في قروح المعدة ٣٤ في بطلان الشهوة ونقصانها ٣٥ في الشهوة الكلبية والجوع البقري ويسمى باليونانية بوليموس ٣٦ في فساد الشهوة ٣٧ في العطش الشديد ٣٨ في ضعف الهضم وبطلانه ٣٩ في الفواق ٤٠ في القيء والغثيان ٤١ في علاج الدم ٤٢ في وجع المعدة ٤٣ في الهيضة ٤٤ في امراض الامعاء ٤٥ في سوء المزاج البارد في الامعاء ٤٦ في سوء المزاج الحار في الامعاء ٤٧ في سوء المزاج الرطب في الامعاء ٤٨ في سوء المزاج اليابس ٤٩ في سوء المزاج مع مادة ٥٠ في الورم الحار في الامعاء ٥١ في السدة في الامعاء وضيقتها ٥٢ في الديدان في الامعاء ٥٣ في امراض الصفاق والفتق ٥٤ في بطلان فعل الامعاء ونقصانه وفي ايلاوس ٥٥ في القولنج ٥٦ في زلق الامعاء ٥٧ في الاسهال ٥٨ في الاسهال الكيموسي ٥٩ في اسهال الكلى مع الحمى ٦٠ في الاسهال الذوباني ٦١ في الاسهال من جميع البدن بعد الحمى ٦٢ في الاسهال المعدي ٦٣ في الاسهال الكبدي ٦٤ في اسهال الطحال السوداوي ٦٥ في الاسهال الدماغي ٦٦ في الاسهال العارض للاطفال عند خروج (بروز) الاسنان ٦٧ في الاسهال العارض من شرب دواء مسهل حارّ سامّ ٦٨ في الدوسنطاريا ٦٩ في اسهال الدم ٧٠ في الزحير .

٧١ في البواسير ٧٢ في وجع المقعدة ٧٣ في حكّة المقعدة ٧٤ في اورام المقعدة ٧٥ في شقاق (تشقق) المقعدة ٧٦ في قروح المقعدة ٧٧ في الناصور ٧٨ في خروج المقعدة .

٧٩ في امراض الماساريقا وسددها ٨٠ في اورام الماساريقا ٨١ في وجع

المساريقا ٨٢ في امراض الطحال ٨٣ في سوء مزاج الطحال ٨٤ في سدد الطحال ٨٥ في عظم الطحال ونفخه ٨٦ في الورم الحار في الطحال ٨٧ في صلابة الطحال وتسمى سقيروس ٨٨ في امراض الكبد ٨٩ في سوء مزاج الكبد ٩٠ في سوء المزاج الحار في الكبد ٩١ في سوء المزاج البارد في الكبد ٩٢ في سوء المزاج الرطب في الكبد ٩٣ في سوء المزاج اليابس في الكبد ٩٤ في سدد الكبد ومجاريه ٩٥ في النفخة في الكبد ٩٦ في الورم الحار في الكبد ٩٧ في الاورام الصلبة وسقيروس في الكبد ٩٨ في قروح الكبد ٩٩ في ضعف الكبد ١٠٠ في سوء القنية ١٠١ في الاستسقاء ١٠٢ في الاستسقاء الطبلي ١٠٣ في الاستسقاء اللحمي ١٠٤ في اليرقان ١٠٥ في امراض الكلى وفي سوء مزاج الكلى الحار اليابس ١٠٦ في سوء المزاج البارد في الكلى ١٠٧ في سدد الكلى وضيق مجاريها ١٠٨ في انتفاخ مجاري الكلى ١٠٩ في حصاة الكلى ١١٠ في ورم الكلى الحار ١١١ في ورم الكلى الصلب ١١٢ في هزال الكلى ١١٣ في قروح الكلى ١١٤ في الديابيطوس ١١٥ في وجع الكلى .

١١٦ في امراض المثانة ١١٧ في حصاة المثانة ١١٨ في اورام المثانة ١١٩ في جرب المثانة ١٢٠ في قروح المثانة ١٢١ في نواسير المثانة ١٢٢ في ضيق مجرى القضيب ١٢٣ في احتباس البول ١٢٤ في تقطير البول ١٢٥ في حرقة (حريق) البول ١٢٦ في سلس البول في الفراش .

١٢٧ في امراض اعضاء التناسل ١٢٨ في عِظَم الخُصيتين واورامها ١٢٩ في انتفاخ الخُصيتين ١٣٠ في الورم البارد وصلابته في الخُصيتين ١٣١ في قروح الخُصيتين ١٣٢ في تقشير جلد الخُصيتين ١٣٣ في فتق الصفاق ١٣٤ في امراض القضيب واسترخائه ١٣٥ في انتفاخ القضيب ١٣٦ في اورام القضيب الحارّة ١٣٧ في قروح القضيب ونواسيره ١٣٨ في شقاق (تشقق) القضيب ١٣٩ في المني وضعف الباه ١٤٠ في ضعف الانتشار ١٤١ في فرياسيموس ١٤٢ في سيلان المني ١٤٣ في كثرة الاحتلام.

المقالة الثالثة

في امراض النساء وتشتمل على ثمانية وثمانين فصلًا

الفصل الاول في امراض الرحم وفي سوء المزاج الحار في الرحم ٢ في سوء

المزاج البارد في الرحم ٣ في سوء المزاج الرطب في الرحم ٤ في سوء المزاج اليابس في الرحم ٥ في سوء المزاج المادي في الرحم وسوء المزاج البارد الرطب المادي ٦ في سوء المزاج الحار اليابس مع الصفراء في الرحم ٧ في ضيق مجاري الرحم وسددها ٨ في الاشيا المتولدة في الرحم الغير طبيعيّة ٩ في نفخ الرحم ورياحه ١٠ في استقاء الرحم ١١ في اورام الرحم الحارّة ١٢ في صلابة الرحم ١٣ في قروح الرحم ١٤ في جرب الرحم ١٥ في تآليل الرحم والمسامير النمليّة ١٦ في بواسير الرحم ١٧ في شقاق (تشقّق) الرحم ١٨ في نواصير الرحم ١٩ في سرطان الرحم ٢٠ في ضعف الرحم عن فعله الذي هو جذبُ الغذاء او اكال المني وتصوّره وهربه عن المؤذي كما يهرب الحيوان عن ذلك ٢١ في الحكّة في الرحم ٢٢ في وجع الرحم ٢٣ في احتباس دم الحيض ٢٤ في افراط سيلان الطمث ٢٥ في الامراض المختصّة بالنساء منها مرض جديد يُقال له الحمّى البيضاء وتغيّر لون الطمث ٢٦ في اختناق الرحم ٢٧ في المانيا (μανία) الرحمي.

٢٨ في العقر وامتناع الحمل ٢٩ في الرجا ويُقال له باليونانيّة رمدلي ٣٠ في علامات الحبل ٣١ في تدبير الحوامل ٣٢ في تدبير الاعراض العارضة للحوامل في الشهر الاول ٣٣ في تدبير الاعراض التي تعرض لهنّ في وسط الشهور ٣٤ في تدبير الحوامل في الشهور الاخيرة ٣٥ في الاسقاط وحفظ الجنين ٣٦ في عسر الولادة ٣٧ في اخراج المشيمة ٣٨ في تدبير دم النفاس ٣٩ في تدبير افراط دم النفاس ٤٠ في تدبير النفاس ٤١ في الحمّيات العارضة للنساء.

٤٢ في امراض الثديين ٤٣ في الورم في الثديين من كثرة اللبن (الحليب) ٤٤ في اورام الثدي الحارّة ٤٥ في الورم الرخو في الثديين ٤٦ في السقيرُوس في الثدي ٤٧ في الخنازير والسلع في الثديين ٤٨ في سرطان الثدي ٤٩ في قروح الثدي ونواصيره ٥٠ في سدد الثدي ٥١ في شقاق (تشقّق) حلمة الثدي ٥٢ في قلّة اللبن (الحليب) وضعف القوّة ٥٣ في كثرة درور اللبن ٥٤ في تدبير المرضع.

٥٥ في تدبير الاطفال ٥٦ في امراض الاطفال ٥٧ في حمية الاطفال والحصبه والجدري ٥٨ في البثور اللبنة ويُقال لها البثور الشهرية ٥٩ في السعف في رؤوس الاطفال ٦٠ في القمل ٦١ في الماء تحت القحف ٦٢ في الريح تحت القحف وعلاجه ٦٣ في الورم الحارّ في الرأس ٦٤ في الصياح والنوم والكابوس ٦٥ في

السهر العارض للاطفال ٦٦ في الصرع واورام الصبيان ٦٧ في تشنّج الاطفال .
٦٨ في وجع الأذن وسيلان رطوبات الأذنين وقروحها واورامها ٦٩ في القلاع وبثور الفم واورام الحلق في الاطفال ٧٠ في نبات الاسنان ٧١ في ضفدع اللسان ٧٢ في النزلة والسعال وضيق النفس في الاطفال ٧٣ في الفواق في الاطفال ٧٤ في القيء العارض للاطفال ٧٥ في مغص الاطفال ٧٦ في نفخ المراق ٧٧ في الاسهال العارض للاطفال ٧٨ في اعتقال طبع الاطفال ٧٩ في الديدان ٨٠ في فتق الاطفال ٨١ في قروح سرّة الاطفال ٨٢ في ورم السرّة ٨٣ في خروج المقعدة ٨٤ في حصاة المثانة ٨٥ في البول في الفراش ٨٦ في سحج افخاذ الاطفال ٨٧ في الامراض الطرفيّة واوجاع المفاصل وعرق النسا والنقرس ٨٨ في عرق النسا .

المقالة الرابعة

في الامراض التي لا تختص بعضو دون آخر وتشتمل على بابين وفصول عديدة

الباب الاول

في الحمّيات

الفصل ١ في حمّى يوم ٢ في الحمّيات العفنيّة ٣ في علاج حمّى العفونة ٤ في تدبير الغذاء ٥ في تدبير المشروب ٦ في تدبير هواها (اي الحمّيات) ٧ في حمّى سونوخس العفنيّة ٨ في الحمّى الصفراويّة اللازمة والمحرقة ٩ في حمّى الثلثة ١٠ في حمّى اينبالوس ١١ في الحمّى الغشائيّة الخاطئة ١٢ في الحمّى السوداويّة اللازمة ١٣ في الحميات الدايرة ١٤ في علاج الكلي للحميات الدائرة ١٥ في حمّى الغبّ ١٦ في الحمّى الدائرة البلغميّة ويُقال لها الحمّى النائبة ١٧ في الحمّى السوداويّة ١٨ في الحمّيات المركّبة ١٩ في حمّى الدقّ ٢٠ في الوباء والحمّيات الوبائيّة والحمّيات الرديئة ٢١ في تدبير التحفّظ من الوباء ٢٢ في علاج الطاعون والوباء ٢٣ في الحمّيات الوبائية والحمّيات الخبيثة ٢٤ في علامات الحمّى الرديئة ٢٥ في علاج الحمّى الرديئة ٢٦ في الجدري والحصبه ٢٧ في تدبير حفظ الاعضاء من الجدري ٢٨ في الحمّى العرقيّة ٢٩ في تدبير الحمّيات واولًا الصداع ٣٠ في علاج السهر التابع للحمّيات ٣١ في علاج السبات التابع للحمّيات ٣٢ علاج الهذيان

واختلاف العقل التابع للحمّيات ٣٣ علاج التشنّج والصرع التابعين للحمّيات ٣٤علاج الرعاف التابع للحمّيات ٣٥ علاج السعال التابع للحمّيات٣٦ علاج يبوسة اللسان وسواده وتشقّقه ٣٧ علاج العطش الشديد التابع للحمّيات ٣٨ علاج الفواق التابع للحمّيات ٣٩ علاج القيء والغثيان التابعين للحمّيات ٤٠ علاج الاسهال التابع للحمّيات .

الباب الثاني

في الاورام

الفصل ١ في الورم الفلغموني ٢ في الخرّاجات ٣ في الغدد ٤ في الدمامل ٥ في وقبا يجتلا (وهو ورم مستدير) ٦ في الجمرة والنار الفارسيّة ٧ في الداحس ٨ في الحمرة والنملة والجاروشيّة ٩ في اوديما وهو الورم الرخو البلغمي ١٠ في سقيرُوس ١١ في السرطان ١٢ في الورم المائي ١٣ في النفاطات والنفاخات ١٤ في الحصف ١٥ في نبات السلّ ١٦ في الشري ١٧ في الجرب ١٨ في قانون استعمال ما. الجبن في الجرب ١٩ في البرص والبهق ٢٠ في القوبا ٢١ في البادشنام (وهو حمرة في الوجه) ٢٢ في الدبيلات ٢٣ في السلاحف ٢٤ في الخنازير ٢٥ في التآليل والمسامير ٢٦ في الورم الزنجي ٢٧ في داء الفيل ٢٨ في الامراض الرديئة السميّة (النامّة) الجلديّة ومنها الجدام (الجذام) ٢٩ في الحبّ الافرنجي ٣٠ في اسكربوط ٣١ في بلبكا (مرض من امراض الشعر) ٣٢ في القروح ٣٣ في القروح مع سوء المزاج ٣٤ في القروح مع انصباب مادة من عضو من الاعضاء. ٣٥ في القروح المتعفّنة الوسخة ٣٦ في القروح مع الورم ٣٧ في اللحم الزائد في القروح ٣٨ في صلابة القروح ٣٩ في الكهوف والمخابئ ٤٠ في النواسير ٤١ في دود القروح ٤٢ في فساد العظام في القروح وهي ريح الشوكه ٤٣ في القروح الخردانية والرديئة والعسرة الأندمال ٤٤ في الوجع الشديد في القروح ٤٥ في حرق النار والماء والدهن وغيره ٤٦ في غنغرنيا وسفاقلوس والآكله ٤٧ في الجراحة ٤٨ في النزف من العروق والشريانات في الجراحة ٤٩ في وخز العصب وجراحاته.

٥٠ في الجراحة العارضة من نهش بعض الحيوانات كالكلب والفرس والانسان وغير ذلك ٥١ في الجراحة الكائنة من رصاص التوفنك وضرب

الطوب ٥٢ في الكسر والخلع والوثى ٥٣ في الخلع .

٥٤ في امراض الزينة ٥٥ في تغيير لون الوجه واحتراقه من الشمس ٥٦ في الكلف في الوجه ٥٧ في النمش ٥٨ في الادوية المحسّنة للّون والمحمّرة ٥٩ في آثار القروح والجدري ٦٠ في الرائحة الكريهة في البدن .

٦١ في احوال نقصان الشعر وبطلانه ٦٢ في تناثر الشعر وسقوطه ٦٣ في داء الثعلب وداء الحيَّة ٦٤ في تشقيق الشعر وتقصيفه ٦٥ في الشيب وبياض الشعر ٦٦ في الحزازة والنخالة ٦٧ في برص الاظفار ٦٨ في تغيير لون الاظفار من غير آفة ٦٩ في تشقُّق الاظفار ٧٠ في تشقُّق الاطراف من البرد ٧١ في السموم ونهش الحيوانات السامَّة ٧٢ في اعراض من أثَّر فيه السمّ ٧٣ في التحرُّز من السمّ ٧٤ في كلام كلّي في كيفية تأثير النادزهرات ٧٥ في علاج من سُقي سمًّا ٧٦ في من سُقي الزاج ٧٧ في من سُقي الماء الحارّ كما. الفاروق وغيره ٧٨ في من سُقي الافتيمون والاتمي ٧٩ في من سُقي المغناطيس ٨٠ في من سُقي الماس ٨١ في من سُقي اللازورد ٨٢ في من سُقي الزرنيخ وسمّ الفار ٨٣ في من سُقي النحاس المحرق والزنجار ٨٤ في من سُقي الحديد والبولاد وخبث الحديد ٨٥ في من سُقي الاسرب وابردته ٨٦ في من سُقي الاسفيداج ٨٧ في من سُقي السليقون ٨٨ في من سُقي المرداسنج ٨٩ في من سُقي الزيبق الحي والمصعد المسمَّى بالسليماني ، والمكلّس بما. الفاروق المسمَّى برلجبي ترتوا ٩٠ في من سُقي الزنجفر ٩١ في السموم النباتية وفي من سُقي الفطر ٩٢ في من سُقي البيش ٩٣ في من سُقي شيْربيش ٩٤ في من سُقي السوكران ٩٥ في من سُقي البنج ٩٦ في من سُقي اللفاح ٩٧ في من سُقي الكزبرة الرطبة ٩٨ في من سُقي الفرفيون ٩٩ في من سُقي جوز ماثل ١٠٠ في من سُقي الدفلى ١٠١ في من سُقي الخربق .

١٠٢ في السموم الحيوانية ١٠٣ في نهش الحيَّات ١٠٤ في لدغة العقارب ١٠٥ في نهشة سامّ ابرص والوذع ١٠٦ في نهش ام اربعه واربعين ، ويُقال لها دودة الاذن ١٠٧ في نهش الرتيلات والعنكبوت ١٠٨ في من سُقي الذراريح او طلي بها من الخارج ١٠٩ في لذع النحل والزنبور ١١٠ في من نهشة السمكة ١١١ في عضَّة الكلب المكلب .

الرأس

اعلم ان الدماغ اول اجزاء الرأس ، ويحيط به حجابان ، الاول ملاصق للقحف من داخل كالبطانة له . وهو أغلظ وأصلب من الحجاب الثاني ، فلذلك سمي الأمّ الصلبة. والثاني محيط بنفس الدماغ ملاصق له وهو ارق وألين من الحجاب الاول، فلذلك سمي الأمّ الليّنة . ويعرض له اجناس الامراض الثلاثة كما يعرض لسائر الاعضاء، لكن اكثر ما يعرض امراض سوء المزاج لتشابه اجزائه، ويندر عروض امراض تفرّق الاتصال ولكونه محفوظاً بجسم صلب وهو القحف .

ولما كان الصداع ، وهو ألمٌ في اعضاء الرأس من امراض كثيرة الوقوع ، لكونه امّا من سوء مزاجه نفسه فقط ، او من مشاركة الاعضاء له ، او منها بدنائه . ولما كان اكثر وقوعه من امراض سوء المزاج فنقول :

سوء المزاج، امّا مفرد او مركّب. وكلّ واحد منها امّا مع مادّة، او بغير مادّة. والذي يكون عن غير مادّة قليل نادر الوقوع. فان اكثره يكون مع مادّة مناسبة له، وذلك امّا ان يكون في نفسه، او بمشاركة بعض الاعضاء . فلنتكلّم اولاً على سوء المزاج مطلقاً ثمّ ننتقل الى ذلك فيما سيأتي .

قال جالينوس : علامات سوء المزاج اكثرها مشابهة بعضها ، فيُحتاج الى معرفة السبب السابق والى النظر الى الفضلات الخارجة من الانف ، والى معرفة موضع الوجع ، ومعرفة مرتبة الوجع في الشدّة والضعف .

ويجب ان نعلم ان الرأس لما كان أعلى اجزاء البدن ، كان قابلاً لما يرتفع اليه من الابخرة من الاعضاء التي تحته . ويجب ان تعلم ذلك المرتفع من اي عضو هو ليتأتّى لك المعالجة . فاذا كان الرأس قابلاً لما يرتفع اليه من البخار ، فيجب التوقّي من المبخرات المصعدة للمواد اليه والاشياء الكثيرة الوقوف في المعدة البطيئة النزول عنها ، كالشراب والحليب والتمر والبصل والثوم والزيتون والزعفران والشاهبلوط والجوز . وكذلك التوقّي من الحركات العنيفة وعن النوم في القيلوله ونصف النهار .

واعلم ان سوء المزاج هو تغيّرٌ يعرض من برودة او حرارة ، ولهذا يُحتاج في العلاج الى تعديل المزاج ، وانما يُحتاج الى الاستفراغ اذا كان البدن ممتلئاً . ويُخشى من قبول الدماغ للاخلاط الضعيفة المزاج .

في امراض الدماغ (من المقالة الاولى صفحة ٢٣)

في سوء المزاج الحارّ الساذج

اكثر ما يكون سوء المزاج الساذج، عن كثرة الوقوف في الشمس، او مقابلة النار، او طول المكث في الحمّام. او عن الغيظ والغضب والصياح والسهر، وتناول ما له حدّة، وشمّ الروائح الحارّة وطول الفكر (التفكير) وعن كلّما يحرّك الارواح ويسخّن الدم.

وعلامته: حرارة اللمس، وضربان الصدغين وحمرة الوجه، والعينين، والهرب من الضوء. والسهر والنوم المضطرب وسرعة الغضب وكثرة الكلام والهذيان والتضرُّر بالاشياء الحارّة والانتفاع بالاشياء الباردة. وتقدّم بعض الاسباب المذكورة سابقاً.

العلاج: يجب تبريد الرأس بحسب درجة الحرارة ويبوستها. ولما كانت الحرارة جاذبة ويخشى ان تجذب شيئاً من الاعضاء السافلة الى الرأس، وجب تليين الطبع لمنع المادة. ولما كانت الحرارة مذيبة لرطوبات الرأس فيحصل بسبب ذلك استرخاء في اعضائه، وجب ان لا تخلو الادوية المبرّدة من قوّة قابضة. ويجب ان تكون تلك القوّة القابضة ليست بشديدة القبض لئلّا تسدّ المسامّ وتمنع البخار عن التحلّل فيمتلئ الدماغ بخاراً ويزيد الصداع. وكذلك يفعل في سوء المزاج المادّي بعد الاستفراغ امين ما قلناه. وينبغي ان لا يُبالغ في التبريد في هذا العضو، لانه مبدأ الحسّ والحركة والروح النفساني، فان كثيراً ما ضرّ وأدّى الى اختلال العقل وبلادة الحواس. ويُجب ان تُحذر المخدّرات ما امكن، الّا ان يكون وجع شديد وسهر مفرط. وليكن في الابتداء والتزيد، وأمّا في الانحطاط فلا يجوز ابداً.

ويجب ان تعلم ان قحف الرأس صلب لا تنفذ فيه قوى الادوية بسهولة، فيحتاج الى ادوية منفذة كالخلّ. ويجب ان توضع الادوية الوضعيّة على الصدغين، فان عظامها دقيقة متخلخلة بالنسبة الى باقي عظام الرأس.

ويجب ان يُتوقّى وضع الادوية الباردة على مؤخّر الدماغ. فان ذلك مضرّ بالعصب ولا فائدة فيها. ويجب ان يُخلط مع المبرّدات بعض الادهان المعتدلة

الحرارة المسكّنة الوجع ، كدهن البابونج ودهن السبت[١] ودهن ثمر الاقطى[٢] .
ويجب ان لا يُقتصر على وضع المبرّدات على الراس نفسه فقط ، بل ينبغي ان يُشمّ العليل الادوية الباردة ويستنشقها وان يطلي بها تحت القدمين ، فان بين القدمين والرأس مشاركة عظيمة .

والادوية المستعملة في سوء مزاج الرأس الحارّ من داخل هي : الخسّ والبقلة الحمقاء ولسان الحمل والورد والبنفسج والنيلوفر والخشخاش الابيض والبزور الباردة والشعير والهندبا والحمّاض وحماض الاترج والخلّ . ويُصنع من ذلك أشربة وأغذية وأمياه ومستحلبات وجلاب .

والادوية المستعملة من خارج هي : الحيّ عالم[٣] ، وورق الكرم ، وورق الخلاف[٤] والآس والنيلوفر والطحلب وبزر قطونا والخشخاش وعنب الثعلب ولسان الحمل والخلّ ودهن الورد ودهن الآس ودهن القرع . تصنع من هذه الادوية كمادات وأطلية ونطولات .

صفة شراب مركّب لذلك

يُوخذ شراب بنفسج ١/٢ ق ، سكنجبين سكّري سادج ، وشراب الورد ، من كلّ واحد ١/٢ ق ، ماء الشعير ١٠ ق . يُسقى ثلاث دفعات

قال ماطيوس الطبيب : انهُ ينبغي ان يكون ما يُشرب في الحميّات والصداع الحارّ كثير المقدار لان القليل يسخن بسرعة ويتحلل بالحرارة قبل وصول اثره المطلوب منهُ . وقال : لا يجب ان يكون اقلّ من ١٠ ق .

صفة مستحلب لذلك

يُوخذ من البزور الباردة ق ١/٢ ، بزر الخشخاش ٢ د ، ماء الشعير ط ١/٢ ، ماء الخسّ ٣ ق ، ماء النيلوفر ٣ ق ، ماء الورد ١ ق ، شراب البنفسج ١/٢ ١ ق . يُعمل

---

١) دهن السبت يُظن انها رثيث كلمة الـفيدا asa foetida وهو من المبرّدات المسكّنات .

٢) دهن الانطى اي دهن البيلسان والبيلسان [illegible] باليونانية .

٣) الحي عالم اصلها حي العالم ܚܝܐ ܥܠܡܐ بالسريانية ومعناها الخالدة وهي تعريب semperviven.

٤) الخلاف زيزفون السباجات الشبيه ورقه بورق بعض الصفصاف وقد سموه لفرنسية Chalef .

مستحلباً ويُسقى من المعاجين المناسبة : معجون دياسنتا ، ومعجون اللولو البارد ، وجوارش الصندلين (الاحمر والابيض) ، ومعجون بهذه الصفة :

يُوخذ كلباشكر ، وخميرة البنفسج . من كل واحد ق ٣ ، خميرة النيلوفر ق ١/٢ ، سفوف اللولو البارد ٣ . يُعمل معجوناً بشراب البنفسج . او بهذه الصفة :

يُوخذ كلبا شكر ، وخميرة لسان الثور ، من كل واحد ق ٣ ، ومن البزور الباردة المقشّرة ، من كل واحد در ١ ، سفوف اللولو البارد در ١/٢ . يُعمل معجوناً بشراب البنفسج ويُسقى جوارش الخشخاش الابيض وجوارش سفوف اللولو البارد.

وقال ماطيُوس : يجب في كلّ محلّ يحتاج فيه الى التبريد ، ان يكون السكّر المستعمل مع الادوية ليس بشديد البياض والتصفية ، لان السكّر غير النقي مُبخّر يُوصل قوى الادوية الى الرأس بسرعةٍ ، وكذلك الى جميع الأعضاء التي هي أعلى من المعدة .

وأمّا ما يُستعمل من خارج من الادوية الوضعيَّة فهي كثيرة الانواع فمنها : ضمادات وأطلية ونطولات وأدهان ونشوقات وسعوطات وعطوسات . واذا احتجت الى التبريد القويّ صنعت الادوية المبرّدة باردة بالفعل . وان اردت التبريد المعتدل صنعت الادوية المبرّدة مفتّرة . وينبغي ان تصبّ النطولات على الرأس من مكانٍ مرتفع وقد أُحيط اليافوخ بجلدةٍ من كتّانٍ او خرقةٍ .

صفة نطول لذلك

يُوخذ ورد ونيلوفر ، من كلّ واحدٍ نصف قبضة . وورق الأقطي قبضة لطيفة ، وورق الخلاف وورق الخسّ وشعير ، من كلّ واحدٍ قبضة . يُطبخ الجميع بماء حتى يذهب الثلث ويُصفّى ويُمزج بأوقية ونصف من الخلّ ويُنطّل به .

صفة نطول آخر

يُوخذ ماء الورد ق ٦ ، خلّ الورد ق ٣ ، دهن الورد ض ٣ ، بياض بيضتين . يُخلط الجميع وتُبلّ به الخِرَق وتُوضع على الرأس .

صفة طلاء

يُوخذ لعاب بزر قطونا[1] ق ٢ ، دهن الورد وخلّ من كلّ واحدٍ ق ١/٢ ١ . يُمزج الجميع ويُوضع على الرأس بخرقةٍ من كتّانٍ .

١) اي الكتان من هُهُم بالسريانية وهو ايضاً من الملطّفات .

وجالينوس يستعمل لذلك الخلّ بدهن الورد لا غير . وفي الابتداء يُستعمل دهن الورد المصنوع بزيت الانفاق وفي الانتهاء والانحطاط دهن الورد المصنوع بالزيت المعتصر من الزيتون النضيج . ويُوخذ الكلّ ثلاثة اجزاء من دهن الورد جزء واحدٌ من الخلّ . هكذا ذكره في قاطاجانوس ، لكنّ هذا التركيب ليس بمطّرد الاستعمال لكلّ مزاج ، فان الدماغ الرطب يحتاج الى زيادة مقدار الدهن وتقليل الخلّ . والدماغ اليابس يحتاج الى زيادة الخلّ .

وأمّا الادهان المستعملة في الصداع الحارّ ، فهي دهن البنفسج ودهن الورد ودهن النيلوفر ودهن الآس ودهن الخشخاش ودهن حبّ القرع ودهن السفرجل .

والمراهم المستعملة في ذلك ، هي مرهم الصندلين ومرهم الورد ومرهم الكافور ، او مرهم بهذه الصفة :

يُوخذ دهن ورد ودهن بنفسج من كلّ واحدٍ ½ ق ، دهن خشخاش ق ½ ، عصارة الحيّ عالم ، وعصارة عنب الثعلب من كلّ واحدٍ ق . يُغلى حتى تذهب العصارات ، ثمّ يُضاف اليه صندل احمر وصندل ابيض من كلّ واحدٍ در ½ ، لعاب بزر قطونا ق ½ ، كافور ١٠. الورد ستّ حبّات ، شمع بقدر الكفاية .

صفة مرهم آخر لذلك

يُوخذ دهن الورد ق ، لعاب بزر قطونا ولعاب حبّ السفرجل من كلّ واحدٍ ق ½ ، شمع بقدر الكفاية .

صفة ضماد لعليّ بن العبّاس مجرّب

يُوخذ ورد وبنفسج ونيلوفر وبزر خبّازي ودقيق الشعير ، من كلّ واحد ثلاثة دراهم . صندل ابيض واحمر وبزر خشخاش وقشره وبزر خسّ ، من كلّ واحد در ٢ واكليل الملك در ١ . يُسحق الجميع ناعماً ويُعمل ضماداً بدهن الورد والخلّ وماء الخسّ .

صفة ضماد آخر

يُوخذ دهن ورد ودهن بنفسج ودهن خشخاش من كلّ واحد ق ½ . كافور سدس درهم . دقيق الشعير بقدر الكفاية . وبعض الناس يُضمّد الرأس بثفل ١٠. الورد والباقي في القرعة بعد التقطير .

صفة قيروطي لذلك

يُوخذ ورد يابس وقشر الخشخاش وبزر خسّ من كل واحد ٣ . دهن بنفسج وشمع بقدر الكفاية . ويجب ان يُبعد الرأس عن الدهن ، واذا قارن الصداع أنزلةٌ . بل يجب ان تُوضع الادوية الخالية عن الدهن والضمادات من الادوية المذكورة .

صفة ضماد للصداع الحار

يُوخذ بنفسج وورد ونيلوفر وورق الخلاف ، من كلّ واحد نصف قبضة . بزر خشخاش وبزر خسّ وصندل من كلّ واحدٍ ١ ، ويُوضع الجميع في خرقة متخلخلة بعد السحق ويُكمَّد بها الرأس . ويُغسل الرأس ببعض المياه المناسبة ثمَّ يُذرُّ عليه .

ومن المشمومات النافعة للصداع الحارّ الورد والبنفسج والنيلوفر والصندل . اجزاء سواء . يُسحق الجميع ويُشدُّ في خرقة متخلخلة وتُغمس في ماء الورد والخلّ ويُثابر على شمّها . او تُجمع بعد السحق بالكثيرا (الكُثيرا) المحلولة بماء الورد وتُصنع منها شمّامة .

او يُوخذ صندل وورد ونيلوفر من كلّ واحدٍ ١ . كافور سدس درهم . يُوضع الجميع بعد السحق في اناء ضيّق الفم ويُغمر بماء الورد الحارّ ويُتلقّى بخاره بالانف ، ويجب الكافور ان كان هناك سهر . ويُسعَّط بالاشياء الباردة بالقوَّة والفعل كماء النيلوفر وماء الخسّ ومستحلب البزور الباردة . ويُغرغر بهذه الاشياء ايضاً . وبعض الاطباء يستعملون الغرغرة بالخروع بالدوع (كذا) او بطبيخ الحمّاض وورق الكرم . وتُغسل الاطراف بطبيخ ورق البنفسج والخلاف والنيلوفر والخبّازي والورد وقشر الخشخاش عند الانحطاط ، الى ما ذُكر من بعض الادوية المحلّلة كالبابونج واكليل الملك او دهن البابونج . واذا استُعملت الادوية الحارَّة للصداع فلتكن باردةً بالفعل وجالينوس يستعمل هذا الدواء عند الانحطاط وهذه صفته :

يُوخذ لعاب بزر خطمي وبابونج من كلّ واحد ق ، دهن ورد ١ ، يُخلط الجميع ويُطلى به الرأس . ويجب ان يُعدَّل هواءهم (اي المرضى) وتُبرَّد مساكنهم

بان تُرشّ بالخلّ وماء الورد وتُحفّ بالرياحين الباردة كالورد والنيلوفر والخلاف والخسّ والبنفسج المرشوش عليها الماء ، ويُجلس بقرب المياه والبرك ويُمنع دخول الناس الى العليل . وليكن المسكن ليس منهي (كذا) ويُغذّى بالاغذية الباردة كالخسّ والهندبا والقرع والبقلة الحمقاء وماء الشعير .

وان كان هناك ضعف فيُغذّى بماء الفرّوج بحمّاض الاترج او الريباس او ماء الليمون . ومن الأشربة لذلك : ماء الجلاب وشراب البنفسج ومستحلب البزور الباردة .

وان كان هناك سهر يُضمّ اليه بزر الخشخاش . والشيخ الرئيس ابن سينا يأمر باسقاء العليل الخلّ بالماء البارد . وهو نافع اذا كان العليل دمويًّا سليم الاحشاء . وليجتنب كثرة الكلام والصياح والحركات والانفعالات النفسانيّة . واذا كانت الطبيعة محتبسة يُحقن بحقن ليّنة . وليتناول بعد الطعام ما يمنع البخار عن الصعود الى الراس .

الفصل العاشر : في الربو وضيق النفس

(من المقالة الثانية صفحة ١٢٦)

الربو علّة في آلات النفس يتواتر فيها النَّفس ويعسر مع مشقّة وتعب، كحال المتعب المكدود والمخنوق . وهذه العلّة ان عرضت للمشايخ (للشيوخ) لا تبرأ، واذ عرضت للشباب كانت عسرة البرء .

وسببهُ : إمّا خلط غليظ لاحج في قصبة الرئة ، ويكون الضيق في اول التنفُّس مع نحنحة وتخيُّر ، والاحساس بمادّة واقعة هناك ، او في خلل (خلال) الرئة ومزجها . وامّا في العروق الشريانيّة التي في الرئة . وهذا القسم الآخر رديء يعرض من الخفقان الشديد ، ثم الخناق القلبي لاختناق الحرارة الغريزية ، والروح الحيواني بفقدُ الترويح . وقد يعرض الربو لانصباب خلط مائي بورقي في الشرايين التي في الرئة واكثره يكون بنوايب (من النوبة) ، ويزيد وينقص بزيادة القمر ونقصانه .

وقد يكون من كثرة الابخرة السوداوية التي تصعد الى الرئة وتحتقن فيها فتضيق مجاري النَّفس بالمزاحمة ، ويتبعهُ خفقان وضعف قلب ، ويكون من بخار وارياح .

وعلامتهُ : خفّة الصدر ، واكثر ما ينتقل في الشباب الى ذات الرئة ، وفي المشايخ (الشيوخ) الى الاستسقاء خصوصاً اذا احتبس النَفَس .

العلاج : استفراغ المادة الغليظة بالحقن الليّنة ، وان وجب الفصد فُصد ويوضع على الصدر بعض المحلّلات كدهن البابونج ودهن السوسن ودهن السداب (الفيجم) .

وهذا التركيب جيّد وهو : اصل الخطمي (الختمية) والايرسا (شرش الزنبق واصل السوسن الاسمنجوني) من كل واحد درهم ونصف ، دقيق الحلبة ودقيق بزر كتّان من كل واحد در ٢ ، دهن لوز ودهن بابونج ودهن ايرسا من كل واحدٍ ق ½ ، نصف اوقية اشق محلول بالخلّ ، در ٢ شحم الدجاج وشمع بقدر الكفاية .

واَمّا الادوية التي تُستعمل من داخل وقت النوبة وتنفع خاصةً ، فهي هذه : الايرسا[1] والراسن والجنطيانا ولوف الحيّة والاسقيل (بصل الفار) والزراوند المدحرج[2] والجاوري وصاعد الكبريت والاشق والمسك والزعفران .

صفة مركّب لذلك

ماء الدارصيني أوقيتين ، سكنجبين عنصلي أوقية . يُخلط ويُسقى .

صفة آخر

اشق ، سدس درهم ؛ صاعد الكبريت وزعفران من كلّ واحدٍ خمس حبّات ، مسك حبّة ؛ يُعطى بالسكنجبين . والاشق بماء الزوفا . نافع .

صفة معجون صمغ البطم لرقادوس
نافع للربو

يُؤخذ من صمغ البطم اربعة دراهم ونصف ، اصطرك (هو صنف من الميعة ومن صمغ الزيتون) اربعة دراهم ، سنبل هنـدي درهم . يُعمل معجوناً بالعسل ، او بشراب الكزبرة .

---

١) من Iris وهو قوس قزح لكثرة الوانه في الزهرة الواحدة ويسمى زنبق المقابر وهو مبذول في الجبايين .

٢) Aristolochia serplentaria من اليونانية αριστολοχια ومعناها النفساء لانه من المهيجات .

صفة معجون آخر لصمغ البطم

قال رقادوس : لم أرَ انفع من لألأة النَّفَس ولألأة الغـداء . يُؤخذ صمغ البطم المغسول بماء السعالى ، رطل تين ، لحم نصف رطل ، فانيدا اربع اواقي ، دهن لوز حلو ق ١ . يوضع الجميع في هاون من الحجر ويُرضّ ويُخلط حتى يصير كالمرهم . الشربة ستّة دراهم .

وهذا السفوف جيّد وهو : كبريت مصعد درهم ونصف ، مسك سدس درهم ، جاوري خمس حبّات ، اشق ثلاث حبّات ، زعفران حبتان ، لولو ثلاثة دراهم . يُعطى بمرقة الفرّوج او بالسكنجبين والترياق والمتريوطس . نافع وقت النوبة .

وأمّا العلاج في وقت الراحة : فانضاج المواد بطبيخ الزوفا وطبيخ الفراسيون (عشبة) وعَرَق السوس وغير مما مرَّ في باب ضيق القصبـة . وأفضلُ المسهلات وأسلها لهذه العلّة الغاريقون والمجوقان وحبُّ الغاريقون وقرص البنفسج .

او يُؤخذ من الايرسا در ٣ ، غياقو (هو دهن الابلوس وحطب القديسين) وراسن وخربق اسود[1] من كل واحد درهم ونصف ، زنجبيل وخولنجان من كل واحد درهم ونصف ، سنـامكي ق ٣ . يُغلى ويُصفّى ويُنقع فيه من الغاريقون نصف أوقية ، ومن الراونـد درهم ، ومن الدارصيني (هو صنف من خشب القرفة) نصف درهم . يُطبخ ويُصفّى ويُقوّم شراباً بالسكّر . الشربة اربع اواقي .

وهذا الدواء لسنارتوس مجرّب : يُؤخـذ من البسفايج (هو على شكل الخنشار صغير الحجم) ومن الغاريقون وعرَق السوس من كل واحـد نصف أوقية ، سنامكي ستّة دراهم ، زنجبيل وخولنجان ومجوقان من كل واحد درهم . انيسون ورازيانج (الشومار) من كلّ واحد ثلاثة دراهم . سعالى وبرشاوشان (كزبرة البير) من كل واحد قبضـة . يغلى ويُصفّى ويُقوّم شراباً بالسكّر . والشربة خمس اواقي .

معجون للربو

يُؤخذ زبيب احمر منزوع العَجَم ، ولوز حلو مقشّر وسكّر من كل واحـد جزء ، يُدقّ ويُستعمل .

[1] Ellébore noir.

ومن المركّبات للربو بعد التنقية : شراب النعنع وسفوفات ولعوقات ذكرناها في باب ضيق القصبة .

صفة شراب الراسن مجرَّب في هذا المرض

يُؤخذ راسن (زنجبيل) وبسفايج من كلّ واحدٍ اوقيّتين . زبيب نصف أوقية . سبستان (المقصص) ١٥ عدد . وصعتر وفوتنج (نعنع الماء) من كل واحدٍ قبضة . ورقة كبيرة من ورق التبغ . عرق سوس درهمان . انجره (القرّيص) وحبّ القطن من كلّ واحدٍ درهم ونصف . يُغلى بماء العسل ويُصفَّى ويُقوَّم شرابًا بالسكّر ويُستعمل .

صفة سفوف للربو مجرّب

جنطيانا وراسن من كل واحدٍ ستة دراهم . ايرسا وخولنجان (من عند العطّار) من كل واحد ثلاثة دراهم . غاريقون وسنبل من كل واحدٍ درهم ونصف . سكر نبات أوقيّتين (الاوقية الطبيّة ثمانية دراهم) .

صفة سفوف آخر

زوفا وانيسون من كلّ واحدٍ أوقية . ايرسا خمسة دراهم . رازيانج (شومار) ودارصيني من كل واحد درهمان. قاقلة سدس درهم. سكّر بوزن الجميع .

صفة معجون للربو مجرّب

ايرسا وراسن من كل واحدٍ نصف اوقية . تمر وزبيب من كلّ واحدٍ ثلاثة دراهم . قشر النارنج وقشر الأترج (الكبّاد) من كلّ واحدٍ درهمان . جاوري درهم . زعفران نصف درهم . يُدقّ الجميع ويُعجن بالعسل بقدر الكفاية .

وطبيخ الغافو (مر تفسيرها) والسبرنيا والصاصفراس مع الادوية الصدرية نافع للربو المزمن . وصمغ البطم اذا استُعمل مع بعض الاشربة المناسبة، ودهن اللوز كان مناسبًا هنا .

والتبخير بالجاوري والاصطرك (مرّ تفسيرها) والمرّ والسندروس[1] وصمغ العرعر نافع .

١) صمغ بالسريانية وهو خشب الصندل يتبخرون به في ضيق النفس .

ويجب ان يجتنب صاحب هـذه العلّة الامتلاء من الطعام والشراب ونوم النهار والحركات القوية والجماع .

والغذاء يكون من الحجل والطيهوج والدراريج والزبيب واللوز الحلو . ويشرب بدل الماء طبيخ الغافو .

الفصل السبعون : في البواسير

(صفحة ١٨١)

البواسير زيادة تنبت على افواه العروق التي في المقعدة . ويعرض بسبب ذلك انواع من الاعراض ، فتارةً يكون ورم ، وتارةً وجع من غير ورم ظاهر . وتارة تكون عمياء لا يترف منها شيء . وتارة مفتّحة سيّالة يسيل منها دم او رطوبة . ومنها داخل المقعدة ، ومنها خارج المقعدة وظاهر في الحسّ . والتي في الداخل تكون منشعبة من شعب الباب التي تأتي المعى المستقيم من الطحال فلا يصل الغذاء اليه . وأمّا التي في الخارج فشعبها من شعب العرق الاجوف التي تأتي بالغذاء الى المقعدة وعضلاتها . وما كان من العرق الباب في الداخل ينفتح في اربعة مواضع في الاكثر . وما كان من الاجوف ينفتح في موضع واحد وموضعين .

وسبب جميع ذلك اخلاط رديئة مع دم سوداوي ، فمنها صغير ، ومنها كبير ، ومنها معتدل المقدار ، ومنها ثالولي ، ومنها عنبي ، ومنها تيني ، ومنها ما هو داخل المقعدة ، ومنها ما هو خارجها ، ومنها سرطاني رديء ، ومنها سليم . وأمّا الوجع العارض فيها ، انما هو من العضلات العصبية المطفئة بها ، وثانياً بادوار في السنة اربعة امرار او في الشهر مرّة وغير ذلك .

العلامات : ان ما هو ظاهر للحسّ فمعلوم . وأمّا في الداخل فلا يعرف الا باعراضه ، ويعرف الخلط الغالب من الدم الخارج وسيلانها (البواسير) باعتدال . امّا من امراض رديئة كالماليخوليا والصرع وذات الجنب وغير ذلك . وافراط سيلانها يضعف القوى والكبد ويحدث سوء القنية والاستسقاء .

العلاج : ان كانت البواسير عمياء فتجب الحيلة في فتحها واستفراغ الدم الفاسد منها . ومن الادوية التي تفتحها : الحلبلاب وحشيشة الزجاج ولسان

الثور[١] (عشبة) وورق التين والسلق وبخور مريم والقنطاريون الصغير . فان كان البدن ممتلئًا والوجع شديدًا ، فيُفصد من الباسليق اولًا ثمَّ من الصافن ، وتُستفرغ الاخلاط الفاسدة بالادوية المعتدلة . وبعد ذلك ان بقيَ وجعٌ فيُرسل العَلَق على اطراف المقعدة ليمتصَّ الدم الفاسد من نفس العضو .

ويجب تليين الطبع دائمًا بالخيار شنبر والترنجبين (هو نوع من المنّ ، وهو منّ الافرنجي) بالامراق الدسمة . وأمَّا الأدوية المسكّنة للوجع ، فبعضها يوضع على المقعدة ، وبعضها يُزرق الى الداخل بالحقنة وهي: الحلبلوب وصفار البيض ودهن الورد والزبد الطري. والزعفران وبياض البيض ومرهم الورد ومرهم الحواريّين المسمَّى بالافرنجية يوليان ، او مرهم بهذه الصفة :

يُؤخذ زبد طري، ودهن ورد من كل واحد أوقية . اسفيداج مغسول نصف اوقيَّة ، وكذلك لعاب بزر قطونا بدهن البنفسج او بدهن الورد . وكذلك التضميد بورق الخبَّازي والبابونج والبوصير وبزر الكتَّان .

وان كان الوجع شديدًا واحتيج الى المخدّرات كدهن بزر الخشخاش ودهن بزر البنج ودهن حبِّ القرع وكذلك ورق البطيخ ، فليُطبخ ويُضمَّد به المقعدة . وكذلك دقيق الشعير وصفار البيض ودهن الخشخاش . وينفع من ذلك الجلوس في الابزن المعمول من طبيخ القياقو والبوصير وهيوفاريقون[٢] والكراث .

معجون للبواسير مجرَّب

(مسطّر تحت عنوان حاشية على هامش صفحة ١٨٢)

يُؤخذ بوصير (هو حشيشة العليا) وكندر[٣] من كل واحدٍ عشرة دراهم ، دارصيني ستَّة دراهم. يُعجن بعسل او سكر ، ويُستعمل منهُ قدر جوزة على الريق .

صفة مرهم يُسقط البواسير في وقته

(مسطّر على هامش صفحة ١٨٢)

راتينج درهم ٢ ، رهج درهم ١ ، فلفل درهم ١ ، دهن لوز بقدر الكفاية .

---

١) لسان الثور βουγλώσσα من اليونانية ويسميه العامة بلصون .

٢) هيوفاريقون من اليونانية ὑπο-ερείκη فصير نحتًا ὑπέρεικον ومعناها الخلنج الصغير .

٣) الكندر هو اللبان .

يُعمل مرهماً ويُطلى به . ويُستدرك ألمه ببياض البيض والاسفيداج طلاءً . صح

صفة ضماد لذلك

يُؤخذ من اصل السوسن الابيض ق ١ ، بوصير وبابونج وهيوفاريقون ، من كل واحد نصف قبضة ، تمر عد ٦ . يُغلى حتى يتهرأ ويصير كالمرهم . ثمَّ يُضاف (اليه) دقيق بزر الكتّان ودقيق الحلبه من كل واحد ق ١ . مرّ وكندر ، من كل واحد درهمان . زعفران درهم ، صفار بيضات عد ٤ ، سمن غير مملّح ق ٣ . يُضمَّد به .

صفة مرهم لذلك

مستكي وكندر ومرّ ، من كل واحد درهمان ، مقل ولحية التيس (عشبة دنبة الفرس) ، من كل واحد درهم . لعاب بزر كتّان وكثيره (كُثيراء) ، من كلّ واحدٍ اربعة دراهم . صفار بيضة ودهن ورد ، بقدرالكفاية .

التضميد بالبصل المطبوخ والكرّاث والبلبوس (هو بصل مأ كول ، مثل بصل النرجس) بدهن الورد جيّد لذلك .

ومن البخورات النافعة للبواسير ، هو فاريقون والكبريت والزوان .

وامّا الادوية التي تُسقى وتنفع بالخاصيّة وتُزيل البواسير ، فالبوصير سفوفا بالحليب. وكذلك اقراص متخذة من دقيق الحنطة والبوصير اجزاء سواء معجونة ببياض البيض . وكذلك شرب طبيخ البوصير بالسكر معجوناً ، ومثله عرق السوس معجونا بالسكر المحاول . وقد يُعمل المقل حبّاً بعصارة البوصير فيكون نافعاً . ومن هذا القبيل لوف الحية .

واذا افرط نزف الدم من البواسير ، احتيج الى الحبس اما بالجذب الى الخلاف بالفصد وتعليق المحاجم على الظهر ان كان هناك قوّة .

وان كان في الدم حدَّة ورقّة احتيج الى تغليظه بشراب بقلة الحمقا (الفرفحين البرّي) وشراب السفرجل والورد اليابس وشراب الحمّاض وشراب الآس (الريحان) والريباس .

وأمّا الحوابس القابضة : كالطين المختوم والطين الارمني والشادنج (هو حجر الدم) والطباشير والكهربا .

وقد يُحتاج الى المخدرات الحابسة كالفلونيا الفارسيّة (روميّة) واللودنوا

والترياق الحديث والاستراحة نقولًا (تنقُّلًا) . وان كان في البدن اخلاط رقيقة حارَّة احتيج الى استفراغها اولًا ثمَّ حبس النزف .

والادوية النافعة في ذلك : الشرخشك والمنّ الافرنجي وشراب الورد والهليلجات والاطريفل الفارسي .

وأمَّا القوابض الحابسة للدم ، فقد عرفتها من الابواب السابقة ، وأقواها دم الاخوين والصبر والجلنار . والبوصير ينفع بالخاصيَّة .

صفة رهم لذلك

يُؤخذ طين ارمني درهم ونصف . بهمن احمر وجوز السرو وورد ، من كل واحدٍ درهم وثلث . جلنار وحبّ الآس (الريحان) ولحية التيس ومرجان من كل واحد درهم . دم الاخوين نصف درهم . كندر درهمان . دهن ورد وشمع بقدر الكفاية . وشحم قراقوز (اي الخنزير) ينفع البواصير مطلقاً بالخاصيَّة .

صفه للبواسير
(معلَّقة على هامش صفحة ١٨٢ تحت عنوان حاشية)

اقماع الباذنجان اذا خُلطت مع مثلها من لبّ اللوز المرّ ، ودُقّ وعُجن بدهن البنفسج ، وطُليت بها البواسير ، ابرأها مجرَّب .

دهن يسكّن وجع البواسير
(وصفته معلَّقة على هامش صفحة ١٨٢)

دهن نوى المشمش ، عشرة دراهم . ميعه سائلة ، ثلاثة دراهم ، مقل ، درهمان . يحلّ فيه ويُدهن به فانهُ عجيب .

حجر الشبّ يقطع سيلان الدم منهُ تعليقاً وكذلك الياقوت . صح

صفة رهم يحبس البواسير

يؤخذ كندر وصبر وطين ارمني ، من كلّ واحدٍ نصف درهم . دم الاخوين درهم ٢ . يُدقّ ويُعجن ببياض البيض وقليل من الكثيره (الكثيرا .) ، ويُضمَّد به المقعدة . وان احتيج الى الادوية الكاوية ، فالنحاس المحرق

والقلقند (هو ما كان محمراً الى الخضرة ، وهو القبرسي) . وهذا علاج الافرنج. وأمّا المتجاوز (الجاثر) الآن في زماننا هذا ، فسطورٌ معلوم عند اكثر الناس . وقد جرّب الحكماء دهن الافاعي والتبخير بالسليخه (شرش الريباس). وكذلك دهن العقارب مجرَّب غاية (التجربة) للحـار ، (للبواسير الحارّة) والافاعي للسوداوي البارد (للبواسير السوداوية الباردة) .

الفصل الحادي والسبعون : في وجع المقعدة

(صفحة ١٨٣)

يكون لبواسير او اورام او قروح او جلوس في مكانٍ باردٍ صلب ، او لاستعمال بعض الادوية الحارّة .

وعلاجهُ : غسل المقعدة بالحليب ، ثمّ توضع عليها المسكّنات للوجع .

صفة مرهم مسكّن الوجع

شحم الدجاج وسمن ، من كلٍّ واحدٍ اوقية . صفـار بيضة واحدة . لعاب بزر قطونا درهم ٣ . زعفران سدس درهم . شمع بقدر الكفاية .

صفة شياف لذلك

كندر ومرّ وزعفران وافيون ، من كل واحد ثلث درهم . يُدقّ ويُعجن بلعاب بزر قطونا وصفار البيض ، وان احتيج الى اقوى من ذلك نفعت الفلونيا (رومية) واللودنوا وما اشبه ذلك.

الفصل الثاني والسبعون : في حكّة المقعدة[1]

تكون لانصباب اخلاط بورقية او ديدان او قروح . وقد تكون مقدّمة البواسير .

العلاج : تنقية الاخلاط ، ثمّ غسل المقعـدة بطبيخ ورق الخبّازي وورق البنفسج وورق الخـلاف والبوصير غاية (في النفع) وماء لسان الحمل (هو

١) حاشية في الاصل مسطّرة على الحاشية وهي : ان الملامة الخاصية لحكّة المقعدة الجاذبة عن الدود ، هي ان تبتدئ الحكّة آخر النهار . نُقل من كتاب الكافي .

السليقة وآذان الجدي ، (اي عشبة دوينة الجدي) جيّد. وكذلك عصارة الاقطى وان كانت الحكة من الدود ، فيُخرج بتخميل (تحميلة) قطنة مغموسة بصمغ البطم . واذا كانت من القروح ، فعلاجها علاج القروح . وهذا المرهم جيّد لحكّة المقعدة مجرّب وهو : تؤخذ كتيره (كثيرا.) وكبريت ومردسنك ، من كل واحد درهم ، يُعمل مرهماً بالخلّ ودهن الورد بقدر الكفاية .

الفصل الثالث والسبعون : في اورام المقعدة

سببُها وعلاجهـا كما مرَّ في الاورام من الفصد وتسكين الوجع . وتُضمَّد بورق عنب الثعلب او بقلة الحمقا او لباب الخبز مع دهن اللوز الحلو . وعنـد الانحطاط بطبيخ الخبازي والخطمي واكليل الملك (قرينات الغزال والبلّوط . ومنهم من قال قرينات الحية) وبزر كتّان . وان احتيج الى المنضجات ، فدقيق اصل الخطمي مع دقيق الحنطة . وأمّا اذا انفتحت عولجت بعلاج القروح .

الفصل الرابع والسبعون : في اورام المقعدة

تكون ليبوسة او لقبض شديد او لبلغم مالح او صفراء حارّة . فان كان عن حدّة الاخلاط فعلامتهُ : وجع وحكّة مع حرقة وسيلان رطوبة صديديّة . العلاج : ان كان عن اخلاط ، فتنقيتها . وان كان عن يبوسة ، فتعديل المزاج .

صفة مرهم للشقاق (لتشقّق المقعدة) .

يُؤخذ مخّ ساق البقر وشحم الدجاج واللوز والزبـد الطري ودهن الورد ودهن الخلّ ودهن الخشخاش ، من كل واحد ثلاثة دراهم . كتيره (كثيرا.) درهم واحد . مردسنك نصف درهم ، شمع بقدر الكفاية .

وان كان عن قبض تُستعمل الحقن الليّنة . اوكسقي الراوند ودياقاتيليقون (هو زهر الزنبق) او شراب الورد والترنجبين (المنّ الفرنجي) . وان كان عن رطوبة مالحة فيُكمد بالقوابض كهذا المطبوخ :

يُؤخذ ورق لسان الحمل وعلّيق وورد ، من كلّ واحد قبضة . شعير غير مقشّر نصف قبضة . شبّ درهم . يُطبخ ويُكمد بالاسفنج ، ثمّ يُوضع عليه هذا المرهم وهو :

اسفيداج مغسول ومردسنك وصبر ومستكي وكندر وانزروت (كحل كرماني وفارسي) وطين ارمني ، اجزاء سواء . يُعمل مرهماً بدهن الورد والشمع بقدر الكفاية .

صفة مرهم آخر ينفع انواع الشقاق (التشقّق)

اسفيداج ، وأسرب محرق ، ومردسنك ، وشبّ ، وكندر ، من كل واحدٍ درهم . شحم الدجاج وشحم الاوز وشحم الخنزير ودهن لوز حلو ودهن خشخاش من كل واحد اوقية ونصف . يُعمل مرهماً بشمع ودهن الورد بقدر الكفاية .

دواء للشقاق (للتشقّق) وقروح المقعدة من مجرّبات داود الانطاكي

(حاشية من الترهة)

وهو ان يُحرق رأس الكلب بجملته ، ثمّ يُسحق مع مثلهِ صبر ويُذرّ . فانهُ عجيب . وقال : ان شقاق المقعدة قد بلغ في البلاد الباردة ان يقتل . ولم يُرَ له أصحّ من شحم الخنزير ، فانهُ مجرَّب . وصنعتهُ : ان يُذاب وتُبلّ بهِ الفتائل وتُدخل في المخرج حارّةً . ويُحتفظ من البرد ، ويُكرر الى ان تبرأ . وكذا شحم الدجاج ودهن البنفسج والشمع والافيون والمرّ ، يُعمل مرهماً . وكذا اذا حُلّ فيه دهن الرصاص . والله اعلم .

الفصل الخامس والسبعون : في قروح المقعدة

تكون لبواسير او لانفجار اورام او لانصباب خلط حارّ مقرّح .

العلاج : استعمال ما يُجفّف ويُلحم بعد الغسل بطبيخ لسان الحَمَل ، او ماء العسل . والمجفّفات المستعملة في قروح المقعدة ، الصبر والكندر والزرواند والقرطاس المحرق والتوتيا .

صفة مركّب لقروح المقعدة

اسفيداج ومردسنك ، من كلّ واحدٍ نصف أوقيّة . كندر وشبّ ، من كلّ واحدٍ ثلاثة دراهم . صبر درهم . زعفران ثلثين الدرهم . شمع ودهن آس (ريحان) بقدر الكفاية .

الفصل السادس والسبعون : في الناصور في المقعدة

صفحة (١٨٥)

يكون لانفجار اورام او قروح لم تُعالج كما ينبغي . وهو أن يكون في طرف المقعدة او في العضلات القريبة ثقب يسيل منهُ ماء صديديّ . وقد يكون ثقباً واحداً . وقد يكون اثقاباً (ثقوباً) متعددة في الامعاء المستقيم ، وقد ينفجر الى المثانة .

العلاج : علاج هذا المرض عسر ، لكن الواجب اولاً تنقية البدن من الاخلاط الفاسدة وتوسيع فم الثقب . وان كان ضيقاً توضع الجنطيانا او ما في جوف عود الاقط ، ويُغسل بالزراقات كزرق طبيخ الغافت[1] والزيتون وقليل من الشبّ . ثمّ يُغسل بالشراب ، ويوضع في الثقب المرّ والشبّ .

وهذا الشياف لمحمّد بن زكريا الرازي مجرَّب في ذلك وهو : صبر وكندر وانزروت (او عنزروت . هو الكحل الفارسي والكرماني ، اجوده الهشّ الرزين المائل الى البياض) ودم الاخوين واثمد (جوهر الاسرب ، والاسرب الرصاص المحرق) وجلنار وشبّ ، من كل واحد جزء . زنجار خمسة اجزاء . وان لم يُفِد ذلك فعلاج اليد هو خطر .

الفصل السابع والسبعون : في خروج المقعدة

يكون لارتخاء العضلات التي في المقعدة ، او لانقطاع عصب ، او لزحير شديد .

العلاج : التكميد بطبيخ الخبّازي والخطمي والبابونج وبزر الكتان والحلبه والزبد الطري . فاذا رجعت الى مكانها توضع القابضات كطبيخ قشور الرمان ولسان الحمل وحب الآس والسماق والكندر . ثم يدهن بدهن الآس وبدهن الورد ويذرّ عليه الكندر والمستكي ودم الاخوين والورد والجلنار والعفص والسماق والآس .

وما كان عن زحير يعالج بالحقن اللينة . وما كان لتفرّق اتصال ، الاستعمال فيه الملحمات . وان كان لارتخاء العضلات كما في الفالج ، يبخَّر بالكندر والمستكي

---

[1] الغافت يظن انه من اليونانية εὐπατόριον اي المريح اي المعرّق وهو eupatoire بالفرنسية .

واللادن والقلفونيا والمقل والجوزبوا والقرنفل والبسابسة (قشر جوزبوا . وهو الجوز الطيب) ويكمّد بطبيخ القراقوز (الخنزير) والساليا (القوّيسة) والاسطخودوس (الشمنيز) وورق البلوط ، ثم بدهن السنبل او الغار او بدهن القسط.

ومما جُرّب في خروج مقعدة شيخ مرتخية معدته تسيل منها رطوبات فاسدة ، بان يكمّد بهذا الطبخ وصفته :

يؤخذ ورق البوصير وزهره واكليل الملك وبابونج وخطمي ، من كل واحد قبضة . بزر كتّان وحلبه من كل واحد أوقية . انيسون درهم . يطبخ بالحليب ويكمّد به ثم يذرّ عليه هذا الذرور وهو : ورد وقشر رمّان وجوز سرو ومستكي وكندر وزعفران الحديد واسرب محرق ، اجزاء سواء.

الفصل المئة والثلاثة : في اليرقان

(صفحة ٢١١)

وهو تغيير لون جميع البدن ، الى لون غير طبيعي . وهو امّا اصفر او اخضر او اسود[1] . والسبب القريب هو انتشار ذلك الخلط في جميع البدن . وانواعه كثيرة كاسبابه . وقد قسمه جالينوس في المقالة الخامسة من «الميامر» الى اربعة اقسام فقال : القسم الاول يكون لسوء مزاج الكبد . الثاني للسع بعض الحيوانات السمّية ، او تناول بعض السموم . الثالث يكون من الحمّيات على وجه البحران . الرابع لسدد تكون من غلظ الخلط او كثرته . وقد يكون لسوء مزاج الطحال وهو الاسود .

ونقول : ان اليرقان السددي الاصفر قد يكون لانسداد مجرى المرارة الى الامعاء . وقد يكون لانسداد المجرى الذي بين المرارة والكبد لخلط غليظ وحصاة . وعلامته : انسداد المجرى الذي بين المرارة والامعاء ، لقبض وبياض البراز

وعلامة ما يكون لانسداد المجرى الذي بين المرارة والكبد ، ثقل في الجانب الايمن مع حمى لينة وشدة صبغ البول حتى يميل الى السواد وبياض

١) عُلّقت هذه الافادة على الهامش تحت عنوان حاشية وهي : ذُكر في السمرقندي انه يوجد يرقان يسبّب ثالولة تخرج (تنبت) في عرق المرارة . وهذا اصعب انواع اليرقان ، ومن اراد ان يتحقق ذلك فليراجع هناك . صح .

البراز . اخيراً وما كان لحصاة عدم انتفاخ (ربما كان انتفاع) بالعلاج الموافق والادمان

العلاج : تفتيح السدد وتنقية المادة . ويبدأ بالحقن اللينة، ثم بالمفتحات، ثم بالمسهلات [1] .

واما المفتحات لسدد المرارة فهي : الاصول المفتحة، والهندبا، والهلالى وزده وجور، وهو العروق الصفر، والاسارون (حشيشة في بلاد الصين) والشنجار والكشوت والافستين والغافت والفراسيون (عشبة) والقنطاريون الصغير

ومن المركبات : شراب بزنتين وشراب الاصول وشراب الغافت وشراب سكوريا راوندي . ومما ينفع بالخاصية الخرزة البقرية والخراطين المجففة . واطباء الكيميا يستعملون لهذه العلة قريموطرطروا وروح الملح

واما المسهلات : فالترنجبين والراوند والسقمونيا وديافاتيليقون (هو زهر الزنبق) ومعجون الورد ومعجون بزر قطونا وايارج فيقرا وحب الراوند، او مسهل بهذه الصفة :

يؤخذ راوند درهم وثلث، دارصيني (هو صنف من خشب القرفة) ثلث درهم . ينقع بطبيخ الكشوت ويصفى ويحل فيه أوقية من الترنجبين (هو نوع من المن الافرنجي)، ومن معجون الورد المسهل درهم ٢، ومن معجون بزر قطونا درهم وشراب بزنتين نصف أوقية . وبعد التنقية يسقى هذه الادوية :

يؤخذ زهر هلالى درهم ونصف، زعفران سدس درهم . يعمل سفوفاً ويستعمل .

صفة شراب ملين مفتح

يؤخذ فراسيون (عشبة) وكشوت وبرشاوشان (كزبرة البير) من كل واحد قبضة، حمص اسود وزبيب احمر من كل اوقيتان، بطراساليون (وهو الكرفس) وجلك (هو الفولاذ المدبر) من كل واحد نصف أوقية، اسارون درهم ٢ . يغلى ويصفى، ثم تلقى فيه أوقيتان سنامكي، ونصف أوقية غاريقون، وثلاثة دراهم راوند، وانيسون درهم، وحب الرتم ورازايانج (هو البسباسي اي

١) حاشية على الهامش هي : ان بلع صاحب اليرقان ثلاث سمكات صغيرة عائشات (حية) على الريق، أبرأه باذن الله . نقل من (كتاب) « الشفاء » .

الشومار) من كلّ واحدٍ درهم ۲ . ثم يُغلى ويُصفّى ويُقوّم بالسكّر .

واما اليرقان الاسود ، فان في كيفية عروضه ثلاثة مذاهب ، اولاً : اقوال الفاضل جالينوس ، وهو ان الطحال اذا عرض له سددٌ في نفس عروقه ، او في العروق التي بينه وبين الكبد وبقيت السوداء في الكبد مع الدم لعدم نفوذها الى الطحال للسدد وسرت مع الدم في جميع الأعضاء ، حصل اليرقان .

ثانياً : قول بلارتوس الافرنجي،وهو ان اليرقان الاسود انما يحصل لانصباب المرار (من المرارة) الى الماساريقا اذ تبقى مدةً فيتغيّر لونها فيه الى السواد، ثمّ تنتشر في البدن فيعرض اليرقان الاسود . وهذا القول ضعيف .

ثالثاً : قول جمهور من المتأخرين من أطبّاء الفرنج ، وهو ان الخلط الاسود اذا كثر في الطحال للاسباب المتولّدة عنها السوداء وحصل سددٌ في العروق التي تنصرف منها السوداء الى الاعضاء التي تتغذي بها كالامعاء والمعدة والأغشية والعظام ولم تجد منفذاً ، انصبّت الى شعب الماساريقا الى الكبد ، ومن الكبد الى جميع الاعضاء وحصل بهذه اليرقان الاسود .

العلامات : سواد البدن وثقل في الجانب الأيسر .

العلاج : هو تدبير سوء المزاج في الطحال وتفتيح سدده،وشراب الفولاذ مجرّب فيه :

يُوخذ من الفولاذ المدبّر أوقيتان ، زبيب كشمش أوقية ونصف . ينقع بماء الكشوت وماء الشاهترج (هو اللفاح) . ثم يُغلى ويُصفّى ويُلقى فيه أصل الحمّاض وبسفايج (هو بشكل الخنشار صغير الحجم) وقشر اصل الكبر من كل واحد نصف أوقية . سقولوقندريون (اي حشيشة الذهب) وكشوث من كل واحد نصف قبضة . بزر رتم وبزر هلالي من كل واحد درهم . ثم يُغلى ايضاً ويُلقى فيه آخر الغليان أوقية من السنامكي ، ويُصفّى ويُقوّم شراباً بالسكّر . وبعد التفتيح والتنقية يجب ان يعرق العليل ليخرج ما بقي من نواحي الجلد بالعرق ، بان يُسقى طبيخ البابونج والشقردون وأصل الرازيانج والحمّص الاسود ، ويُغسل البدن بطبيخ الخبّازى والسداب (الفيجم) والسلق وحشيشة الزجاج والبابونج .

وأما اليرقان الكائن (الحاصل) عن سوء مزاج الكبد فعلاماته : حرارة الاطراف وحمّى لينة وشدّة صفرة لون البراز والبول .

العلاج : الفصد وتنقية المادة بما مرّ في باب سوء مزاج الكبد . وأما العارض في الحمّيات، فعلاجه علاج تلك الحمّيات . وما كان من السموم فيُعطى الاشياء البازهريّة . وجالينوس يعطي الترياق والمترودوديطوس . والمستعمل الآن حماض الأترج (الكبّاد) والتفاح الحامض وماء الهندبا، بشراب الحماض . والزهراوي وصاحب « الكامل » يعطيان بهذه العلّة لعاب بزر قطونا وقرص الكافور . وابن زهر، يسقي بهذه العلة البادزهر الجيد بماء القرع وهو افضل، لان البادزهر ينفع السميّة (الاشياء السامّة) وماء القرع يعدّل المزاج. وكذلك الزمرّد بماء البطيخ الهندي .

الفصل الخامس والثمانون : في البول في الفراش

(من المقالة الثالثة صفحة ٢٨٧)

وسببه استرخاء العضلات، او ضعف المثانة، او الرطوبة وبرودة .

العلاج : يُدبَّر بما يُسخّن ويُجفّف، ويوضع في طعام اصحابه وشرابهم المرزنجوش (المردكوش) وماء الزوفى[1]، ويكمّد بماء البورق وورق البلّوط ويُدهن بدهن القسط ودهن الايرسا (شرش الزنبق) .

صفة سفوف لذلك

تؤخذ مثانة الضان المجفّفة وخصية الارنب المجفّفة وقوانص الدجاج المجفّفة، من كلّ درهم ونصف . بلّوط ثلاثة دراهم وربع . فوتنج (نعنع) وبسباسه (قشر جوز بوا) وهي جوزة الطيب)، من كلّ درهم . الشربة ثلث درهم بماء طبيخ البلّوط .

---

١) الزوفى: نبات يقوم على ساق دقيق مربّع وله ورق كورق الصعتر الدقيق يُتداوى بهِ غالباً لتقطيع البلغم . والزوفى ايضاً دبق يتعلق باصواف الغنم من مرورها على اعشاب في بلاد ارمينية، يقع الطلّ عليها فتتندّى به وهو بالمعنى الاول يقال له اليابس والثاني يقال له الرطب ويُتداوى به غالباً لتحليل الاورام .

﴿ الفصل السادس والثمانون : في سحج افخاذ الاطفال ﴾

يكون ذلك لحدّة البول . وعلاجه : غسل الموضع بطبيخ الخطمي والورد والنخالة وحشيشة الزجاج . ثم توضع عليه المجففات كورق الآس والورد. ويؤخذ كندر وشبّ وورد اجزاء متساوية ، يُدق ويُذرّ عليه . ويوضع مرهم التوتيا او مرهم المرداسنج (هو المرسنك الذهبي) .

﴿ الفصل السابع والثمانون : في امراض الطرفية واوجاع المفاصل وعرق النسا والنقرس ﴾

يكون لاخلاط دمويّة او صفراوية او بلغميّة تدرّ على السوداء . قال ستر تُورس : ان وجع المفاصل يكون لتفرّق الاتصال ، لانصباب مواد الى المفاصل فتفرّق الاتصال بكميتها او بكيفيتها . وقال : الخلط يتولد منه وجع المفاصل وهو درديّ الدم[1] . وهذا الدرديّ يشتمل على ارضيّة وملحيّة واجزاء دخانية كبريتية . فان كانت الارضية غالبة تولّد التحجّر في المفاصل . وان كانت الملحية غالبة تولّد الوجع الشديد . وكذلك ، فاذا كانت الاجزاء الدخانية الكبريتية غالبة ، اشتدّ الوجع مع الحرارة . ومحلّ تلك المادة للدم مختلطة به لا تنفصل عنه . فعلى هذا لا يكون وجع المفاصل بدون دم بلغمي او دم صرف او صفراوي او سوداوي . اقول : وهذه الارضية التي لا تخلو عن ملحيّة او دخانيّة تكون في غير الدم من الاخلاط الاربعة كما لا يخفى عمّن له معرفة في العلم الطبيعي ، لكنها في الدم متحيرة ظاهرة ، بخلافها اذا كانت في باقي الاخلاط فانها قد تظهر اذا فعلت فيها الحرارة وبخّرت رطوبتها .

وتولّد وجع المفاصل يكون من اغذية واشربة تتولّد منها تلك الدرديّة خصوصاً الشراب[2] ، فانها فيه كثيرة . واكثر عروضها لمن به سوء مزاج الكبد او سوء مزاج الطحال او امراض الكلى ، فانها لا تخرج مع البول او البراز وغير ذلك ، فتبقى في الدم وتزيد وتنصبّ مع الدم الى المفاصل . والمحرّكة

---

١) دُرديّ الزيت وغيره : ما يبقى راسباً في اسفله من الكدر .

٢) الشَراب : كلّ ما يُشرب من المائعات ، اي الذي لا يتأتى فيه المضغ حلالاً كان او حراماً ج اشربة ، ويخصّه الفقهاء بما حُرّم منها بالاجماع او على خلاف .

لنوبة هذا المرض ، الحركة المفرطة او الجماع على الامتلاء (من الطعام) ودخول الحمّام بعد الطعام ، والغضب المفرط ، وزيادة الاختلاط كمّية وكيفيّة ، وقبول العصب المادة لضعفه او لكونه اسفل، او لكونه ابعد عن منع الحرارة الغريزية كالاطراف. وقد يكون عن بعض الامراض الرديئة كالجذام او الحبّ الفرنجي وسكربوط وبليكا ، وقد يكون موزناً . واكثر عروضه (داء المفاصل) للملوك والمترفهين واكابر الناس لتنوّع اغذيتهم وقلة حركتهم وميلهم الى الجماع. وقد يعرض وجع المفاصل للنساء ، اللهمّ إلا ان يحتبس طمثهنّ . وكذلك يقلّ عروضه للصبيان .

قال ابقراط : لا يعرض وجع المفاصل للصبيان الى ان يجامعوا . وقال ابقراط ايضاً : لا يعرض وجع المفاصل للخصيان . وأما نحن (مؤلف هذا الكتاب) فقد رأينا عروضه للغلمان والخصيان .

وعلامته : قالوا يُعرف سببه من لون العضو وحرارته وبرودته من وجعه وقلة وجعه . لكن قد تكون المادة في غور المفاصل لا يظهر من لونه ولمسه، بل الاعتماد في الدلالة على المزاج والنبض والقارورة .

وعلاجهُ : أما حال النوبة فتحليل الحاصل ومنع الواصل. ويُبدأ في علاج وجع المفاصل بالفصد بعد تليين الطبع ولو كان غير الدم لانه الاصل في وجع المفاصل لتجفيف المادة ومنع الانصباب . فان بالفصد تخرج جميع الاخلاط ، وقد يُترك الفصد اذا كان البلغم شديد الغلبة ، والحرارة الغريزية ضعيفة. واذا كان الوجع في جميع البدن يُبدأ بفصد الباسليق الايمن. وان كان في جانب من البدن فيُفصد بالخلاف لعكس المادة ومنع الانصباب ، مثلاً اذا كان الوجع في اليد اليمنى يُفصد من الباسليق الايسر وبالعكس . وان كان في الرجل اليمنى فمن الباسليق الايمن . وان كان من الرجل اليسرى فمن الايسر . وينبغي ان يُستفرغ الدم قليلاً قليلاً حفظاً للقوّة وقد يُعطى (المريض) قبل الفصد وبين الفصدين بعض المنضجات ، وان منع مانع عن الفصد فالحجامة او تعليق العلق على الخلاف للجذب ومنع الانصباب .

وأما الاسهال ، فاتفق الجمهور على اعطاء المسهلات الليّنة ابتداء ، ثم المنضجات ثم المسهلات القوية وهو طريف جديد وارد على قانون . وقد يخرج

على هذا القانون اذا كانت المادة كثيرة الكمية رقيقة القوام منتقلة مهياجة ، فيعطى في الابتداء مسهلًا قوياً من غير انتظار النضج كما افاده الاستاذ ابقراط .

وأما المنضجات المعدّلة للمزاج ، اذا كانت العلة عن حرارة . فكالهندبا البستاني والبري والسكوريا والحماض والكلنْشكر (هو الورد الاخضر المفروك بالسكر مع الحامض) . ويعطى العليل من هذا الكلنشكر ثلاث اواقي ، سفوف جوارش الصندل درهم ، مرجان سدس درهم .

وان كانت العلة عن بلغم ، فالبرودة بالزوفى وشراب الاصول وشراب البزنتين .

واما المسهلات المستعملة الآن فتتنوّع بحسب تنوّع الدرديّة وموضوعها فانه باستفراغ المحلّ يخرج الحال كما لا يخفى . وتلك المسهلات هي : المجوفات والسنا والقرطم والترنجبين ودياقاتيلتون (هو زهر الزنبق) والاطريفل الفارسي وسكّر روزانم . وأقوى من ذلك المسهلات السورنجانية ومن جملتها معجون السورنجان (الحرضة) ويُسمّى قرياقسطنوم ، فانه كثير الاستعمال في بلاد الفرنج لهذه العلة . وقد ألّفه الطبيب الفرنجي المسمى سايدروس لرجل مبتلى بهذه العلة من مدة خمس وعشرين سنة ، فلما شرب هذا الدواء المبارك ذهبت علته وزالت ولم تعد اليه مرة اخرى فيما بعد . وصفته هي :

يؤخذ سورنجان ابيض محكوك وستمونيا من كل واحد درهم٢ ، قسط وكمون وزنجبيل من كل واحد درهم . زعفران نصف درهم . يُدق ويُعجن بالعسل المطبوخ بالشراب . الشربة من درهمين الى ثلاثة دراهم .

وهذا الحبّ ايضاً مجرَّب وهو : كمافيطوس[1] نصف اوقية . كمادريوس واسطوخودس (الشمنيز) من كل واحد ثلاثة دراهم . سورنجان وصبر من كل نصف اوقية . بزر هيوفاريقون درهم . يُدقّ الجميع ناعماً ويُحبَّب بصمغ البطم .

صفة سفوف لذلك

يُؤخذ سورنجان وتربد من كل ستة دراهم . الشربة من درهم الى درهم ونصف . بمرق اللحم . وهذا الحب هو للرازي ، ذكره المنصوري . مجرّب غاية (التجربة) وهذه صفته :

---

١) كمافيطوس بالفرنسية Evemuscate ومعناها الصنوبر الارضي χαμαι-πιτυς باليونانية لان χαμαι في علم النبات تقابل humilis في اللاتينية .

يُؤخذ صبر وسورنجان من كل نصف درهم. ورد تولوس، ستمونيا نصف، اوتولوس وهو شربة واحدة. والقيء عظيم النفع في وجع المفاصل وخصوصاً اذا كان الوجع في الاسافل، والافضل تقديمه على المسهل. ثم بعد التنقية التامة تُستعمل المعرّقات لاستفراغ ما بقي، وهي قرن الأيل المحرق والانتيمون المعرّق. واذا كانت الاخلاط كثيرة والعلة مزمنة فيعرّق بالصاصفراس والسبرنيا والجيوجيني[1] ويُعدَّل المزاج بالهندبا. والشعير والصندل وغير ذلك .

صفة مطبوخ معرّق لذلك

يُؤخذ سبرينا (حشيشة المغربية) اوقية، صاصفراس نصف اوقية، اصل القرنفل البستاني اوقية، صندل اصفر درهم٢ . يُطبخ بثلاثة ارطال من الماء بعد نقعه يوماً وليلة حتى يذهب الثلث، ويُصفّى ويُسقى على القانون .

والادوية الوضعية لوجع المفاصل : انه يجب الاعتناء في الابتداء بتسكين الوجع، ثم وضع الرادعات المعتدلة التي لا تخلو عن قليل من التحليل، والمسكّنات للوجع، وصنع الحليب بصفار البيض ولباب الخبز وقليل من الزعفران. وكذلك ورق الخبازي وورق الخطمي وورق الكرنب ولعاب حب السفرجل وبزر قطونا وعسل بماء عنب الثعلب .

وان كانت المادة باردة فيوضع عليه (اي الوجع) دهن البابونج ورُبّ ثمر الاقحوان بالبابونج، ودهن الورد واصل الخطمي وورقه المطبوخ بالشراب مخلوطاً بالنخالة فيعمل ضماداً . واذا كان في الورم حمرة، فلا يُوضع عليه شيء من الادهان . قال سناتوس : لم أرَ في تسكين وجع المفاصل كالجبن الرطب اذا جُعل منه ضماداً وأُبدل كل وقت .

صفة ضماد مسكّن لوجع المفاصل

يُؤخذ من لباب الخبز نصف رطل ويُغلى بالحليب ويضاف اليه من لعاب بزر الخطمي اوقيتان، بابونج واكليل الملك من كل اوقية، دقيق بزر كتّان ودقيق الحلبة من كل واحد درهم٢، زعفران درهم، دهن الورد ودهن البابونج من كل اوقية .

[1] الجيوجيني من اليونانية اي مولدة المطر γεννω-γενεα اي benoite بالفرنسية .

صفة ضماد آخر لذلك

يُؤخذ حليب اوقية ونصف ، لباب الخبز خمسة دراهم ، دقيق الشعير اوقية ، سورنجان[١] (عشبة القنطا ويقال لها عشبة القلب اذا كانت تشبه القلب) ٦ دراهم ، زعفران درهم ، دهن بابونج بقدر الكفاية .

ضماد آخر مسكّن للوجع ايضاً

يُؤخذ من لباب الخبز اوقيتان ، من زهر البوصير (حشيشة العليا) ، يُغلى بالحليب ويضاف اليه عسل خيار شنبر ويُضمّد به .

صفة ضماد آخر مسكّن

يُؤخذ دقيق الشعير ودقيق بزر الكتّان ودقيق الحلبة ودقيق الباقلة وبابونج ، من كل نصف اوقية . اصل الخطمي اوقية . دهن الورد ودهن البابونج من كل اوقية . صفار بيض عدد ٣ . ميبختج (هو الدبس) اوقية

حاشية : ان حجر المغناطيس ينفع لوجع المفاصل مسكاً باليد ، وكذلك حجر الارمني .

وأما المقطّر من زهر البوصير فهو عجيب في تسكين وجع المفاصل. وأما الادوية الوضعية المسكّنة للوجع بالتخدير ، فورق اليابنج[٢] والسوكران (هو الغرقيون) واللفاح والافيون وورق التبغ الرطب ، ويُسقى الفلونيا[٣] والترياق والمتريدوطوس.

صفة مركّب مخدّر لتسكين الوجع

دقيق الشعير أوقية ، لباب الخبز ثلاث اواقي . يُغلى ويُضاف اليه . دهن الورد أوقية ، صفار ثلاث بيضات . وثلث درهم أفيون ، ويضمّد به .

صفة مركّب آخر لذلك

يُؤخذ لباب الخبز المطبوخ في الحليب ويُضاف اليه درهم من الزعفران . كندر نصف درهم . خراطين مجفّفة درهم ٢ . صفار اربع بيضات . بزر بنج ابيض وبزر خشخاش من كلّ ثلاثة دراهم . يُدقّ ويُخلط ويُعمل ضماداً .

١) ترونجان نوع من القنطا مبذول في لبنان وهو melissa officinalis .

٢) اليابنج : يظن انه البنج اي hannebane بالفرنسية . لانه من المسكّنات .

٣) الفلونيا : هل يكون المفصة المدعوة gallon de Hongrie ؟

وكذلك الضماد بورق البنج ودقيق الشعير ودهن الورد . وكذلك ورق عنب الثعلب وورق البنج وورق الخشخاش بدهن الورد ولعاب بزر قطونا .

وأمّا الادوية الرادعات ، فينبغي ان لا توضع صرفةً ، بل تُخلط بالقليل من المحلّلات وهي : الخسُّ وحيّ العالم وبقلة الحمقاء (الفرفحين البرّي) ولسان الحمل (هو السليقة وآذان الجدي) والورد وغير ذلك من ايّها كان يجب ان يُمزج بقليل من الخلّ .

صفة مركّب لذلك

يُؤخذ من لعاب بزر قطونا المستخرج بماء الورد أوقيتان ، ومن لعاب الخطمي (الخاتمة) اوقيّة ، صفار بيضة ، ومن دقيق الشعير بقدر الكفاية .

صفة مركّب آخر لذلك

تُؤخذ عصارة اليابنج ، وعصارة الحيّ عالم ، وعصارة الخسّ ، ودهن الورد ، من كلّ ق٢ (اوقيتان) ، دقيق الشعير وصفار بيضة واحدة .

صفة مركب آخر لذلك

يُوخذ من الورد قبضة ، ومن دقيق الحلبه ودقيق الباقلي[1] ودقيق الشعير من كلّ أوقية ، ومن الصندل الاحمر درهم ونصف ، وقليل من البابونج . يُغلى ويُضاف اليه صفار بيضتين ، وخلّ ودهن الورد بقدر الكفاية .

ومن هذا القبيل البوصير المطبوخ بالشراب والضفدع المطبوخ بالزيت . ثمّ بعد ذلك تُستعمل الادوية الوضعية المحلّلة ، فمنها بخورات وضمادات وكمادات ، ومنها مراهم ونطولات وأدهان .

صفة بخور محلّل

يُؤخذ عود وكهربا وكندر وصمغ العرعر وبزر اليابنج واصطراك (هو صنف من الميعة ومن صمغ الزيتون) وتكامكا (صمغ الصنوبر) . اجزاء سواء ، يُبخّر بها العضو ويُكمّد بالماء المقطّر من البوصير ، ويطلى بالترياق الحديث بماء الشبّ . ويُكمّد أيضاً بالماء المُطفئ فيه الحديد والنحاس .

(١ الباقلي : الفول Faba vulgaris .

صفة محلل لاورام المفاصل

يؤخذ صابون ق ١/٢ ١ (اوقية ونصف) ، صاعد الشراب وماء زهر الاقطى المقطّر من كلّ ق٢ (اوقيتان) .

صفة محلّل آخر

يُؤخذ سرطانات نهريّة عدد ٨ ، حبّ العرعر قبضة ، مرّ وكندر من كلّ أوقية ، شراب رطل . تُنقع الادوية بالشراب وتُقطّر بالقرعة والانبيق ويُطلى بها على العضو بالحرق .

صفة محلل آخر

يُؤخذ مستكي وكندر ومرّ وأشق ومقل من كلّ اوقيتان . زجاج رطل عسل رطلان . طرطير اوقية ونصف . صاعد الشراب اربعة ارطال . يُخلط الجميع ويُقطّر بالقرعة والانبيق ويُستعمل كالاول.

وينفع لذلك الملح بالخلّ والدهن ، وكذلك الكبريت . ويُكمّد بطبيخ الافستين والخزامى والصعتر والبرنجاسف ويُعرف بمسك الجنّ . (حشيشة تشبه الافستين ونظنها العيثران) والبترنيكا (حشيشة القسطران) واكليل الملك واكليل الجبل والساريا[1] (الساريا ، هي القويسة) والكمافيطوس (صنوبر الارض) والاسطوخودوس (الكمون الهندي او هو بزره له سفا اي حسك ، اوراقه كالصعتر ، حبّه حجري جبلي . واجوده الطيّب الرائحة ويُسمّى مكنسة) .

ومن المركّبات ضماد الزعفران[2] وضماد تكامكا (صمغ الصنوبر) ودهن الثعلب نافع .

صفة ضماد لذلك

يُؤخذ جندبيدستر (هو خصى كلب البحر) ، وكندر (بخور) من كلّ درهم ونصف ، مخ ساق الأيل ، وشحم الاوز من كلّ ثلاثة دراهم ، دهن مستكي ، ودهن النعنع من كلّ اوقيتان ونصف ، مقل وقنّة محلولات من كلّ نصف اوقية ، دقيق الحلبة ، ودقيق بزر كتّان من كلّ ثلاثة دراهم . شمع بقدر الكفاية .

١) الساريا والاصح السلفيا اي جنبة العافية Salvia .

٢) الزعفران : بالكربانية الكركرم ، وبالفارسية كريكميس . ويُسمى الجساد والجادي والزعبل . يشبه بصل بلبوس . زهره كالباذنجان فيه شعر الى البياض ، وهو زعفران شعري .

صفة ضماد آخر

يُؤخذ راتينج (هو علك أي صمغ الصنوبر : القلفونة) أوقية ، زفت اوقيتان ، شمع اوقية ونصف ، شحم ديك هرم اوقية ونصف ، كبريت وسورنجان من كلٍّ ثلاث اواقي .

وأمَّا المحلّلات للمواد المتحجّرة فيجب ان توضع بعد التنقية واستفراغ البَدَن .

صفة ضماد ينفع لتحجُّر المفاصل

يُؤخذ داخلُن اوقية ، اشق (قناوشق) وقنّة وسكبينج ومقل من كلٍّ درهم . دهن الايرسا (الايرسا ، شرش الزنبق) . ودهن زنبق من كلٍّ اوقيتان . ايرسا درهم ونصف .

ضماد آخر لذلك

يُؤخذ اصل الناشرا ، واصل قثا الحمار ، وايرسا من كلٍّ اوقيتان . اصل الزنبق المشوي عدد ٤ . بزر الجرجير (الانجره ، هي القرّيص) وبزر خردل ، وبزر حرف (الحرف ، هو الرشاد) من كلٍّ اوقية ، شحم الاوز ودهن اللوز المر ، من كلٍّ بقدر الكفاية .

صفة مرهم لذلك

تؤخذ عصارة التبغ (الدخان) ثلاث اواقي ، شمع اوقيتان ، راتينج اوقية ونصف ، صمغ البطم اوقية ، دهن بابونج بقدر الكفاية .

والضماد المعمول من شحم الخنزير المملوح بالجبن العتيق ، عجيبٌ في ذلك .

وكذلك مرقة فخذ الخنزير المملوح بالجبن العتيق .

الفصل الثامن والثمانون : في عِرق النَسا[1]

(صفحة ٢٩٢)

يُبدأ بعلاجه بتنقية البَدَن بالفصد والاسهال بالادوية القويّة ، لكون المادّة

١) النَسا : عرق من الورك الى الكعب مثنّاه نَسَوانِ ونَسَيانِ ج أنساء . وعن الاصمعي : النَسا عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فاذا سمنت الدابّة انفلق فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان . واذا هزلت الدابّة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفي النسا (الصحاح) .

غائرة غائصة كحبّ المنتن وحبّ الشيطرج وحبّ السورنجان الكبير . ثمّ توضع عليه المحللات الجاذبة للمادّة من العمق الى الخارج كورق الاقطي وخاما اقطي[1] وورق الغار والبتونيكا (حشيشة القسطران) والكمافيطوس واكليل الجبل والخردل والجرف وميوزج والدراديج والزفت والكبريت والاشق وصمغ البطم والقنة والمقل والجاوشير (نبات فارسي . ويقال نقلاً عن ابن سينا ، انه حليب ابن آوى) والفرفيون ، والضاد المتخذ من الشيطرج الرطب بالشحم عجيب الفعل كما شهد بذلك الفاضل جالينوس .

صفة ضماد لذلك

يُؤخذ شيطرج رطب ويُغلى بالشراب حتى يصير كالمرهم ، ويزاد عليه دقيق الترمس ودقيق الكرسنّة ودقيق الباقلى ، من كلٍ أوقيــة . سداب (فيجم) يابس درهمان . بابونج وقسط ، من كلٍ درهم ونصف. صمغ البطم نصف اوقية . دهن الخراطين بقدر الكفاية .

صفة دواء آخر لذلك

يُؤخذ شمع وصمغ البطم ، من كلٍ ثلاث اواقي . يُلتُّ عــلى نارٍ هادئة ويُضاف اليه بزر الجيره وسورنجان ، من كلٍ درهمان. زراوند مدحرج وبابونج وايرسا ، من كلٍ درهمان ونصف . مرّ درهمان . زعفران درهم وثلث .

صفة مرهم لذلك

يُؤخذ شمع ودبق وصمغ عربي وايرسا ومرّ وقنة[2] اجزاء سواء . يُعمــل مرهماً بدهن الخراطين . وان لم يُفــد شيء من ذلك ، فتُستعمل الحجامة والكيّ بالنار .

وأما الادوية الفارزهريّة لاوجاع المفاصل ، فقد ألّف جالينوس لذلك تراكيب مخصوصة منها دواء هذه صفته :

يُؤخذ هيوفاريقون اوقية . قنطــاريون وكمافيطوس من كلٍ اوقيتان . جنطيانا خمس اواقي . زراوند مدحرج اوقية. غاريقون ثلاث اواقي. بطراسليون

---

١) خاما اقطي هو البيلسان الصغير yèble المسمّى دمدوم في بشري χαμαι ἀκτέα .

٢) قنة معروف بـ galbanum .

(الكرفس الصخري ، وهو البقدونس) اوقية . عسل طه . الشربة درهم كل يوم .

صفة معجون ألفه ابقوس الطبيب اليوناني

يُؤخذ كمادريوس (بلُّوط الارض) اربع اواقي . قنطاريون اوقيتان. زراوند مدحرج سبع اواقي. جنطيانا ست اواقي. هيوفاريقون خمس اواقي .بطراساليون[1] ثلاث اواقي . زراوند رومي خمس اواقي. غاريقون ست اواقي . عسل بقدر الكفاية .

صفة معجون آخر ألفه اسكندر اليوناني الطبيب لارقيلوس الفيلسوف

يُؤخذ سنبل وسادج (الشادنج ، وهو حجر الدم) ، من كل درهمان . جنطيانا وزراوند طويل ، ومرّ ، وحَب الغار ، وراوند رومي ، اجزاء سواء . يدقّ ويُعجن بالعسل ويُستعمل في الشتاء للحارّ المزاج ، وفي الصيف لبارد المُزاج . وللمتقدمين تراكيب كثيرة في هذه العلة اقتصرنا منها على هذه التراكيب . وسنذكر ما ألفه المتأخرون لذلك من الادوية المستعملة المشهورة المجرَّبة لذلك .

صفة سفوف لارطوس الطبيب المسمى سفوف المشتري

يُؤخذ زراوند رومي (مدحرج وطويل) من كل اوقية ، بطراساليون وبزر بقدونس من كل نصف اوقية ، كمادريوس وقنطاريون الصغير وهيوفاريقون ، من كل عشرة دراهم . يُعمل سفوفاً ، ويُشرب منه في كل يوم درهم ، على سنة كاملة . .

صفة سفوف آخر مستعمل

يُؤخذ كمادريوس وكمافيطوس وقنطاريون صغير ومرزنجوش (مردكوش) وسالريا (القويسة) وبتونيكا (حشيشة القسطران) وجنطيانا وزراوند مدحرج ، من كل اوقية . غاريقون رطل . ويُستعمل كالاول .

سفوف آخر

يُؤخذ قرن الأيل المحرق ، وعظم البقر المحرق، وحبّ الأترج (الكبّاد)

---

١) طراساليون البقدونس الافرنجي اي persil واما البقدونس العادي فهو cerfeuil

ونوى التمر ، من كل جزء . مرجان محرق ونشارة العاج المحرقة ، من كل نصف جزء . ويضاف اليه من الدارصيني (هو صنف من خشب القرفة) والسكّر ما يطيب به طعمه .

صفة سفوف ألّفه يوحنا الانكليزي

يُؤخذ كمافيطوس اوقية ، عظم الانسان المحرق درهمان ، عَرَق سوس ثلاثة دراهم . واعلم ان العليل اذا لم يستعمل السفوف ، فتُعمل تلك السفوفات معاجين بشراب الكمافيطوس ، او حبوباً بصمغ البطم ، لان اكثر من بهم وجع المفاصل تكون لهم علة في الكلى .

صفة معجون ممدوح جدًّا ألّفه انطون الطبيب الفرنساوي

يُؤخذ مرّ درهمان ، غاريقون درهمان ، بطراساليون اربعة دراهم ، هيوفاريقون خمسة دراهم ، جنطيانا ستّة دراهم ، زراوند مدحرج سبعة دراهم ، قنطاريون صغير ثانية دراهم ، كمادريوس تسعة دراهم ، عظم الانسان المحرق عشرة دراهم . يُعجن بالسكنجبين العنصلي . الشربة درهم الى سنة كاملة .

صفة معجون آخر ممدوح

يُؤخذ كمافيطوس ثلاث اواقي ، كمادريوس وبتونيكا ، من كل اوقية ونصف . زراوند مدحرج وهيوفاريقون من كل نصف اوقية . انجليقا[1] (حشيشة الملئكة ، اي ذَنَب الخَيل) درهمان . عظم الانسان المحرق ومرجان ونشارة العاج من كل درهمان . قرنفل ودارصيني ، من كل واحد درهمان . يُدقّ ويُعجن بشراب البتونيكا (حشيشة القسطران) .

صفة ماء مقطّر لقراطن الطبيب

يؤخذ اكليل الجبل ، وقنطاريون صغير ، وبابونج ، وكمادريوس[2] وهيوفاريقون وكمافيطوس ، واسارون (حشيشة من بلاد الصين) من كل اوقية ، قشر اصل خاما اقطى قبضة ، ايرسا اوقية ، بسفايج (على شكل الخنشار صغير الحجم) اوقية ونصف ، ترياق صغير نصف اوقية ، دارصيني وجوزبوا وخولنجان (عند

١) انجليقا : عشبة الملائكة الماعًا الى ما يتوهمه الناس عن عجيب مفاعيلها .

٢) كمادريوس اي الفص الصغير او المُفيص من ܟܡܐܕܪܝܘܣ .

العطّار) وبساسة (قشر جوزبوا وهو جوز الطيب)وزنجبيل) من كل درهم ونصف سورنجان وصبر من كل درهم، غاريقون نصف اوقية ، حنظل ثلاثة دراهم ، هليلجات من كل واحد درهمان، سنا اوقية، انيسون ورازيانج (البساسة اي الشومار) ودوقوا، من كل درهم . يُنقع بغمره في صاعد الشراب يومين ثم يقطّر بالقرعة والانبيق. الشربة منه ، من اوقية الى ثلاث اواقٍ . ويجب على العليل ان يجتنب الاغذية الغليظة والامتلاء (من الطعام) والجماع والاشربة ان امكن، ويتغذى بلحم الطيور الخفيفة

قال ابن سينا : يجب اجتناب اللحوم في وجع المفاصل ولو كان عن برود

المقالة الرابعة

الفصل التاسع والعشرون : في الحبّ الافرنجي[1]

(من الباب الثاني صفحة ٣٨٤)

وهو مرض خفي سارٍ يفسد الدم وآلات الغذاء ، وتضعف فيه القوى ، ويتولد عنه امراض كثيرة . واول ظهوره هذا المرض كان في اسبانيا من بلاد الافرنج سنة ٩٠٤ للهجرة . وسبب ظهوره، هو ان ملك اسبانيا جهّز عسكراً في البحر الى بلاد الدنيا الجديدة (اميركا) فذهبت العساكر الى تلك الناحية وتملكوا بعض السواحل واختلطوا بأهل تلك الديار وتصرفوا في نسائهم، فسرى اليهم هذا المرض بطريق العدوى لكثرة هذا المرض في تلك الناحية . وهو يسري بالمباشرة والمخالطة ولبس لباس المبتلى بهذه العلة . واعظم ما يوجب سريانه واسراعه هو الجماع، ولهذا يقال له : « مرض الجماع »

قالوا : وقد يعرض هذا المرض في الاقطار ويعمّ خلقاً كثيراً كالوباء.

---

١) قد آثرنا نشر هذا الفصل في الحبّ الفرنجي لاهميته وخطورته ، لانه من الادواء المستعصية البرء احياناً . وقد يخجل بعض المصابين به ان يعرضوا انفسهم في ابتداء حدوثه على مهرة الاطباء في مداواته ، فيستفحل اذ ذاك امره ويستطير شرّه ويعيي هذا الداء غير قابل للشفاء. وهناك الطامة الكبرى . ونرى الحكيم مؤلف هذا الكتاب الخطي يشرح كيفية هذا المرض وبدء ظهوره ، ويكشف عن الاعراض المردية الصادرة عنه ، ويذكر العلاجات التي يتقي بها المريض ويلاته ، ولا يخلو تبسّط الطبيب في الكلام عنه من تبصرة وذكرى للاطباء وللمرضى .

والطاعون بحسب انظار بعض الكواكب . وقد يكون على سبيل التوارث .
واعلم ان ليس لهذا المرض علامة خاصة لكثرة ما يتبعه من الاعراض التي يشاركه غيره (من الامراض) فيها .

وقالوا : انه في اول ابتدائه تظهر حمّى خفيفة، وثقل جميع البدن، وكثرة النوم . وقد يعرض صداع ووجع مكسّر في جميع البدن . واكثر ظهور هذه الاوجاع يكون ليلاً، ويتغيّر لون العليل الى الكمودة والبياض، ويعرض سواد في العين كما يعرض للحبالى، وقد يعرض خوف وسوء خلق وأعراض كأعراض الماليخوليا . ثم تظهر في المذاكير والرأس والانف بثور وقروح رديئة . ثم يعمّ اكثر البدن . وقد يسيل المني من القروح مع حرقة ونتن رائحة .

واعلم ايضاً انه ليس بصورة وشكل معين، بل تخرج تارة بثور صلبة كالعدس، وتارة كالدرهم، وتكون مع حكّة وبغير حكة، ويكون وسط البثرة في الاكثر غائراً وحولها ناتئاً . وتكون يابسة كالمسامير، وقد تخرج منها رطوبة لزجة، وقد تخرج كباراً كالدمامل، وقد تشابه الحمرة والفلغموني . وقد تخرج بثور في البرج وتتقرّح بسرعة وتبتدئ في الاتساع والتأكل ويكون حواليها الى الكمودة والسواد، وتارة يسقط الشعر في ابتدائه وتارة في آخره . وقد يعرض من ذلك تشرّق (تشقق) في الكفّين . وقد يعرض ضربان المفاصل وتعقّدها .

وقال جمهور اطباء الفرنج : ان لهذا المرض مراتب اربع . اولاً : سقوط الشعر من غير آفة في البدن .

ثانياً : ظهور البثور في بعض المواضع من البدن، وخصوصاً في المذاكير والرأس .

ثالثاً : كثرة البثور في الرأس وانفجارها بالفصد وبدء المدّة .

رابعاً : انه يُعمّ جميع البدن والمفاصل بقروح عسرة الاندمال تفسد العظام .

وأردأ انواعه ما يبتدئ كالصرع والماليخوليا والحمّى وسدد الكبد، وما كان صاحبه كثير النوازل والسعال والسدد وبحّة الصوت والخشم وبطلان الشم والصمم وسيلان المني مع حرقة ووجع المفاصل الشديد . وقد يؤدي هذا المرض الى الاستسقاء، وسوء مزاج الكبد وضعف الهضم . وقد يؤدي الى حمّى الدقّ لكثرة الحرارة الغريبة وضعف الغريزية . وقد يؤدي الى السلّ لشدة لذع

المواد المنحدرة من الرأس الى الصدر والرئة. وقد يؤدي الى اسهال مريع مفرط لكثرة الاخلاط الرديئة . والاكثر (من الناس) يهلكون بهذه الامراض .

واذا كثر وعمَّ في قطر من الاقطار ، فينبغي ان يُحفظ البدَن منه كما يُحفظ في زمن الوباء بنحو استعمال الترياق الكبير والمتريدوطوس والحبّ العام المسمّى بالالهي ، ومعجون الجواهر المسمّى دياسنتا، وغير ذلك ممّا ينفع في الوباء وفساد الهواء .

وسببه (هذا المرض) كيفية سمّية رديئة ، اول مـا تتعلّق بالكبد فتفسد مزاجه وتفسد الاخلاط ويسري الفساد بالتدريج الى جميع اعضاء البدَن .

العلاج

ان العلاج الكلي لهذا المرض هو تنقية البدَن بالفصد والاستفراغ بما يُخرج الاخلاط الفاسدة. وبعد التنقية التامة يُعطى العليل ما هو مخصوص بهذا المرض كالسبرنيا (حشيشة المغربية) والغياقو (هو دهن الايلوس وحطب القديسين) والجويجيني (حطب القديسين) والصاصفراس[1] . وفي بعض البلدان يُعطى الزئبق خضاباً او دهناً حتى يظهر اثر الدواء ، إما في الفم من سيلان اللعاب وورم اللثّة ، وإما باسهال مريع وهو الاقلّ .

صفة مطبوخ الغياقو يسقى حاراً بعد التنقية التامة للتعريق

يُؤخذ غياقو ثمان اواقي ، يُنقع يومين في نحو اربعين رطلاً من الماء الحارّ ، ثم يُطبخ حتى يذهب الثلث ويُصفى ويُسقى منـه في كل يوم ٦٠ درهماً . وليجلس العليل مستوياً في مكان حارّ حتى يعرق عرقاً كاملاً . وان كان العليل حارّ المزاج ، يُضاف الى هذا المطبوخ الهندبا، والصندل والنيلوفر وما اشبه ذلك من الادوية المعتدلة . وان غلب البلغم يضاف اليه زبيب وعرق سوس . وان كان هناك شدَّة في بعض الاحشاء ، يُضاف اليه المنضجات المعتدلة كسقولوقندريون (حشيشة الذهب) والغافت والبرشاوشان (كزبرة البير) . وان انضمّ اليه بعض الامراض ، يضاف اليه ما يختص بذلك المرض من الادويـة بحسب رأي الطبيب . واهل الكيميا يقطّرون منه (الدواء) بالقرعة والانبيق فيصبح لطيفاً

(١) صاصفراس نوع من الغار الاميركي .

سهل التناول ، وما بقي من الثفل يُطبخ بالماء ، ويُصفى ويُسقى عوض الماء .

صفة معجون لذلك

يُؤخذ رطل من الغياقو المسحوق ناعمًا ، ويُعمل معجونًا بشراب الشاهترج (هو اللفاح ، وهو رز الدجاج ويُسمّى كسبرة الحمار). الشربة منه نصف اوقية الى اوقية . وقد يُعمل حبًّا .

صفة معجون لذلك

يُؤخذ غياقو وسبرنيا من كل اوقية سفوف ديااﻟﺮوورون اوقيتان كلنْشكر نصف رطل ، يُعمل معجونًا بشراب الهندبا .

صفة مطبوخ

يُؤخذ من السبرنيا[1] اوقيتان ونصف يطبخ باربعة ارطال من الماء بعد نقعه يومين حتى يذهب الثلث . ويُسقى كما يُسقى مطبوخ الغياقو .

صفة مطبوخ غياقو اقوى من الاول

يُؤخذ من الغياقو ثلاث اواقي ، ويُطبخ في اثني عشر رطلًا من الماء حتى يذهب الثلث ويُصفى ويُسقى منه كما تقدّم .

صفة مطبوخ الجوبجيني

يُؤخذ من الجوبجيني اوقيتان ونصف ، ويُطبخ باربعة ارطال من الماء بعد نقعه يومين حتى يذهب الثلث ويُصفى ويُسقي . وقد يُطبخ اوقيتان ونصف من الجوبجيني في اثني عشر رطلًا من الماء ، فيكون ارقّ . وقد يُطبخ اوقية من الجوبجيني في اثني عشر رطلًا من الماء حتى يبقى سدس الماء وخمسه ، وهو المشهور من الاقرابذينات الفرنجية . وعلى هذا المنوال يُصنع مطبوخ الصاصفراس .

صفة مطبوخ اقوى مركّب

يُؤخذ سبرنيا (حشيشة المغربية) اوقية ونصف ، يُطبخ بستة ارطال من الماء بعد النقع كما تقدّم .

---

١) السبرنيا اظنها السبرتيا نوع من الرتم وهو من المرقات من اليونانية [illegible] .

صفة مطبوخ معرّق

يُؤخذ نصف رطل من الغاقو ، ومن قشر الغاقو او السبرنيا من كل ثلاث اواقي ، جوجيني اوقية ونصف . يُنقع الجميع يومين في اثني عشر رطلًا من الماء ، ويُطبخ حتى يذهب النصف، ويُصفّى ويُسقى للتعريق. والثفل الباقي يُطبخ باثني عشر رطلًا من الماء. ايضاً حتى يذهب الربع ويُصفّى ويُسقى.

صفة مطبوخ آخر

يُؤخذ غاقو ثمان اواقي ، قشر الغاقو اربع اواقي ، سبرنيا وصاصفراس من كل اوقيتان . يُنقع في اثني عشر رطلًا من الماء حتى يذهب الثلث ويُصفّى ويُسقى . والثفل الباقي يُطبخ مرة ثانية ويُشرب عوض الماء .

وان بعض الاطباء ، ومنهم قرنيلوس وبلماجايوس، لم يعتمدوا على المطابيخ المذكورة وحدها ، بل استعملوا معها الفادزهرات من الحبوب والمعاجين والسفوفات والمياه الفادزهرات كدواء الشقرديون .

صفة دواء الشقرديون

يُؤخذ شقرديون نصف اوقية ، جعده وفوتنج (نعنع الماء) وفراسيون (عشبة) وصعتر ، وثمام ، وهيوفاريقون ، وقنطاريون صغير ، واسطوخودس ، وكمافيطوس ، وكمادريوس ، من كل ست اواقي . انيسون وبطراساليون (الكرفس الصخري وهو البقدونس) ودوقوا ، ورازيانج (الشومار)وسيساليوس، وسداب (فيجم) وريحان ، ونوردي ، وخردل ابيض ، وحبّ الغار ، وحبّ العرعر ، وفاوانيا (عود الصليب) من كل نصف اوقية . زراوند وجنطيانا ، وشكطرا مشيغ (هو الزوباع) ، واسارون (ناردين بري نباته يشبه مكانس القصب) ، وفو ، من كل نصف اوقية . جوزبوا وقرنفل وزعفران من كل درهم وثلث. دارصيني (هو صنف من خشب القرفة) وجندبيدستر(هو خصى كلب البحر) ، واصطراك من كل ثلاث اواقي. عسل منزوع الرغوة بقدر الكفاية. وهو من تركيب قرنيلوس .

صفة ماء مقطّر فادزهري

يُؤخذ سالوميا ونعنع ومرزنجوش (مردكوش) وسداب وزوفى وصعتر

وبتونيكا من كل قبضة يُنقع الجميع في ماء اكوليلاردونياديتي ، ثم يُقطر بالقرعة والانبيق ، او يُوضع في بطن الفرى ١٥ يوماً ، ثم يُصفى. الشربة منه ثلاث اواقي بشراب الليمون او بشراب البنفسج .

صفة سفوف للپاليوس

نشارة العاج وقرن الأيل ولولو ، من كل نصف درهم. عود وصندل وعظم قلب الأيل ، من كل ثلث درهم . رازيانج وكزبره ، من كل درهم . نعنع يابس ولسان الحمل ورعي الحمام وطراغيون ، من كل ثلث درهم . طورمنتيلا وبتونيكا وزرنباد (هو نبات عطري مشهور) . وزهر الرتم اليابس (زهر الرتم،هو زهر اللزان)من كل نصف درهم. سكّر الورد بقدر الادوية ثلاث مرات . الشربة منه ملعقتان قبل شرب المطبوخ . وقد يُعمل معجوناً لمن اراد ذلك.

صفة ماء الترياق لرونتيليتوس

يُؤخذ ترياق جيد ٣ ورق الحمّاض ثلاث قبضات ، بابونج وثمام وجلنار وكردونباديتي ، من كل اوقيتان . يُخلط بالشراب الابيض ويُقطّر بالقرعة والانبيق. الشربة اوقية تُؤخذ بماء لسان الثور صباحاً. وقد عدّوا من الفادزهرات الجوبجيني والصاصفراس والسبرنيا،وكذلك خشب البقس وخشب العرعر وخشب السرو وخشب الابهل والعود . وقد اخرجوا الغياقو عن هذه الجملة .
وأما العلاج بالزيبق فقد يُستعمل من داخل شرباً،ومن خارج طلاء وبخوراً.

صفة طلاء للحبّ الافرنجي يُطلى به بعد التنقية التامّة وتعديل المزاج

يُؤخذ زيبق اوقيتان ، كندر ومستكي من كل واحد اوقية . شحم الخنزير ودهن بابونج ودهن حب الغار من كل واحد اوقيتان ، اصطراك نصف اوقية . يُعمل مرهماً ويُطلى به ، ويُجتنب الهواء البارد وشرب الماء البارد . ويُفعل ذلك مرات حتى يظهر الاثر .

صفة مرهم آخر

يُؤخذ زيبق ثلاث اواقي ، زيت اربع اواقي ، كندر ومستكي من كل واحد اوقية ، دياليتا اوقية ونصف ، دهن حب الغار اوقية ونصف. سكبينج اوقية . شمع بقدر الكفاية . يُطلى به تحت الابطين وتحت طي الركبتين

وتحت القدمين وفقرات الظهر . ويجلس العليل في مكان حائد عن الهواء حتى يظهر اثر الدواء ، ويتدارك ما يظهر من اعراض اثره بما يناسب ، كالغرغرة عند سيلان اللعاب والمضمضة بالقابضات والمحلّلات ، ويُمسك الذهب في الفم ليحفظ اللثة من الفساد ويجذب الزيبق اليه ، والحقن النافعة للاسهال والسحج .

صفة بخور لذلك

زنجفر[1] ثلاث اواقي ، كندر ومستكي من كل نصف اوقية . يُعمل اقراصاً ويُبخَّر به والحقنة النافعة للسحج والاسهال عند شدَّته ، يجب ان يُغسل بها البدن بعد ظهور الاثر من الدواء ، بالماء المطبوخ فيه الساريا (القوّيسة) والكمافيطوس والاسطوخودس والصعتر . وينبغي ان يكون هذا العلاج في الفصلين المعتدلين وفي المزاج القوي. وليتدارك ما يعرض منه حذرَ الزيبق بالمطابيخ والفادزهرات التي تقدَّم ذكرها .

صفة مرهم للانعقاد العارض في المفاصل والاعضاء من الحَبّ الافرنجي

يُؤخذ اشق وجاوشير (الجاوشير ، نبات فارسي. ويُقال نقلًا عن ابن سينا انه حليب ابن آوى) من كل اوقيتان ، تُحلّ بصاعد الشراب، وشحم الدجاج وشحم الوز ، من كل اوقية ونصف . مخ ساق البقر اوقية، لادن واصطرك (هو صنف من الميعة ومنه صمغ الزيتون) من كل درهمان . سورنجان (عشبة القنطا[2] ويُقال لها عشبة القلب اذا كانت تُشبه القلب) وايرسا (شرش الزنبق) من كل درهمان . زنبق ستة دراهم، زنجفر درهم ، دهن زنبق وصمغ البطم وشحم بقدر الكفاية .

صفة ماء يُطفىء به البثور التي في البدن والانف والفم من الحَبّ الافرنجي

يُؤخذ سليماني وشبّ (هو الشبّ المصري الابيض المدوَّر يُجلب من طرابلس)

---

١) منه معدني ، يوجد في معادن الذهب والنحاس ، وهو عزيز الوجود، حتى قال بعضهم انه الكبريت الاحمر المشَّل به في العزَّة، ومنه مصنوع وهو المتعارف المتداول الآن، ويُجلب من نواحي السند وارمينية وجزائر البندقية، وكأن صنعه في هذه البلدان المذكورة اقوى، واجوده الزرين الاحمر الرمَّاني الذي لم تُشم منه رائحة الكبريت .

٢) القنطا المعروفة هي رثث كلمة calamintha اللاتينية .

من كلٍ اوقية ، يسحقان على رخامة (بلاطة من رخام) ثم يُحلّلان في ثلاث اواقي من ماء الليمون . ورطل ونصف من ماء لسان الحمَل (هو السليقة وآذان الجدي) ، وتسع اواقي من ماء الورد . يُطبخ الجميع في قنينة حتى يذهب الخمس ، ويُرفع الى وقت الحاجة .

صفة ماء آخر

يُؤخذ سليماني وشبّ ، من كلٍ درهم ٢ ، ماء لسان الحمَل وماء الورد ، من كلٍ رطل . يُغلى الجميع في قنينة حتى يذهب النصف ، ويُستعمل بعد خمسة عشر يوماً من عمله . قال داود الانطاكي : واذا جفّ يُطلى برماد البندق والاسفيداج (هو زنجار الرصاص) والصبر وماء الليمون محلولاً فيه الزنجار .

صفة حب الزيبق النافع للحبّ الافرنجي مع وجع المفاصل ونفقدها اذا ازمن وهو مجرَّب في ذلك

يُؤخذ راوند وغاريقون ، من كلٍ درهمان ، صبر ثمانية دراهم ، زيبق مقتول بماء الورد ثلاثة دراهم ، مرّ ومستكي من كلٍ درهم ، دارصيني وعنبر من كلٍ ثلاثة دراهم . يُسحق ويُخلط ويُعجن بصمغ البطم ويُحبّب حبوباً وزن حبّات عدد ٨ منها ، ويُسقى منهُ في الاول ثلث درهم ، وفي المرة الثانية نصف درهم .

واذا صُنع للملوك ومن ضاهاهم من ارباب الترفُّه والتنعُّم ، يُضاف اليه درهماً من برادة الذهب ومن ورق الذهب . وهذه الحبوب انما وُضع فيها الراوند والغاريقون لتنقية الاخلاط والبقية الباقية التي في البدَن ، وبعضاً من السقمونيا (هي المحموده وتمتد حبالها على الارض ، ويقال لها اسبوس) وشحم الحنظل ، وهو ليس بجيّد لما فيه من الجذب الشديد والتجفيف البالغ . وانت تعلم ان حبوب الزيبق انما تُستعمل بعد تنقية البدَن بالفصد والاسهال . وبعد التنقية لا يُحتاج الى مثل هذه الادوية القوية الاسهال اذا رأيتَ البدن قد تنقّى من المواد ولم يبقَ من حاجة الى المسهل .

صفة حبوب على هذه الصفة

يُؤخذ من اللادن والهيوفسطيدوس من كلٍ درهم ، صبر اوقية ، عنبر ومسك من كلٍ ثلث درهم ، زيبق مغسول بالشراب درهم ٢ . يُخلط الجميع

ويُعجن بشراب الورد المسهل. الشربة ثلث درهم في كل صباح. ويُعلم ظهور اثره (الحبّ الفرنجي) بظهور بثور في الفم ونتن الرائحة او بعض الاسهال.

صفة أُخرى للحبّ الفرنجي ونقد المفاصل يُستعمل بعد التنقية الكليّة

يُؤخذ زيبق مقتول با. الليمون مغسول با. السالوبا درهم٦صبر درهم٥، راوند در٣، سقمونيا در ٢، غاريقون در١، دارصيني وصندل اصفر، واصطراك، وسبرينا، وبسباسه، وصاصفراس، ومسك، من كل نصف درهم. يُحبب بشراب الغياقو وقليل من دهن عالك البطم. الشربة من ثلث درهم الى نصف درهم بحسب القوّة والمزاج.

مطبوخ ينفع الحبّ الافرنجي المزمن ووجع المفاصل ونقدها

يُؤخذ غياقو رطل، راسن (الزنجبيل الشامي)، وجاوري وصندل ابيض واصفر واحمر وسنا من كل اوقيتان. سورنجان اوقية، شحم الحنظل ثلاثة دراهم. يُنقع بالماء الحارّ ويُطبخ بحسب العادة ويُسقى منه بقدر القوّة. وقد يُعمل شراباً بالعسل، وقد يُطيَّب بقطر الدارصيني.

صفة مطبوخ آخر يزيل الحبّ الافرنجي بسرعة ويُخرج الفضلات الرديئة ويجفّف القروح

يُؤخذ غياقو رطل، قشر الغياقو ثلاث اواقي، سنامكي وغاريقون اوقية، صبر ثلاث اواقي. يُطبخ الجميع بستة ارطال من ماء الافسنتين، وستة ارطال من ماء لسان الثور، على نار ليّنة حتى يذهب الربع ويُصفّى. الشربة منه ست اواقي، وهو علاج قويّ النضج.

صفة دواء للشقاق (التشقّق) العارض في الكفّين والرجلين من الحبّ الافرنجي

يُؤخذ من السليماني ثلاثة دراهم، شبّ درهم. يُسحق ويُخلط ببياض البيض ويُطلى به الشقوق فانه يُزيلها بسرعة.

صفة بخور معرِّق يجفّف للقروح العتيقة المزمنة الرديئة

يُؤخذ زنجفر اوقية، اصطراك وجوزبوا من كل ثلاثة دراهم، جاوى نصف اوقية. يُسحق الجميع ناعماً ويُعجن بصمغ البطم ويُقرَّص وزن درهم٢،

وُيبخّر به فانه يُجلب العرَق ويُجفف . وان اردته لتجفيف القروح الرطبة ، فأضف اليه الكندر والمرّ والجاوشير فيكون ابلغ من ذلك .

وان كانت القروح في الرئة والانف ، فيوضع في هذه الاقراص شيء من الزرنيخ ، وهو قويّ . ووضع المرقشيثا في البخور هو غاية في النفع في تجفيف القروح الباطنة .

صفة سفوف السبرينا

يُو[illegible] سبرينا ثلاث اواقي ، سنامكي اوقيتان ، يُسحق ويُستعمل . الشربة درهم وثلث [illegible] لبن .

صفة سفوف مجرّب

يُؤخذ سبرينا ثلاث ار[illegible] ، سنامكي اوقيتان ، افتيمون اوقية ونصف ، دارصيني وزنجبيل وانيسون ، من [illegible] درهمان ، سكّر اوقية ، سقمونيا درهمان . يُدقّ الجميع ناعماً . الشربة منه من [illegible] هم الى درهمين بشراب ابيض مفتّر .

﴿ فصل[1] في الاوزان والمكاييل المستعملة في الكتب الطبيعية وغيرها ﴾

اللهمّ إلا ما اختلف وزنه في قديم الزمان وحديثه . والدرهم التامّ في قديم الزمان ٨ دوانق ، والذي استقرّ عليه الامر (اليوم) ان وزن الدرهم ٦ دوانق و١٢ قيراطاً و٢٤ طسوجاً و٤٨ حبّة . والدانق منه ، قيراطان و٤ طسوج و٨ حبّات . والقيراط منه طسوجان و٤ حبّات . والطسوج منه حبّتان . والمراد بالحبّة سدس ثمن درهم ، وهو جزء من الثمانية واربعين جزءاً من درهم ، لا الحبّة التي هي حبة خرنوب . فان ١٦ حبة منها وزن درهم ، بل الحبة التي هي ٤ ارزات ، والارزات حبّتان من الخردل البرّي . روزن الدرهم الناقص ٤ دوانق وكسر ، وهو مشهور في كثير من البلاد .

وأما المثقال فذهب بعضهم الى انه لم يختلف في سالف الزمان ولا حدثه ، وهو من الذهب مثل الدرهم ومثل ثلاثة اسباعه . والدرهم مثل نصف المثقال وخمسه ، لان الذهب اوزن من الفضّة ، وكأنهم جرّبوا قدرًا من الفضة ومثله من الذهب فوزنوهما فكان وزن الذهب زائدًا على وزن الفضة بمثل ثلاثة اسباعها .

١) صفحة ٤٥٨ من المخطوط ، وهو الاخير .

وأما اجزاء المثقال فهي ٦ دوانق و٢٠ قيراطاً و٢٤ طسوجاً و٦٠ حبّة و٢٤٠ حبّة . والدانق ، منه ٣ قراريط و٤ طسوج و١٠ حبّات و٤٠ ارزة . والقيراط منه ، ٣ حبّات و١٢ حبّة ارزة . والطسوج منه حبّتان ونصف و١٠ ارزات . هذا هو المشهور . وفي بعض الكنانش (كذا) ما يدلّ على ان المثقال اليوناني غير الذي يُستعمل الآن وهو اقلّ من هذا .

المثقال قيراطان ، وان الدرهم اليوناني غير الذي يُستعمل الآن وهو اقلّ من هذا . الدرهم بمثل سدسه وربعه وينبغي ان يُحقق حتى تتعيّن اوزان المعاجين الكبيرة وسائر النسخ القديمة .

والاوقية بوزن ١٠ دراهم و٥ اسباع الدرهم وبوزن ٧ مثاقيل ونصف . والاوقية المصرية ١٢ درهماً . واستعمال الاوقية في هذا الكتاب بهذا المعنى .

والاستار بوزن الفضة ٦ دراهم و٣ اسباع الدرهم . وبوزن الذهب ٤ مثاقيل ونصف ، والمتفق عليه هو ان الاستار ٤ مثاقيل .

الدرخمي مثقال باليوناني ، وقيل درهم . البندقة درهم وقيل مثقال . الجوزة النبطية مثقال . النواة دانقان . وحبّة خرنوب شعيرة . الترمسي قيراطان . الحمّصة ربع درهم .

المن بوزن الفضة ٢٥٧ درهماً وسبع درهم . وبوزن الذهب ١٨٠ مثقالاً . وبحساب الرطل رطلان . وبالاواقي ٢٤ اوقية . وبالاستار ٤٠ استاراً .

والرطل ١٢ اوقية . وبالاساتير ٢٠ استاراً . وبالمثاقيل ٧٠ مثقالاً . وبالدرهم ١٨٠ و٢٦ درهماً و٤ اسباع درهم . والمن الرومي ٢٠ اوقية . والمن الانطاكي والمصري ١٦ اوقية . فهذه هي الاوزان .

وأما المكاييل ، فالناطل اوقيتان . والدروق قسطان . والقسط ٤ ارطال ، وقسط العسل رطل ونصف . والقفيز ٨ مكاييل وهي ٢٥ منّاً . والكيلجه رطل ونصف . والقرطولي ٩ اواقي . والسكرجه الكبيرة وتُسمّى الصدفه ايضاً ٩ اواقي . والسكرجه المطلقه ٦ اساتير و٤ استار . والصغيرة ٣ اواقي . والجرّة المطلقة ٢٤ قسطاً . والجرّة الصغيرة ٤ اقساط . ملعقة العسل ٤ مثاقيل . وملعقة الادوية مثقال .

جاء في ذيل صفحة ٤٥٩ وهي الاخيرة من هذا المخطوط ما يلي بحرفه الواحد :

« كملت كتابتهُ والحمد لله الذي لا ينتهي ابدًا ، وانتهاؤه عن يد العبد الفقير سام باسيل (من قرية معراب في جبل لبنان بلاد كسروان) ختام سنة ١٨٢٨ صح صح صح » .

فوائد

رأينا هذه الفوائد مسطَّرة بخط عربي مختلف عن خط هذا المخطوط الطبي، على الورقة الثانية البيضاء في ابتداء هذا الكتاب ، ولما كانت لا تخلو من فائدة، احببنا ان ننقلها بحرفها الواحد .

الفائدة الاولى : في تفسيخ الصخور بدون واسطة البارود

ان احد المخترعين الافرنسيين أعطي له امتيازًا في انكلترا ، لانه وجد طريقةً لتفسيخ الصخور بتوليد الحرارة بغير اطلاق صوت . والمادة التي استعملها لذلك هي مركّبة من مقدار ١٠٠ كبريت (ربما كان مئة درهم) و١٠٠ ملح بارود و٥٠ نشارة خشب و٥٠ زبل خيل و١٠ ملح العادي . فيُحَلّ الملح العادي وملح البارود بالماء السخن ، ويُضاف الى ذلك اربعة كوارت انكليزي من الدبس ويُحرَّك الجميع جيّدًا ليصيروا جبلة واحدة وينيَّبس على نار لطيفة ، ويكون حينئذ موافقًا للاستعمال . وتُصبُّ هذه المادّة المركّبة في الثقب الذي يُنقر اعتياديًا في الصخر لاطلاق البارود ، ويُعطى له الصوفان فيتولّد من هذه العمليّة حرارة عظمى تفسخ الصخر دون ان يتطاير منه شيء . صح .

الفائدة الثانية

بحوقان : هو شرش القاشرة ، اي كرمة البيضا . اي شرش العريشيه .

الفائدة الثالثة : صفة مرهم ينفع لجميع الجبوب العتيقة والحديثة

شمع وصابون وشبّه زرقه . يُوخذ من كل شكل قدر ما يُراد سوية . زفت ثلثين الجميع ، يتذوبوا في غمرهم زيت ويتمرهنوا ، وقرب ما يبردوا يوضع معهم شبّه بيضه مسحوقه قدر جزء من الاجزاء المشروحه .

الفائدة الرابعة: فايدة الى حمّى الربع المثلثة، رأينا طبيب افرنجي يعالج بها

يُعطي مقيئ، وثاني يوم مسهل، وثالث يوم مسهل، ورابع يوم الدور، يُعطى لقطع الدور ثلاثة ارباع الدرهم مكرّر ملح كينا موضوعين في قنينة ويوضع فوقهم اربعة دراهم سكر وستّ نقط روح لودنوا، ونصف القنينة عرَق ونصفها ماء، ويشرب منها رابع يوم كما ذكرنا بعد المسهلات وخامس يوم وسادس يوم اكمال اخذه قبل الدور الثاني بساعة ونصف، والاخذة تكون في كل اربع ساعات ملعقة فضه ليل ونهار في الثلاث ايام المذكوره. وبعض اشخاص يُزاد لهم يوم السادس اربع اوراق من الدواء اي ملح الكينا، كل ورقة ثقل حبّتين قمح ويؤخذوا بدور الثاني وبعده.

الفائدة الخامسة: نسخة حَبّ المثلث وصفته

يُؤخذ صبر ومحموده وابّ حنظل من كل اوقية ونصف. اسحقهم مثل الغبار خصوصاً اللبّ المرقوم. ثمّ اخلطهم جميعاً بقليل من شراب الاسطوخودس[1] واعملهم. ثمّ احفضهم (احفظهم) عندك ولما تريد تستعمل منهم خذ ثقل عشر حبّات قمح طريقين (مرّتين) بالجمعه، قبل طلوع الضوّ ترَ فعلاً عجيباً. يجوز اخذه في شهر نيسان وايار وايلول وتشرين. واذا نام (المريض) بعد اخذه فهو احسن، وبعد اخذه يجوز ان يُعطي سلطانيّة مرق لحم او حمّص احمر.

تنبيه: قد اهملنا اثبات فائدة في شرح اكسير انطون؟ وكيفية استعماله المسطّرة بين هذه الافادات، لان الناسخ ذكر فوائد هذا الاكسير باسهاب، ولم يذكر مواد تركيبه. ولم نعلم مَن هو انطون المختص به عمل هذا الاكسير العجيب حتى نُسب اليه واشتهر به.

---

١) الاسطوخودس: هو الكمّون الجندي او هو بزره. له سَقا اي ساق. اوراقه كالصعتر. حبّه حجريّ جبليّ، واجوده الطيّب الرائحة، ويُسمّى مكنسة. ومنهم من قال ان الاسطوخودس هو حشيشة النبري.

القديس اغناطيوس ده لويولا (١٤٩١ ـ ١٥٥٦)

ورهبانيته اليسوعية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

في كل انحاء العالم تحتفل الرهبانية اليسوعية هذه السنة احتفالاً عظيماً بمرور اربعمئة سنة على وفاة مؤسسها القديس اغناطيوس ده لويولا ، الذي قد زار مسقط رأسه في شهري آب وتشرين الاول من العام الماضي نحو مئة وخمسين الف زائر.

وايمُ الحق كان من اعظم اوليا. الله تعالى بسمو فضائله وبالخير الكبير الذي صنعه الى ملايين البشر بذاته وبواسطة ربوات اتباعه اليسوعيين، المنتشرين منذ اربعة قرون في اصقاع العالم ، من مشارقه الى مغاربه . العظما. نوعان : منهم من يشبه المذنَّب ، الذي يشق عنان السما. بسهم ساطع من ضيائه ، ثم يغيب عن الانظار والقلوب . ومنهم من ضارع الشمس التي لا تزال ، منذ برأها الإله القدير ، تضيء ، وتُنعش مليارات الناس وسائر الكائنات الحية . ولا مراء في كون مؤسس رهبانيتنا رجلاً عظيماً من هذا النوع الثاني .

كان سليل عائلة شريفة ، وقد وُلد سنة ١٤٩١ في قصر لويولا (Loyola) ، وهي بلدة صغيرة ، واقعة في شمال اسبانية ، في قسم تلك البلاد الذي يسكنه البسكيون ، وهم قوم محراب باسل ، ابلى بلاء حسناً في مقاتلة غُزاته ، وهو يتكلم حتى الآن بلغة مجهولة الاصل ، لا شبه بينها وبين سائر لغات اوربة ؛ وقد ورث اغناطيوس عزمه الفولاذي وعلو نفسه من اجداده النبلاء . سنة ١٥٢١ ، وهو ضابط في جيش نائب ملك نافارة ، دافع في احرج المواقف دفاع الابطال عن قلعة مدينة بمبلونة (Pamplona) التي حاصرها الجنود الفرنسيون ، فأصيب بجرح ثقيل ، ونُقل الى قصر اسرته ، حيث تحتم عليه ان يلازم الفراش اشهراً عديدة . في تلك الآونة اشتدت عليه وطأة البطالة والضجر ، فطلب من اهله روايات غرامية يسلو بها مضيته القادحة ، واذ لم يجدوا شيئاً منها ، اتوه بحياة السيد المسيح وبسير القديسين .

اول وهلة نفر اشد النفور من تلك المطالعة ، لانه كان خاطئاً قد تمرغ الى ذلك الوقت في حمأة المعاصي . بيد ان روحه السامية وعقله الثاقب ما لبثا ان اكتشفا في فضائل مئات القديسين المَثل الاعلى للبطولة العُليا التي تكبح على الدوام جماح الذ الشهوات السافلة ، ولا سيما الكبرياء والعهارة ، بـل تسحقها سحقاً، فتحرر من نيرها المُذل وتتمكن من الارتقاء الى ذرى الحب الكامل لله تعالى وللانسان المخلوق على صورته .

قصد اغناطيوس بهمته القعساء ان يحذو حذو القديسين ، فهجر العالم ومجده الزائل وملذاته الباطلة ، واختلى نحو سنة في مغارة ، ببلدة منريسة (Manresa) ، عاكفاً على الصلاة والتأمل والتكفير عن خطاياه بانواع التقشف الهائل . على ذلك الوجه جرى شوطاً رائعاً في طريق الفضيلة الوعر . لكن مؤونته من العلم كانت زهيدة، فرضي بمجالسة التلاميذ الصغار في مدرسة ابتدائية لدرس اللغة اللاتينية، ثم اكبَّ على درس الفلسفة واللاهوت في وطنه ، وبعدئذ في كلية باريس من سنة ١٥٢٨ الى ١٥٣٥ . في ذلك المعهد الشهير اختار ستة من الطلاب المبرّزين مثله في الفضيلة والعلم ، ليؤازروه طول حياتهم على تمجيد الله وتقديس النفوس، ثم انضوى اليهم عشرات من انداده ، فنشأت الرهبانية اليسوعية سنة ١٥٤٠ .

القديس اغناطيوس قد ابتكر نوعاً جديداً من الحياة الرهبانية . لم يعيّن لرهبانه ثوباً مختصاً بهم ، واعفى الكهنة من التلاوة الجمهورية للصلوات التي تفرضها الكنيسة عليهم ، لانها تحول دون القيام السريع بانواع الخدم للقريب . اعفاهم ايضاً من الاقامة الدائمة في الدير ، ومن التقشف الشديد ، المانع انضواء آلاف من ذوي الصحة المتوسطة الى رهبانيته . فضلاً عن ذلك لم يحصر سعي اتباعه في نطاق ضيّق من الاعمال ، بل وسّع ميدانه الى الدرجة القصوى ، في كل ما يؤول الى تمجيد الله تعالى وخير البشر . كانت رهبانيتنا حين نشأتها مؤلفة من سبعة اعضاء ، ذوي ثقافة عالية، دينية وعلمية . نفوذ اولئك النوابغ وسمو قداستهم ، ومن جهة اخرى مرونة قوانينهم قد ادّت الى سرعة انتشار رهبانيتهم ، فصار ابناؤها نحو الف ، في كل انحاء العالم، من اليابان الى اميركة الجنوبية حين وفاة مؤسسها سنة ١٥٥٦ ، بعد انقضاء ستة عشر عاماً فقط منذ انشائها . في اواخر السنة الماضية كانوا ٣٢٨٩٩ ، وهو اكبر عدد في رهبانيات

الرجال[1] . لا يجاري الولايات المتحدة قُطر من اقطار العالم في كثرة اليسوعيين، فقد كان منهم فيها ٧٧٥١ العام الماضي .

قلتُ ان مؤسسنا قد وضع قوانين رهبانية مبتكرة ، تضمن لجميع ابنائه ادراك اوج الكمال في خدمة الله والبشر ، ومن اوضح البراهين على عبقريته انه لم يحدث ، بعد اختبار اربعمئة سنة ، ادنى تغير جوهري في تلك القوانين التي عليها طابع حكمة الهية محضة — وقد اقتبس زبدتها عشرات من الرهبانيات الحديثة — وأن كل اليسوعيين الدائبين على التقيد بها قد بلغوا ذروة الكمال . حان لي ان اقدّم للقراء حفنةً من كثيب مآثرهم في اكبر ميادين سعيهم، معتذراً عن كون الموضوع يضطرني الى تعظيمهم ، وراجياً ان ينسبوا جميع تلك المحامد الى الله — عز وجل — لانه مصدرها الوحيد .

الغاية الاولى التي رمى اليها مؤسسنا الغيور، هي ان يكون ابناؤه قديسين، وقد تم ذلك بدرجات متباينة في كثير منهم ، واصبحت رهبانيته حديقة غناء ، مزدانة بأجمل زهور القداسة الرائعة التنوع . سنة ١٩٥٤ كانت قد انجبت رهبانيتنا، بمنه تعالى ، من ابطال الفضيلة الذين حققت مآثرهم السامية والمعجزات التي صنعوها بعد موتهم ادقّ التحقيق ، سبعة وعشرين قديساً و١٣٩ طوباوياً . ما عدا اولياء الله اولئك الذين يسوغ ان نسميهم رسميين، قد امتاز عندنا بالقداسة آلاف مؤلفة غيرهم ، وقد نُشر ملخص سير نحو عشرة آلاف منهم في عدة مجلدات ضخمة .

اما عدد شهدائنا الذين سفكوا طوعاً دماءهم النقية ، في سبيل السيد المسيح ، فهم نحو الف .

من الواضح ان في مقدمة الاشغال المفروضة على رهباننا تقديس النفوس . وقد دل الاحصاء — وهو ناقص جداً لاستحالة اجرائه في ثمانية بلاد شيوعية — ان في سنة ١٩٥٤ قد القى اليسوعيون التعليم المسيحي ٦١٨٠٠٠ مرة ، فضلاً عن ٥٦٤٠٠٠ موعظة ونحو ١٩٥٠٠ رياضة ، وكل رياضة سلسلة عظات تدوم من ثلاثة ايام الى شهر ، وفقاً للظروف ، وقد حضر تلك الرياضات ٦٦٩٠٠٠ شخص

---

١) من اولئك اليسوعيين ١٦٥٢١ كاهناً و١٠٧٦١ شخصاً مستعداً للكهنوت و٥٦٣٧ اخاً قائماً بالاشغال اليدوية .

ونيف . رهباننا لا يكتفون بالقاء المواعظ في الكنائس والاديار والمدارس ، بل حيثما تسنى لهم القاؤها ، حتى في السجون . الاسبانيون منهم قد اعتادوا ان يعظوا ستة ايام متوالية في المعامل والمناجم ، وقد سمع مواعظهم ، سنة ١٩٥٠ ، ٢٧٠٠٠ عامل ونيف ، في ٥٦ معملاً .

لنا ايضاً في انحاء العالم عدد كبير من معاهد مختصة بالرياضات الاختلائية ، يقضي فيها من ثلاثة ايام الى شهر ، في الصمت الكامل جماهير متتابعة من الكاثوليك ، لسمع المواعظ والتأمل في مواضيعها . كان لنا سنة ١٩٣٧ مئة واربعة من تلك المعاهد ، وقد ارتاض فيها عامئذ ٦٨٠٠٠٠ شخص ونيف .

اليسوعيون اينما كانوا ، دائبون على توزيع الاسرار المقدسة . سنة ١٩٥٤ عمدوا ٢٠٢،٤٣٧ شخصاً ، واعدّوا لاول تناول ١٢٢،٣٨٤ ، وكان عدد المناولات في كنائسهم ٥٩،٨٩٣،٠٠٠ .

في السنة ذاتها كان من اجمل اثمار خدمهم للنفوس اهتداء ٣٦،٥٠٦ اشخاص بالعين .

اراد مؤسسنا ان تكون الفضيلة والعلم في رهبانيته توأمين متلازمين ؛ ولا بدع بذلك ، فان العلم يزيد سطوع الفضيلة وتوق الناس الى الاقتداء بها ، وهو ايضاً في مقدمة العوامل للترقي الادبي والمادي . لذلك قد فرض القديس اغناطيوس على جميع ابنائه المستعدين للكهنوت تسعة اعوام دراسة عالية ، منها اثنان للغات والآداب ، وثلاثة للفلسفة واربعة للاهوت . علاوةً على تلك الثقافة العامة ، يسهّل على ذوي المواهب الخاصة منهم التعمق والنبوغ في جميع فروع العلوم والآداب والفنون الجميلة ، ويُثير همتهم على التأليف المبتكر فيها . تلك لم تزل اليسوعيين عند رغبته منذ نشأتهم الى ايامنا ، فكانوا ينشرون ، سنة ١٩٤٠ ، ٦٨٥ مجلة دينية او علمية او ادبية .

فضلاً عن ذلك قد وضع رهباننا آلاف الكتب في كل انواع العلوم الدينية وغيرها ، وفي ضروب الآداب نثراً وشعراً ، بل في الفنون الجميلة . الاب شرل زومرڤوگل (Sommervogel) اليسوعي قد نشر ، بين سنتي ١٨٩١ و ١٩٠٠ ، تسعة مجلدات كبيرة الحجم ، حاوية اسماء احد عشر الف كاتب يسوعي ، وذكر مصنفات كل منهم . منذ سنة ١٩٠٠ قد ظهرت عدة كتب لتكملة جدول الاب المشار اليه .

اما كبار العلما. والادبا. والفنانين ، فانهم يحصون عندنا بالمئات ، فاكتفي بذكر عدد قليل منهم .

من نوابغ علم الرياضيات الاب البلجيكي غريغوريوس للقديس منصور (١٦٦٧†) ، وله اكتشافات خطيرة في ذلك العلم ، وهو من مؤسسي الهندسة التحليلية (Géométrie analytique) .

الفلكيون العظما. كثيرون ؛ هاكم شيئاً يسيراً من مآثرهم .

الاب كريستوف شينر (Scheiner) († ١٦٥٠) قد اكتشف راتبت وظيفة شبكة العين الضرورية للبصر . هو من مؤسسي علم فيزيا. الشمس ومكتشف سفعها ، اي ما يغشاها من البقع السوداء ، واول مفسّر لسببها ، هو مخترع الهليوسكوب (Hélioscope) ، يعني المنظار ذا زجاج مسودّ او ملوّن لرصد الشمس . قد اخترع ايضاً البنتكراف (Pantographe) ، وهو آلة تنقل كل الرسوم على وجه ميكانيكي .

الاب حنا ريتشولي (Riccioli) († ١٦٧١) الايطالي كان اول المنقّبين عن اسباب السفع القمرية .

الاب تسوكي (Zucchi) هو مخترع المرقب ذي مرآة .

الاب فرنسيس كريملدي (Grimaldi) († ١٦٦٣) الايطالي قد اشتهر بابحاثه عن القمر وباكتشافه انحراف (diffraction) النور .

الاب شرل براون (Braun) لم يجاره مجارٍ في تحديد وزن الكرة الارضية على ادق اسلوب .

الاب تسوبي (Zupi) قد اكتشف ادوار السيارة عطارد .

الاب نقولا سارابا (Sarrabat) (†١٧٣٧) الفرنسي مكتشف اول مذنب مرقبي ، يعني اول مذنب لا يُرى بالعين المجردة بل بالمرقب وقد اخترع عدة آلات ميكانيكية .

الاب كريستيان ماير (Mayer) († ١٧٨٣) ، مكتشف النجوم المزدوجة . النجمتان المزدوجتان هما اللتان تدوران حول مركز ثقلهما المشترك .

الاب كريستوف (Clavius) († ١٦١٢) الالماني قد ساعد البابا غريغوريوس الثالث عشر على اصطلاح حساب السنين .

الاب انجلو سيكي (Angelo Secchi) († ١٨٧٨) الايطالي مشهور بمؤلفاته على

تركيب الشمس ، وكان اعظم الاختصاصين المعاصرين في تحليل طيفها ، وقد اخترع الميتورو گراف (météorographe) ، وهو الجهاز المسجِّل تغير الاحوال الجوية.

الاب غليوم ستِّين (Stein) († ١٩٥١) الهولندي ، كان مدير مرصد الفاتيكان الفلكي ، وقد اشتغل ثلاثين عاماً ، بمساعدة فريق من اشهر الفلكيين ، لتأليف جدول النجوم في احد عشر مجلداً. ذلك الجدول يحتوي الصور الشمسية وتعيين الاقيسة والحركات لاكثر من ٥٥٥٫٠٠٠ نجمة ، وقد عده العلماء كتاباً اساسياً في علم النجوم .

حول سنة ١٩٥٠ اكتشف فلكيان يسوعيان يشتغلان في مرصد الفاتيكان مذنباً ، فسُمّي باسميها مذنب لكلير وميلر (Leclaire-Miller) ، واكتشف الاخ تيمرس (Timmers) اليسوعي من ذلك المرصد مذنباً آخر ، فوُسم باسمه .

من اعظم خدمنا للعلم ان لنا عدداً كبيراً من مراصد الاحوال الفلكية والجوية ، في انحاء العالم . من اشهرها اثنان في مانيلة وفي مدينة زيكاوه (Zikawé) الصينية ، وهما يحددان وقت هبوب الاعاصير التي فيها خطر شديد على الملاحة في المحيطين الهادي ، والهندي ، ويعينان ايضاً وجهتها ودرجة شدتها . قد عرَّف مرصد زيكاوه حدوث الف إعصار ونيِّف ، فخلَّص مئات آلاف البشر من شرورها . يجدُر في هذا المقام ذكر مرصدنا في كساره بلبنان .

الاب شرل پراسون (Poisson) ، مدير مرصد تناناريف في جزيرة مدغسكر ، قد نال حول سنة ١٩٣١ من محفل العلوم المختصة بالمستعمرات ، في باريس ، مكافأة على كتابه في شأن المعرفة السابقة للاعاصير الحادثة في النصف الجنوبي من الكرة الارضية .

الاب راميرس (Ramirez) اكتشف طريقة لمعرفة مركز العواصف البحرية ، فوقى الملاحة من اخطار هائلة ، وقد جنى اسطول الولايات المتحدة اجلّ الفوائد من ذلك الاكتشاف في الحرب العالمية الثانية .

الاب يعقوب ماسلوان قد انتُخب حول سنة ١٩٢٨ مديراً لجمعية مراصد الزلازل ، التي كان لها عامئذٍ في الولايات المتحدة مئة واثنان وثلاثون من تلك المراصد .

الاب اونوره فبري (Fabri) († ١٦٨٨) الفرنسي قد أكتشف دوران الدم في الجسم.

الاب يوسف إكهل (Eckhel) (+ ١٧٩٢) النمسي هو مؤسس علم المسكوكات القديمة على اساس علمي .

الاب تيار ده شردان (Teilhard de Chardin) (+ ١٩٥٥) من اعظم العلماء في الجيولوجية وعلم اصل الانسان . كان من اعضاء محفل العلوم الباريسي ، وقد فاز بجائزة من اكبر جوائزه مكافأةً لاكتشافاته الخطيرة إبان الحفريات التي قام بها في الشرق الاقصى .

الاب ... س يوهنس (Johanns) (+ ١٩٥٥) البلجيكي قد اشتهر بتعمقه في درس الفلسفة ... ألف ستة كتب عليها . في شرخ شبابه ، حين فحص اساتذة جامعة كمبردج (Cambridge) ... صنّف له في الفلسفة ، أُعجبوا بعبقريته اشد الاعجاب ، فصرحوا بان نابغة مثله لا يظهر ... واحدة في كل عصر .

امّا مآثر اليسوعيين في ميدان اللغات ، فقد نوَّه بها اللغويون مرارًا . رهباننا قد مهَّدوا الطريق لدرس اللغة السنسكريتية ، وهي من اقدم لغات الهند، ولهم قصب السبق في معرفة اللغة الصينية ، وقد الّفوا اول القواميس وكتب القواعد لعدد كبير من ألسن القبائل المتوحشة .

هاكم الآن اسماء نوابغ آخرين من رهباننا في علوم غير المذكورة .

الاب سبستيانس رُنزفال (Ronzevalle) (+ ١٩٣٧) قد منحته الحكومة اللبنانية وسام الاستحقاق ذا السعف ، اقرارًا بخدمه الجليلة لعلم الآثار الشرقية .

الاب هنري لامنس (Lammens) (+ ١٩٣٧) البلجيكي قد ذاعت شهرته في الخافقين بمؤلفاته الرائعة على نشأة الدين الاسلامي وتاريخه .

الاب إريش ڤسمان (Erich Wasmann) (+ ١٩٣١) الالماني كان من اشهر نوابغ العالم في علمَي النمل وغرائز الحيوانات .

الاب توت (Toth) المجري قد فاز حول سنة ١٩٢٩ بوسام من حكومة بلاده، تعظيماً لكتابه على معادن المجر ، وقد حظي باعجاب العلماء الاختصاصيين .

الاب يعقوب مركت (Marquette) (+ ١٦٧٥) الفرنسي قد اكتشف في الولايات المتحدة ، نهر ميسيسيبي (Mississipi) الذي طوله ٤٦٢٠ كيلومترًا .

الاب پائث (Paëz) كان اول الباحثين عن منبع النيل .

الاب مرتيني (Martini) (+ ١٦٦١) ورفقاؤه قد رسموا ادق مخطَّط في جيلهم

لبلاد الصين ، وقد صرح الاختصاصيون بانه من اجلّ المآثر في علم الجغرافية.

الاب فرنسيس لانا (Lana) († ١٦٨٧) الايطالي قد اخترع اول منطاد .

اليسوعيون قد اكتشفوا فائدة الكينا لعلاج الحمى ، ومن ثمّ قد سُميت ، في اول عهد استعمالها ، مسحوق اليسوعيين . وقد وسعوا نطاق علم النبات باكتشافهم عددًا كبيرًا من النباتات .

الاب اثناسيوس كِرشر (Kircher) († ١٦٨٠) قداخترع المرآة المُحرقة والفانوس السحري والأرغن الرياضي .

الاب دشڤرنس (Decheverens) معاصرنا الفرنسي اخترع آلة ترسم بتغيير موضع اجزائها ، آلافًا من ابدع الرسوم ، التي يعيا امهر الرسامين عن تصور اكثرها.

امَّا ادباؤنا المشاهير فانهم يفوقون علماءنا بعددهم ، وقد اضافوا الى كنوز الآداب اللاتينية واليونانية وعشرات من اشهر اللغات الحية جواهر نثرهم وفرائد شعرهم . لا يسعني ان احدثكم عنهم مليًا، فاجتزئ بذكر بعض الراحلين الذين خلدوا اسماءهم المجيدة في تاريخ لغة الضاد وآدابها ، واكثرهم من معاصرينا .

الاب لويس شيخو († ١٩٢٧) اسس مجلة المشرق سنة ١٨٩٨ ، وحرر معظم مقالاتها ، واصدر منها مدة ربع قرن خمسة وعشرين مجلدًا ، يحتوي كلٌ منها نحو الف صفحة كبيرة . له فضلًا عن ذلك ، عشرات المؤلفات النفيسة ، ومن اشهرها « مجاني الادب في حدائق العرب » في ستة اجزاء ، طُبع بعضها ثلاثين طبعة ، وقد اضاف اليها ثلاثة كتب حاوية الشرح اللازم لقطعها ومعلومات كثيرة على مؤلفيها . من اجلّ مصنفاته ايضًا «علم الادب في الانشاء والعروض والخطابة » ، « فقه اللغة » ، « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » « شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده » ، « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » . هو الذي انشأ القسم الشرقي من مكتبة كليتنا في بيروت ، وقد زار اكبر مكاتب اوربة ، وعانى مشاق اسفار بعيدة حتى الهند ، ليقتني او ينسخ انفس الكتب والمخطوطات. قد منحته حكومة لبنان وساماً قالت في وثيقة اهدائه : « قد خدم الاب شيخو لبنان خصوصاً وبلاد المشرق عموماً، بما نشره من التآليف عن تاريخها وآثارها وعلومها، حتى بلغت مطبوعاته مئة وعشرين مجلدًا ،فاستحق شكر لبنان » .

الاب لويس معلوف (✝ ١٩٤٦) ادار جريدتنا البيروتية البشير ثلاثين سنة. قد ذاعت شهرته في العالم العربي وبين المستشرقين بتأليفه «المنجد»، وهو القاموس العربي المصور، المحتوي على صغر حجمه، زبدة مواد اشهر المعاجم. صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٠٨، ثم اضاف اليه المؤلف نحو ٣٥٠ طفحة في الطبعة الخامسة، وقد بلغ عدد النسخ المطبوعة منه حتى الآن مئة وخمسة وعشرين الفاً.

الاب انطون صالحاني (✝ ١٩٤١) قد نشر بمساعدة المستشرق الشهير اغسطس هفنر (Hafner)، كتاب «اضداد الضام» بين دفتيه مخطوطات نفيسة لاربعة من ائمة اللغويين العرب، ولم يكن احد قد عُني قبلة بطبعها. قد خدم المدارس اجلّ خدمة بطبعه «روايات الاغاني» في جزئين، اقتبس موادهما من كتاب الاغاني الذائع الصيت، لابي الفرج ألاصبهاني، وقد ظهرت طبعتها الثالثة سنة ١٩٣٦. امّا اشهر كتبه فهو ديوان الاخطل، شاعر بني أُمية المسيحي، وقد نشره سنة ١٨٩١.

الاب خليل إده (✝ ١٩٤٢) كان اخا اميل ده رئيس الجمهورية اللبنانية. قد الّف عدة روايات تمثيلية، ومن اشهرها السموأل. له ايضاً كتاب «القواعد الجلية في علم العربية» في ثلاثة اجزاء، وهو ممتاز بشدة الوضوح وحسن التنسيق.

الاب دونا ڤرنيه (Donat Vernier) (✝ ١٩١٧) الفرنسي قد ألّف بالفرنسية كتابين ضخمين، يحتويان نحو الفي صفحة، على قواعد العربية، فضمّن ذلك المؤلّف، الذي هو نسيج وحده بين امثاله، ادق ما ذكره، حتى من شوارد لغتنا الكثيرة، اشهر النُحاة القدماء، واخلافهم، ورتّب مئات مواد الصرف والنحو والعروض ترتيباً رائعاً، فلم يترك زيادة لمستزيد. وقد صنّف ايضاً عدة كتب عربية بلغة ائمة ادبائنا الاقدمين، مما يعجز عنه اعلى كُتابنا المعاصرين كعباً.

الاب حنا بلو Belot (✝ ١٩٠٤) الفرنسي قد بذل قصاراه عشرات الاعوام، لتأليف اجود القواميس للغتين الفرنسية والعربية معاً. قاموسه العربي الفرنسي الكبير قد طُبع ست عشرة طبعة، اما الصغير فخمس عشرة طبعة، بلغ مجموع نُسخها مئة الف. قاموسه الفرنسي العربي الكبير قد صدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٥٢، اما الصغير فقد أُعيد طبعه ثلاثاً وعشرين مرة. وقد انتشرت كل هذه المعاجم بين ابناء الضاد وآلاف المستشرقين في جميع انحاء العالم.

فضلًا عن كبار علمائنا وادبائنا الذين يُحصون بالآلاف ، قد نبغ كثير منا في الفنون الجميلة ، ومن جملتهم بين المعاصرين الاخ بسكو (Besqueut) النحات الفرنسي الشهير ، ومواطنه الاب يوسف گيرمان (Guillermin) صاحب المؤلفات الموسيقية الفاتنة .

اراد ابونا القديس اغناطيوس ان نحشُد كنوز القداسة والعلم لكي نُغني بها الناس . والحال ان خير واسطة لارساخ الفضيلة في النفوس ، بحيث تقوى على مقاومة وساوس الشيطان وعواصف الشهوات ، هي تهذيب الانسان منذ طفولته ، على اساس الدين الوطيد . من ثمَّ وجب على اليسوعيين ، بُعيد نشأتهم ، فتح مدارس عديدة في انحاء العالم . طريقتنا في تهذيب التلاميذ ليست مدعومة على المراقبة الشديدة وانواع القصاص العنيف، بل على تعريف الواجبات، وحث الارادة على تتميمها اكراماً لله تعالى ، مع التدريج في اطلاق حرية معتدلة للطلاب ، بنسبة نمو قواهم الروحية والجسدية . امَّا اسلوب تعليمنا ، فهو يرمي الى تثقيف كل قوى النفس ، اعني العقل والارادة والشعور والمخيلة والذاكرة ، في آن واحد ، وفقًا لسن التلاميذ ومقدرتهم . فلا بد ان يكون اساسه تدريس اللغات ولا سيما الآداب التي تتعاون على صوغ جواهرها جميعُ قوى النفس . بخلاف ذلك ، توسّع العلوم ، كالرياضيات والفيزيا والكيميا وغيرها ، نطاق العقل ، وليس لها تأثير يُذكر في الارادة والشعور والمخيلة ، فمن الصواب ان نعدّ تدريسها تتمة ضرورية للتثقيف الكامل ، لا اساساً له .

قد اتضح ، بعد اختبار اربعمئة سنة ، ان طريقة تهذيبنا التلاميذ وتعليمهم هي المثلى ، وقد شهد على ذلك آلاف الشهود الثقات غير الكاثوليك .

قال الاستاذ كورنر (Körner) البروتستاني في كتابه على تاريخ فن التثقيف ، ان طريقته العلمية قد نشأت مع مدارسنا الاولى .

حين زار حُسين كمال ، سلطان مصر ، مدرستنا الثانوية في القاهرة سنة ١٩١٦ ، قال لرئيسها : « هذه زيارتي الاولى لمدرستكم ، لكني اعرفها بواسطة الرجال الذين الجبتهم ، وانا مُعجب بطريقة تعليمها الحاوية التهذيب الخُلقي والتثقيف العقلي .

خلفه الملك فؤاد الاول ، قصد ترقية التهذيب في مدارس الحكومة التي

انشأها، فقرأ نظام مدرستنا السابق ذكرها، وقال لشخص من بطانته تخرّج فيها: «أوضح لي كيف استطاع الاساتذة اليسوعيون ان يدركوا، في التهذيب والتعليم، ذلك المثل الاعلى الذي عجزت، مع بذل كل جهدي، عن ادراكه في مدارسنا».

هاكم الآن بعض التفاصيل العامة والخاصة على مدارسنا:

سنة ١٩٤٠ كان ٣٥٠٠ يسوعي مشغولين، في غير بلاد الرسالات، بتدريس نحو ١٤٠٬٠٠٠ تلميذ، في خمس عشرة كلية و٤٢١ مدرسة ثانوية. في اوائل سنة ١٩٤٨ كان عدد تلاميذنا، في كل اصقاع العالم، نحو ثمانمئة واربعين الفاً.

مدرستنا الثانوية في بغداد، التي انشأها سنة ١٩٣٢ فريق من يسوعيي الولايات المتحدة، ليس فيها صفوف للتعليم الابتدائي. مع ذلك قد ضمت هذه السنة سبعمئة تلميذ ونيفاً، ونحو ٣٥ في المئة منهم اولاد اعيان مسلمين. قد بلغ ذلك المعهد من النجاح الكامل في التهذيب والتعليم مبلغاً جعل حكومة العراق تهدي لرهبانه، في طرف العاصمة، ارضاً مساحتها خمسمئة الف متر مربع، بشرط ان يؤسسوا عليها جامعة تؤازر جامعة الدولة في نشر العلوم العالية. من جهة اخرى جادت عليهم حكومة الولايات المتحدة بمئة وعشرة آلاف دولار، لتحقيق ذلك المشروع الخطير.

الجمعية الكاثوليكية للمدارس المصرية، التي انشأها سنة ١٩٤٠ الاب هنري عيروط المصري، تُدير في جميع انحاء مصر مئة وخمساً وعشرين مدرسة ابتدائية مجانية، وقد انفقت الجمعية على هذه المعاهد ١٨٬٠٠٠ ليرة مصرية ونيفاً سنة ١٩٥٤، لا تكتفي بتعليم نحو احد عشر الف ولد فقير وتهذيبهم، بل توزع عليهم الثياب اللازمة، وتعنى بصحتهم وبعلاج امراضهم.

تكملة لعملنا التهذيبي والتعليمي في المدارس الابتدائية والثانوية، قد انشأنا في اصقاع المعمور جامعات عديدة، ليخرج منها رجال الغد بمؤونة وافرة من الفضيلة الراسخة والعلم الواسع، تمكنهم من القيام بأجلّ الخدم للدين والوطن. دونكم جدول بعض تلك المعاهد التي اسسناها:

حول سنة ١٩٥٠ كان لجامعتنا في لوڤان (Louvain) من مدن بلجيكة ٧٬٥٠٠ طالب بلجيكي والف اجنبي و٦٠٠ طالبة.

لنا في الولايات المتحدة ست جامعات تضم ٤٤٠٠٠ تلميذاً ونيفاً . عدد اساتذتها يفوق اربعة آلاف ، ومنهم نحو ٥٤٠ يسوعياً .

في مكسيكو عاصمة المكسيك انشأنا جامعة سنة ١٩٥٣ .

في البرازيل لنا جامعتان في ريو ده جانيرو ورسيفه (Recife) .

في بوكوتة عاصمة كولمبية لنا جامعة تضم الفي طالب ونيفاً ، ولهم ثلاثمئة معلم.

في الهند كان لنا سنة ١٩٥٠ ، ثلاث وعشرون من المدارس العليا ، وفيها عامئذ ٢٩٥٠٠ تلميذ .

كان لنا في الصين ، قبل نشأة الحكومة الشيوعية ، جامعتان احداهما في شان هاي والاخرى في تيان تسين (Tien Tsin) ، وفي كل منها زهاء ١٢٠٠ تلميذ.

لجامعتنا في توكيو نحو ١٦٠٠ طالب ، منهم زهاء ٥٠٠ كاثوليكي ، واكثر البقية وثنيون .

لجامعتنا في بيروت الفروع التالية : اللاهوت ، الفلسفة ، الحقوق ، العلوم السياسية ، الهندسة ، الطب العام ، طب الاسنان ، فن التوليد ، فن التمريض ، العلوم الشرقية. تضم ١٥٨٠ طالباً و١٦٩ استاذاً.

لم نكتف بتدريس اللغات والآداب والعلوم ، بل انشأنا في انحاء العالم مدارس اخرى عديدة ، غايتها الخاصة تأمين كسب المعاش بالشغل اليدوي. من اهمها مدارس الصناعات الصغرى ، التي عددها في اسبانية ثلاثون ، وهي تضم نحو ٦٥٠٠ تلميذ ، وكذلك مدرسة الطيران التي فتحها سنة ١٩٢٧ الاب پركس Parks في الولايات المتحدة ، وقد ثقفت في اربعة الاعوام السابقة سنة ١٩٤٩ اربعة وعشرين الف طيّار .

من جهة اخرى قد اسسنا عدة رهبانيات نسائية لتهذيب البنات ، فاشربناها روحنا ودرّبناها على اساليبنا . نخص بالذكر منها رهبانية قلبي يسوع ومريم الاقدسين ، التي وضع اساسها في لبنان الابوان إستاڤ (Estève) الفرنسي وريكادونّا (Riccadonna) الايطالي سنة ١٨٥٣ . هي اول رهبانية معلمات في بلاد الارز ، واكبر الرهبانيات النسائية في الشرق العربي ، فان عدد اعضائها يناهز خمسئة في ايامنا . كانت غاية تأسيسها تهذيب البنات الفقيرات مجاناً ، فانتشرت بسرعة غريبة في انحاء لبنان وسورية ، حيث فتحت في قرن واحد اربعاً وستين مدرسة ،

كانت تضم سنة ١٩٥٢ نحو ١٠٢٧٠٠ من التلاميذ الصغار والتلميذات، ومنهم زهاء ٦٢٣٥٠ مجانيون . فضلاً عن التعليم تقوم اولئك الراهبات بخدمة عدة مستشفيات وغيرها من المشروعات الاجتماعية والخيرية .

اكثر المهاجرين يغادرون اوطانهم واقاربهم طمعاً بالاصفر الرنّان، فلا تُخمد همتهم مشاق الاسفار الطويلة برًّا وبحرًا، واخطارها العديدة، ولا مرارة الغربة، ولا درس لغات جديدة، والتخلق بأخلاق شعوب اجنبية، ولو متوحشة . بيد ان المرسلين الكاثوليك يقبلون طوعاً كل تلك التضحيات، ليوزعوا بسخاء حاتمي كنوز فضـ... ...ل منهم واموالهم على افقر الاقوام بالخيرات الدينية والعقلية والمادية. فلا بدع بكون مؤسـ... ...ا الغ اقصى درجات الكمال في حب البشر، قد بعث عددًا كبيرًا من ابنائه، بصفة مرسلين، الى ابعد اقطار العالم، مع فرط طول الاسفار وشدة اخطارها في القرن السادس عشر . قُبيل موته كانت رهبانيتنا مؤلفة من ثمانية اقاليم فقط، ومع ذلك كان ثلاثة منها في البرازيل والهند واليابان . مازال عدد اليسوعيين يزيد في اربعة العصور الاخيرة، فتكاثر المرسلون منهم بنسبة هذه الزيادة .

سنة ١٩٥٤ كان لنا ٥٢٥٦٣ مرسل، وهو اكبر عدد في الرهبانيات الرجالية. اولئك الرهبان يخدمون ٥٦ رسالة، منها تسع وعشرون في آسية، سبع عشرة في اميركة، تسع في افريقية، وواحدة في اوقيانية .

في رأس سنة ١٩٢٧ كان لنا، في بلاد الرسالات ٣٢٧٢٩ مدرسة ابتدائية، فيها ١٨٠٢٠٠٠ تلميذ ونيّف، و٨١ مدرسة صناعية، فيها ٣٢٧٠٠ تلميذ ونيّف، و٣٣٥ مدرسة ثانوية تضم ٥٣٢٠٠٠ طالباً ونيفاً، وعشر كليات تثقف ٤٢٤٠٠ طالباً ونيفاً . كل ذلك برضٌ من عِد، فقد نُشرت مئات الكتب على حياة المرسلين اليسوعيين واعمالهم، على كل حال يليق هنا ذكر شيء يسير من مآثرهم.

في رسالة باراكواي (Paraguay) في اميركة الجنوبية، قد بلغ مرسلونا في القرن السابع عشر من النجاح الفائق في تمدين اهاليها المتوحشين، وتنظيم جميع شؤونهم، ما قضى منه العجب اقطاب السياسيين ونوابغ العلوم الاجتماعية .

سنة ١٩٥٤ أُقيم الاحتفال بالمئوية الرابعة لتأسيس مدينة سان باولو في البرازيل. فنصبت الحكومة في افسح ميادين هـذه البلدة تمثالاً جبارًا للاب يوسف ده

انكياتا (de Anchieta) (✝ ١٥٩٧) ناشر التمدن في تلك البلاد. على احد جوانب قاعدة التمثال نحت يمثله مصالحاً للقبائل المتعادية .

سنة ١٩٥٥ اقيمت في مدينة امباتو (Ambato) ، في جمهورية إكوادور، حفلات باهرة ، تصدرها رئيس الجمهورية ، تذكاراً لمرور مئتي عام على تأسيس الاب موجيري (Maugeri) الايطالي، في تلك البلدة، المطبعة الاولى من مطابع ذلك القُطر .

بعد ما بقيت قبائل اوريكون (Oregon) المتوحشة ، الساكنة في الولايات المتحدة ، خمسة عشر عاماً تحت رعاية المرسلين اليسوعيين ، زارها موظفو الحكومة سنة ١٨٥٤، فعظَّموا في تقاريرهم الرسمية تقدمها غير المنتظر في الفضيلة والاجتهاد ، وترقيها المدهش في الزراعة .

الاب يوسف كاتلدو (Cataldo) كان في مقدمة الساعين لصالح الهنود المتوحشين مع البيض ، في غرب الولايات المتحدة ، وهو مَن مؤسسي مدينة سپوكين (Spokane) وقد انشأ فيها جامعة .

في اثناء الحرب الناشبة بين الصين واليابان سنة ١٩٣٧ رأى الآب ده بزنج (de Bésange) الجيشين المتحاربين يهدمان المدن ، والجنود اليابانيين يقتلون الشيوخ والنساء والاطفال ، فحصل بعد جهود جبارة، على وعد الجيشين بعدم الحاق ادنى ضرر بمنطقة واقعة في جنوب مدينة شان هاي، فتكون مأوى اميناً لغير المحاربين من اهل الصين . وقد بلغ عدد اللاجئين اليها ثلاثمئة الف، ومن العجب العجاب ان اليسوعي المذكور قد استطاع ، بمؤازرة المحسنين ، ايواء اولئك التعساء وتغذيتهم .

الاب قسطنطين ليڤنس (✝ ١٨٩٣) البلجيكي كان في الهند مواظباً على المدافعة الجريئة عن حقوق الفقراء ، حتى في المحاكم .

في عدة اقطار من افريقية واميركة كانت لمرسلينا حصة خطيرة في محاربة النخاسة .

من احدث رسالاتنا رسالة ديامنتينو (Diamantino) في البرازيل، التي يسكنها بضعة آلاف من الهنود المتوحشين. قد انشأناها سنة ١٩٣٠ ، وفتحنا فيها اربع مدارس ابتدائية ، حديقة اطفال، ثلاث مدارس لتعليم الاشغال البيتية ، مدرسة زراعة ، مستشفى ، ثلاثة مستوصفات وملجأين للفقراء المسنين . منذ تأسيس

تلك الرسالة، قد خطا اهاليها خطوة كبيرة في سبيل التمدن، وكثرت غلات اراضيهم البالغة مساحتها نحو ثلاثة الف كيلو متر مربع.

لا يُعنى اليسوعيون في بلادهم وفي الرسالات بتقديس النفوس وتثقيف العقول فقط، بل يتذرعون ايضاً بكل الوسائط، لتحسين احوال المجتمع المادية، على الاخص في خدمة العُمال والمرضى وذوي العاهات؛ فلا مندوحة عن ايراد بعض الامثلة الجديدة على مساعيهم في هذا الميدان، علاوةً على ما سبق ذكره.

مؤسسة العمل الشعبي – واسمها الفرنسي (Action Populaire) – قد انشأها في فرنسة الاب هنري لروا (Leroy) سنة ١٩٠٣، وهي من اعظم مؤسسات العالم الباذلة اقصى الجهد لتحسين احوال الناس الاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما احوال الشعب العامل. لا تزال تجمع الوثائق والمطبوعات المختصة بغايتها، وتنظّم المحاضرات والمؤتمرات، وتنشر الكتب والمجلات، لاصابة هدفها السامي.

الاب فليكس ڤولپت (Volpette) († ١٩٢٢) الفرنسي قضى شطراً كبيراً من حياته الرهبانية في تحسين احوال العمال المادية والادبية، على الاخص بتسهيله لهم اقتناء بيوت صغيرة، كلٌّ منها محاط بحديقة، في ضواحي المُدن. بعد موته جمع آلاف منهم المال اللازم لنصب تمثال يخلّد اجلالهم وشكرهم له.

مطبعتنا في بيروت قد سبقت سائر مطابع لبنان في دفع اجر عال لعُمالها، وفي زيادته على حسب طول خدمتهم لها وتكاثر اولادهم، وهي تقدم لهم في امراضهم علاج الاطباء بثمن زهيد.

قد عُني رهباننا بالمرضى، على اختلاف اديانهم، عناية خاصة، فبلغت اقصى حدود التضحية حين انتشار الاوبئة. حسبنا برهاناً على ذلك ان ١١٩٠ منهم قد ماتوا ضحايا خدمتهم للمرضى من سنة ١٥٥٦ الى ١٦٥٧، وان عدداً كبيراً منهم قد نالوا من عدة حكومات اعلى الاوسمة، مكافأةً على بطولتهم في خدمة آلاف الجرحى، إبان الحربين العالميتين الاخيرتين.

حول سنة ١٩٣٣ انتشر وباء الكوليرة انتشاراً هائلاً في الصين، فمات الابوان الارلنديان سول (Saul) وماك كالو (Mac Calough) بذلك المرض وهما يخدمان المصابين به.

يقوم اليسوعيون بخدمة آلاف من البرص في جزيرة كليون (Culion)، من

الجزائر الفيلبية ، وقد خصتها حكومة الولايات المتحدة بسكناهم . سنة ١٩٣٣ سافر من نيويورك الى تلك الجزيرة ثلاثة عشر يسوعياً ، لوقف بقية حياتهم على خدمة اولئك الاشقيا. ، البالغ عددهم نحو ستة آلاف سنة ١٩٤٢ .

الاب حنا بيزيم (Beyzym) († ١٩١٢) البولوني قد انشأ مستشفى للبرص في مدغسكر وخدمهم فيه ، فاصابته العدوى ومات ضحية بطولته .

كان لنا في بلاد الرسالات ، في رأس سنة ١٩٢٧ ، ٢٧ مستشفى ، عولج فيها ١٥،٠٠٠ مريض ونيف ، و٣١٢ مستوصف وزع فيها اكثر من ١٠١١٢،٠٠٠ دواء ، و١١٧ ميتم فيها ١١،٠٦٠ يتيم .

سنة ١٩٣٩ زادت تلك الاعداد زيادة كبيرة فصارت المستشفيات والمآوي سبعين، فضلاً عن ١٥ مستشفى للبرص، واصبحت المستوصفات ٣٤٩، والمياتم ١٥٥ .

قد بلغتُ الآن منتهى مقالاتي ، التي حاولت اذهـال القراء عن طولها ، بجعلها على شبه فيلم سينمائي ، متنوع الالوان والمشاهد ، يصور لهم على جناح السرعة مراحل ترقي نفس اغناطيوس ده لويلا ، من قصر مهواة الرذيلة الى اوج القداسة ، ونجاحه العجيب ، الدائم طول حياته واربعمئة سنة بعد مماته ، في تجنيد آلاف مؤلفة من صفوة رجال كل أقطار العالم ، تحت راية رهبانيته ، ليدركوا في القداسة والعلم شأواً بعيداً ، ويبذلوا ذواتهم الى النسمة الاخيرة ، بشجاعة الابطال وثباتهم ، لخدمة الله تعالى والبشر اولاده واخوتهم ، في أوطانهم وفي بلاد الرسالات ، بالوعظ والتهذيب والتعليم ، وبغيرها من انواع الوسائط المؤدية الى تحسين حال المجتمع الروحية والعقلية والمادية .

اغناطيوس الخاطئ قد تاب الى الله توبة نصوحاً ، فحوّله مولاه الغفور الى قديس عظيم ووالد ربوات من الرهبان القديسين ، وجعلهم بين يديه القديرتين ، اللتين اوجدتا الكون من العدم ، ادوات افاض بها على ملايين البشر وابلاً من نعمه ، نرجو دوام إغداقه الى آخر الاجيال . ولا بدع بذلك ، فان الكيماوي الفرنسي هنري مواسان (Moissan) († ١٩٠٧) قد استطاع ان يحول قطعة فحم دقيقة سوداء الى الماسة ساطعة ؛ وشتّان ما بين قدرة الخالق وعجز خليقته !

فصول من كتاب « المرشد »

ليحيى بن جرير التكريتي

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

توطئة

في بطون المخطوطات القديمة قوت لا ينفد . فمن طالعها بامعان ولم تنفر منه العجلة قد يقع على درر فاخرة يحبها لقرّاء اليوم فيجدونها كأنها بنت البارحة كأنما خطتها يد عالم عصري ؛ اذ فيها من اللون والكمال ما يقرّ بشأنها وقيمتها . فهناك مخطوط فريد « كتاب المصباح المرشد الى الفلاح » الّفه يحيى بن جرير التكريتي السرياني اليعقوبي († ١٠٧٩) ضمّنه اربعة وخمسين فصلًا يتعرّض فيها لعقائد الايمان المسيحي ويعرضها على النمط المونوفيزيتي . وقد اوقفتنا فيه مقالة في « القربان » هي من اجود ما كُتب في هذا الصدد.
(Cf. Cheikho : *Catalogue raisonné*,.. n. 568).

ترجم المستشرق جورج گراف المخطوط بكامله في المجلة اللاهوتية لجامعة انسبروك النمسوية (ZKT 1926), ونشر درساً طافحاً لثلاث سنوات خلت في مجلة الـ Oriens Christianus (Band 37-1953, pp. 89-100) عن القربان في مؤلفات التكريتي . وقد رأينا ان ننشر هذا النص طلباً لفائدة القراء .

الباب الحادي والخمسون

يتضمن في اسم القربان وحاله واقسامه

قال ان هو اسم سرياني دخيل في اللغة العربية ومعناه الهدية وسمّي قرباناً لانه مشتق من الدنو والقرب فكانهم ستروا من يهدي لله هدية من خالص ماله قرباناً ايضاً وقد يسمى القربان ايضاً ذبيحة وصعيدة وضحية على المذاهب الاولى في ذباحة بني اسرائيل الحيوانات للشياطين ولغير الله والضحايا ما قربت وذبحت لله في زمان بني اسرائيل . وفي السنة العتيقة كان يسمّى ما قرّب من الحيوان ذبيحة ومن النبات قرباناً ويسمّى صعيدة لاصعادها على المذبح . وسمي المذبح مذبحاً لكون الحيوانات كانت تذبح عليه وهذه الاسماء نقلت الى قرابين النصارى ولئن كانت قرابينهم من خبز وشراب استعارةً ومجازاً . واخي ابو سعد الفضل ابن جرير رضي الله تعالى عنه اورد لقربان المسيح حدّاً دالّاً على

معناه . فقال ان القربان هو جسد المسيح ودمه اعتق به الجنس الادمي من رق الخطية التي اخطاها آدم وهو دوا الحيوة الابدية وبتهذيبه النفوس واتحادها بخالقها تعالى ولهذا سمّاه السريانيون قرباناً لانه يقرب لله تعالى ويبعد من الشيطان. وجميع النصارى يسمّون القربان سراً لان السيد لما قرّب نفسه كشف للتلاميذ سر شريعته به . ومنهم من سمّاه اشتراكاً كون انهم باخذه يشتركون بعضهم ببعض ويشاركون السيد لكونهم اعضا. والسيد هو الرأس لتلك الاجزا كقول الرسول وقال ايضاً الذي قرّب نفسه عوض جنسنا على الصليب ❊

ويعقوب السليح يقول في قداسه . ان هذه ذبيحة طاهرة بغير دم ❊

وسيدنا قال انا الخبز السماوي الذي نزلت من السما . ويسمّى ايضاً جسد المسيح ودمه المهرق العهد الجديد.وقد تقدم ذكر ذلك واما القربان منه جسماني ومنه نفساني روحاني . فالجسماني ينقسم على نوعين نباتي وحيواني . فالنباتي ينقسم على ثلاثة انواع الخبز والشراب والزيت . والحيواني ينقسم على نوعين حيوان الماشي كالغنم والبقر والجدا وحيوان الطائر كفراخ الحمام وفراخ الشفنين. والعصافير . فاما الملح فهو داخل في الاجسام المعدنية وهذه قرابين كانت تعمل على مذهب السنة العتيقة ❊

فلما نسخت في السنة الحديثة فصار القربان متخذاً من الخبز والشراب . والخبز منه فطيراً ومنه خميراً . فالخمير منه ما يضاف اليه الزيت ومنه ما لا يضاف اليه ذلك . وهذه تسمّى قرابين نفسانية روحانية . والقربان يقسم ايضاً على نوعين قربان طاهر مقبول وقربان نجس مرذول . فالطاهر المقبول منه ناسخ ومنه منسوخ . فالمنسوخ هو القرابين التي ذكرت في التوراة والناسخ هو القربان المسيحي المذكور في الانجيل . فاما القرابين النجسة المرذولة هي التي اهلت لغير الله وهي قرابين الاصنام الذي كانوا يقدمونها الكفرة . وفي قرابين الطاهرة المقبولة يدخل البخور والمصابيح . والادعية . والصلوات . والتوبة والدموع . والسجود . وعمارة الهياكل اي بيوت الله . والصدقة على المساكين والضعفا . وبالجملة فان العبادة بالقرابين تنقسم الى ثلث انواع الاعمال والاملاك والذوات . فاما قرابين الاعمال ذكرها داودُ النبي حيث قال . قرّب لله الشكر واوفي للعلي نذورك اي خلّص نيتك فاصلح طريتك مع الله واعبده حق عبادته ولكن

طريقتك واعمالك جيدة مرضية امام الربّ ولا تعتقد ان ذباحتك الحيوانات واهراق دماها يمحو عنك الذنوب او يكسبك اعمال صالحة. واما قرابين الاملاك فهي الذكاة والصدقة والبخورات الطيّبة والقرابين المسيحية من الخبز والشراب والهاب المصابيح وهذه جميعها اذا كانت مع اعمال صالحة تقبل ،اذا والّا فلا تقبل. فاما قربان الذاتي فهو الذي عمله المسيح حيث قرّب نفسه عن خطايا الجنس الادمي. وابتاعنا من الهلاك وانقذنا من يد الشيطان ومحي عنا الضمان الاولي وثلم السياج الذي كان مانعاً لنا من عودنا الى مستقرّ عزنا الاولي . فاما نحن فنقرّب نفوسنا له بامتناعنا من اللذات وغمت شهواتنا لتنير عقولنا بقبول سنته الذي له المجد من الآن والي كل اوان والي دهر الداهرين آمين .

الباب الثاني والخمسون

يتضمّن في ذكر اوّل من قرّب القربان

قال باجماع النصاري واليهود ان آدم الاب الاول كان نبيًا وكاهناً وملكاً وهو اول من قرّب القربان وان كان ذلك ليس بمذكور في التوراة . وهو الذي علّم ولديه ان يقرّبا القرابين. امّا نبوته فدليلها اخباره بالطوفان ومجيء المسيح وامّا كهنوته فلقوله جبلتني ووضعت عليّ يدك وامّا ملكه فانه دبر العالم في مدة حيوته وهابيل قرّب لله قرباناً من سمان غنمه وقـايين قرّب لله قرباناً من كناسة بيادره. فتقبل الله قربان هابيل كون انه كان عن نيّة صادقة ولذلك قيل في التوراة ان الله سرّ بقربان هابيل اي انه قبله ولم يقبل قربان قايين كون انه كان من غير نيّة صادقة ولا طويّة صالحة لانه لما رأى اخاه قـد قرّب قرباناً تشبّه به وشبّه ان يكون آدم ورأياه فقربا او امرهما بان يقرّبا فقرّبا. وعلامة قبول القربان في ذلك الزمان نزول النار واكلها اياه . فلمّا لم يقبل قربان قايين فحسد اخاه وقتله. ونوح لما خلص من الغرق قرّب قرباناً لله من جميع الحيوانات الطاهرة التي كانت معه من الماشي والطاير وبنى مذبحاً وذبح واصعد عليه الصعايد ❊

وقال في التوراة ان الله استنشق روايح القتارات المرتفعة من تلك الذبائح واستلذ بها اى قبلها لانها كانت عن نية صادقة جميلة وهو عالي عن هذه الصفات تعالي عن ذلك علوًا كبيرًا وانما هذا كان قياساً تعبيرًا لفهمنا . واولاد نوح

تعلموا ذلك علي مــا يقولوا المفسرين لا زالوا يقرّبون القرابين الي ان انتهي الامر لبروز ملتيصاداق وهو ملك البرّ وهذا كان كمرًا وريساً وملكاً . هذا الذي التقاء ابراهيم بالعشور وقبلها منه وبارك عليه وسلّم اليه الكهنوت وبنـا البيت المقدس وبنا فيـه مذبحاً وقرَّب لله الخبز والخمر لا من ذبايح الحيوانات وذلك كان رمزًا علي ما نفعله نحن. فان هذا ملتيصاداق كان مثالاً للسيد المسيح كقول بولص الرسول بان ملتيصاداق لم يعرف له اب ونسبته لم تذكر في نسبة الاباء والامم. وهو الـذي قال فيه داود النبي لما تنبّى على المسيح بانك انت الاكبر الاعظم علي مثال ملتيصاداق الي الابـد . فاما ابراهيم قرّب الحيوانات وامره الله ان يقرّب ولده المرموق ليمتحنه ويسبر نيته . فلما رآه مطيعاً كفّ يده عن ذباحة اسحق وخلق له كبشاً جعله قرباناً عنه وهو مثال تقريب سيّدنا نفسه وظهر موسى وقرّب القرابين من الحيوان الماشي والطاير ورشّ الدم وقتر الشحوم وجميع هذه الاخبار مدوّنة في كتاب الله المقدس وذلـك كان بحسب كدارة عقول بني اسرائيل وانما احرقت قرابينهم بالنـار النازلة من السماء واذ اعدمت السمائية تحرق بالارضية ليعلمهم ان يعلموا ان هذه الذبايح ستنقض وتبيد وتحترق وتذهب . وبني اسرائيـل كانوا في حال تاديب موسى لهم يعدلون عن اوامره التي هي اوامر الله ويذبحون الذبايح للاصنام والشياطين حتى ان بعض ملوكهم وغير الملوك كانوا يقربون اولادهم للاصنام وهم الذين قال فيهم داود النبي انهم ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين واهرقوا دماهم الطاهر الزكي. فان قيل ان نفتاح قرّب ابنته والله قبل قربانه كان الجواب ان الله قال انني رأيته قد فعل ذلك عن نية صادقة وطوية صالحة واخبر ان القربان لي لا للأصنام فقبلته وقيل انه لم يُمدح ولم يُذم. لم يُمدح كون انه قرّب ابنته ولم يُذم كونه وفا نذره . ولو انه خرج في الباب اولاً بعض الحيوانات النجسة لقد كان قربه غير انه لم يقرّب ابنتـه لغير الله ولم تزل القرابين في بني اسرائيل لله وللاصنام حتى هلكوا وبادوا وقد قلنا ان احراق قرابينهم رمزًا علي بطلانها وان جميع ما جرى لهم انما كان رمزًا علي ما اظهره المسيح لانه هو الاشارة الخفية الي الامر المرموز وانما تستعمل الرموز عند عدم فهم المعاني الغامضة لكدر العقول واذا صنعت تنبهت بفهم تلك الرموز . من ذلك ان الشاة الذي قرّبه موسي النبي مع بني اسرائيل بمصر قبل

خروجهم منها فكان رمزًا علي المسيح وكان الشاة سليماً من العيوب ولم يكسر فيه عظماً كذلك المسيح هو نقي من كل عيب ودنس ولما قرّب نفسه وصُلب لم يُكسر فيه عظماً . واسحق والكبش ايضاً رمزًا على المسيح كما تقدمنا فقلنا وكما ان الاحراق يبطل طبيعة المحرق كذلك الكامل يبطل طبيعة الناقص. فبنوا اسرائيل احرقوا الذبايح وابطلوها كذلك سنة سيدنا ستة كملت سنتهم وابطلتها وكانوا اذا ما اذنبوا يقربوا الحيوانات التي لا ذنب لها ويصيّروها فدية وكفارة عنهم. وهكذا اجري الامر في المسيح ❊ مثلما ان بني اسرائيل كانوا يذبحون من لا ذنب له ويسلّمونه الموت ليسلم المذنب منهم من الموت هكذا المسيح بحيث انه ما كان مستحقاً للموت قبل علي ذاته الموت ليكون فداء عن من حتم عليه الموت وهو آدم وبنيه فهو تعالى باختياره جعل ذاته فدية اعظم من تلك قدرًا واسما جلالة. وكما كانوا يختاروا الاسرايليين حمل لا عيب فيه للقربان كذلك المسيح كان لا عيب فيه ولما كانت تلك تذبح بغير ذنب كذلك المسيح قرّب ذاته بغير ذنب تطرق عليه وكما ان مضحيها كان يتقرّب بها الي الله كذلك الذي يقرّب جسد المسيح ودمه يتقرب به الي الله تعالي وقد رمزوا الانبيا علي بطلان تلك القرابين من ذلك قول اشعيا النبي اسمعوا قول الله يا جميع سكان عاموره هكذا يقول الرب قد سامت نفسي كثرة ذبايحكم وماات صمايد الذكور وشحوم المعاليف ودم البقر والحملان والجدا. لست براض بها فاذا قصدتموني لتشاهدون وجهي لا تعودوا تقربوا لي قرباناً فارغاً فارغ القتارات فاني قد رفضت ذلك وقد بغضت نفسي اوائل شهوركم واعيادكم صارت عندي غير مقبولة واذا ما بسطتم ايديكم الي احيد نظري عنكم وان اكثرتم الدعاء لا اقبله ولا استمعه لان ايديكم مملوة دماً وقال من ذبح لي تورًا كمن ذبح لي رجلًا ومن ذبح لي حملًا كمن قتل كلباً ومن قرّب سميدًا كمن قرّب خنزيرًا ومن قرب لي لباناً كمن عظّم الاصنام ❊

وقال داود النبي لست اكل لحم العجاجيل ولا اشرب دم التيوس بل اذبحوا لله ذبايح المجد وقال ايضاً ذبيحة الله هي الروح المتواضعة فالله جل شانه نسخ تلك الذبايح عنهم لا نسخاً ساذجاً لكن نسخاً بسخط وعقوبة ومع بلايا عظيمة تنزل عليهم ولله المجد الي ابد الابدين امين .

﴿ الباب الثالث والخمسون ﴾
يتضمن في ذكر قرابين البيعة

قال ان النصارى قد اختلفوا في اتخاذ القربان من الدقيق والخمر والزيت والماء والملح مع اتفاقهم على اتخاذه من الحنطة والخمر وهذه صفة اختلافهم. اما الافرنج والارمن فانهم يقربون الفطير ويحتجون بان السيد المسيح قرّب فطيرًا واما ساير فرق النصاري يقرّبون خميرًا اعني خبزًا مختمرًا ويحتجون بانه اكمل والملكية لا يلقون فيه ملحاً واليعاقبة مع النسطورية يلقون فيه زيتاً وملحاً ويجعلونه مختمرًا وهذه حجج كل فريق منهم . اما من قال ان المسيح قرّب الفطير وذلك ليؤنس اليهود فيما يفعلونه وهذه حجة واهية لان السيد اخذ خبزًا وبارك وهشم واعطا تلاميذه واسم الخبز ولئن كان يطلق ايضاً على الفطير الّا انه اذا قصد به الفطير لا يسمّى خبزًا مطلقاً بل يقال عنه خبزًا فطيرًا او من المحال ان يكون قصده التكميل فيكمل كل ناقص ويترك الخبز النطير بحاله لا ينسخه بما هو اكمل منه وهو الخبز المختمر فامّا الاحتجاج بانه لم يوجد في بيت المقدس في ذلك الوقت الخمير فهذه حجة واهية لان الملكية كانت للروم ومذهبهم مذهب الصابة واكليهم الخبز المختمر لا الفطير فالتلاميذ اعدّوا له خبز الفطير اولًا ثم المختمر . ثانياً والاصل في اختلاف فرق النصارى في الفروع ان الداعي لكل امة منهم والمتلمذ لها سلّم اليها من الفروع بحسب ما اوجبه الحال الحاضر. فالمغاربة يلقون الزيت على الميت كما تسلّموا من ديونوسيوس والمشارقة اعني النساطرة لا يفعلون ذلك لان برصوما ومن قبله بابويه لم يسلّمهم ذلك بزعمهم والارمن سلم اليهم غريغوريوس الكبير بان يتمسّكوا عن اكل اللحم والادهان جميعًا في الصوم وان يفطروا وياكلوا فيه بالنهار خبزًا فقط بزعمهم والاقباط يزعمون انه اذن لهم اكل اللبن والبيض في الصوم .والروم يزعمون ان سمعان امرهم باكل السمك في الصوم واليعاقبة مع النساطرة يكرهون ذلك والارمن يزعمون انه سلم اليهم صاحبهم ان يقربوا الفطير واظنّ انهم صدّقوا لانهم كانوا اكثرهم يهودًا فترك عليهم اكثر سنن التوراة وظاهر من قول السليح بولص ومن قول رفقته السليحيين ان من تشبّه باليهود وفي شيء من الاشيا فهو

مبعد. ومن قال بالمختمر ان المسيح قال هذا هو جسدي كلوه وجسد المسيح هو على غاية الكمال وعلى كل حال ان المختمر هو اكمل من الفطير .

وقال انا هو الخبز النازل من السما ولم يقل انا هو الخبز الفطير .

واما القا الزيت في الخبز الذي يتخذ منه القربان كون ان الزيت هو مفضّل وممدوح في السنة العتيقة والحديثة من ذلك ان هـذا مثال خبز الزيت الاثني عشر رغيفاً التي كانت تجعل اربعة صفوف ثلثة ثلاثة مربّعة علي مثال الصليب هذه كانت تعجن بزيت عصير .

و في التوراة ان القربان تجعله بالزيت الفـايق والخمر المروّق والبخور باللبان النقي - كانت الكهنة والانبيا تمسح به والنصارى تعمّد بـه والبشاره بالسلامة من غرق فان صورت بورق الزيتون وهو في القربان مثال النفس والجسد ❊

وسيّدنا المسيح به اظهر المد في الرجل النازل من اورشليم ايريحا حيث انه طرح علي جراحاته الخمر والزيت .

وفي التوراة يقول ان الخبز يلتّ ب من لا يطرح الزيت فيزعم ان هذا الانجيل لم ينطق به . واما طرح الملح في القربان فهو مثبت من الانجيل كقوله تعالي ان كل ذبيحة بالملح تصلح ولان به تزال تفاهة الاغذية ولهذا قال للتلاميذ انتم ملح الارض ❊

واليشع النبي حين اشتكوا عليه الناس ملوحة مأهم امرهم ان يلقوا فيـه الملح فحين طرحوا فيه الملح عذب ومن لم يُطرَح فيه الملح يزعم علي ان القربان مبني علي التثليث فعملوه من ماء ودقيق وخمير ومن عمله من دقيق وماء وزيت وملح جعل ذلك علي مثال الاستقصات الاربع الذي منها تركب البدن ولله المجد امين .

الباب الرابع والخمسون

يتضمن في اتخاذ القربان

قال ان القربان يجب ان تحمل مواده من احل الاملاك واسلمها من انواع الحرام وتكون من اطيب وجوه مكاسب الانسان واحلّها والدقيق يكون جيدًا

متخذًا من حنطة سليمة من العيوب عارية من مخالطة غيرها من الحبوب والزيت يجب ان يكون صافياً نقياً عارياً من العكر والملح يجب ان يكون في غاية عذوبة الامر ولا وسخ والما يجب ان يكون نقياً من كل عيب وان يكون الخمر صافياً لذيذ الطعم والرايحة بري من العكر والاوساخ لا يمسّه شيئاً من الحموضة والخمير يكون نظيفاً طاهرًا والنساطرة تزعم ان عندهم خمير محتفظ به من عهد الحاواريين وفيهم من يعتقد ان عندهم من فتات الخبز الذي قسمه السيد في العليّة وقال هذا جسدي وحسبهم بهذه الدعوي واعتقادهم صحّتها ولو ان هذا صحيحاً لكان الروم اولي بحفظ الخمير فاما من فتـات الجسد السيدي فلست احتاج الي ان اقيم الحجج علي بطلان هذه الدعوة لشهرة محالها . فاذا ابتدا الكاهن والشماس في عجنه فيجب ان يزمّرون بزامير داوود النبي وتكون ملابسهم نظيفة وقيل اذا عجنوه وهم صايمين اولي. فاذا اختمر بالتام يخبز في تنور مفرد لخبزه غير متبدل والوقيد يكون من حطب ذو ثمرة عذبة وفيما بعد ذلك يختـار من البرشان اجوده واسلمه من الاحتراق والاعوجاج ويتسلّمه الكاهن ويرفعه علي المذبح ويقدّسه فان بعض العلما. يقول ان البرشانة قبل صعودها علي المذبح هي بمنزلة السيدة مريم واما اذا صُعدَت علي المذبح صارت مسيحاً . فاما شرايط الكاهن فقد تقدم ذكرها في باب الكهنوت .

وديونيسيوس يقول ان الدكة الذي في صدر المذبح هي بمنزلة شجرة الحياة التي كانت في الفردوس لان المذبح عنده علي مثال الفردوس . والهيكل علي مثال هذا العالم وقد ذكرت ذلك وغيره فنقول ان الدكة بمنزلة الموضع الذي صُلِب فيه المخلّص وقيل ان اول من ابتنا مذبحاً عالياً عن الارض كان نوح واول من دهن المذبح بالزيت يعقوب بن اسحق وسمّي المذبح في ذلك الموضع بيت ايل اي بيت الله واول من بنـا المذابح علي هذا الشكل المتداول بيننا الان يعقوب السليح اخو المسيح ومن النصارى من لا يجيز تقديس القربان خارج عن المذبح ومنهم من اجاز ذلك ويصعد الصعيدة علي الانجيل وهذا يفعل في الاسفار الضرورية لاجـل العساكر التي في الحروب ولا يجوز ان يقرّب قرباناً بغير الانجيل والصليب وصورة المسيح وقد كان في العرب نصاري كبني تلغب وقوم من اليمن وغيرهم ومعهم استقفاً يطوف معهم في الُحلل في سفرهم وينتقل

المذبح اعني الدقة المقدسة من موضع الى موضع الي سنة ثلثماية للعرب وصل الي تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها وكان منهم رجلاً ديّناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية وكان يقدس لهم باللفظ العربي وكان يقدس لهم علي الانجيل وكثير من الرمام الي الآن يسافرون ومعهم مذابح مقدّسة يقدّسون عليها وفيهم من الترك وهم النواكب يسافرون في خركاهات والمذبح معهم . ويجوز ان يحمل القربان الي الذين هم في الحبوس والمرضي والزمنا فاما ما يتلوه الكاهن وهو القداس فانه عند الروم واليعاقبة والنوبة والحبشة علي نسخة واحدة ليس فيه شيء من التغير اصلاً غير ان كل منهم يذكر علي المذبح ائمته . فاما قداس النساطرة فلا يوافق لغيرهم من اهل الفرق وفصول القداس عند الروم واليعاقبة خمسة ❊

الاول منها صلوات وادعية وابتهال الي الله تعال ان يودنا ويؤهلنا ان نقرّب له قرباناً مقبولاً وينير عقولنا ويهذّب نفوسنا لنستحق ان نتناوله علي الشروط التي ذكرها الرسل . وثانيها وثالثها ان يتضمنان ادعية واستغفاراً وتضرع الي الله تعالى بان يقبل قرباننا ويغفر ذلّاتنا ويذكر الاموات والاحيا الحاضرين والغايبين ويغفر لهم ❊ رابعها يتضمّن الشكر لله تعالي والثنا. عليه حيث اهّلنا اليه اي لهذا السر الشريف والامر العالي الجسيم وجعلنا مستحقين له ❊ خامساً ذكر اتحادنا بجسد المسيح والشكر لله الذي اهّلنا لهذه الموهبة وبالجملة فان قداس اليعاقبة وباقي الفرق ما عدا النساطرة يتضمن ذكر حال المسيح والامه وكشف السر السليحين وذكر صلبه وقيامته وصعوده الي السما. وفي جلال ذلك ذكر الشكر والثنا. والتضرع في ان يقبل قرباننا ويوهلنا لان نأخذه باستحقاق ويقولون ان هذا هو الذي تسلّموه من الآبا حتى انتهت الرواية ليعقوب الذي قدّس اولا لا زيادة عليه سوى ذكر الائمة الذين دبّروا البيعة من ذلك العهد الي وقت من الاوقات التي تقرب فيها القرابين. فاما النساطرة فان قداسهم يتضمّن سيرة المسيح من البشارة الى حين صعوده الى السما. وعمل على ذلك الترتيب جماعة من الابا. قداسات مثل توما السلّيح ومثل ديونوسيوس واقليموس واغناطيوس وقوريلوس واثناسيوس واسطاثيوس وباسيليوس ويوحنا فم الذهب وغريغوريوس وقد ذكرت فيما تقدم ان النساطرة يعتقدون ان المذبح ينحل قدسه

من اشيا عدّوها ليس عند اليعاقبة والروم صحّتها لان هؤلا. يقولون ان ما قدسه الله لا ينحلّ ولا يتنجّس والنساطرة يقولون ان الكاهن اذا غلط ينحلّ المذبح واذا دخل المذبح من ليس هو علي مذهبهم ينحلّ المذبح ايضاً واذا دخله المفطر واذا حمل الانسان معه شيا، من آلات القدس ودخل اليه وغير ذلك مما عددوه والعجب من ان الانجيل والصليب بهما يتمّ تقديس المذبح فهذه قد يقراها ويدنو منها الصايم والمفطر والقريب والنسيب فلا ينحلّ قدسها فكيف ينحلّ قدس المذبح وهو بها يتقدس فاما ما يجب ان يفعله المتقرب اما قبل ان يحضر الرازين يصلح نيته ويطهّر نفسه وينظّف جسمه ويتوب وينوي قبل حضوره نية حسنة جيّدة ويسمع القداس من اوله الي اخره وهو واقف لا يشغل سره بغير ذلك ويبتهل الي الله تعالي بالادعية والخشوع والاصلح ان يكون قبل ذلك قد حمل من احلّ املاكه الدقيق الصيد والخمر الصافي والزيت الفايق والبخور ومن المستقر عند جميع النصاري انّه لا يجوز اخذ القربان إلّا ان يكون الانسان صايماً. اما اولًا فلان الخطية الاولي انما كانت من جهة الاكل والشره فيجب ان تكون كفارتها بالصوم وترك الاكل. وثانياً فان هذا السر انما هو مكسب الحيوة الابدية وهذه الحيوة هي حيوة الدار الاخرة وفي تلك الدار لا يكون اكلًا وشرباً ويجب ان قبل تقدّمنا الي هذا السر العجيب الشريف ان نكون صايمين. وامّا شرب الما. بالليل فانه ان كان قبل نصف الليل جاز القربان وان كان بعد نصف الليل لم يجز تناوله لان في نصف الليل تكون قيامة الناس باجمع كما كانت قيامة المسيح في ذلك الوقت فاذا كانت الاطبا يأمرون ان تناول الادوية الجسمانية بعد الحمية وان لم يفعل المتعالج ذلك استقر فكم بالحري نحن ان نكون قبل تناول دوا الحيوة الابدية هذّبنا انفسنا وابداننا وهيّاناها لتناول هذا الدوا الشافي علي تقاه من النفس والجسم معاً وليس ينبغي للمتقرب ان ينظر الكاهن كانه انساناً سادجاً بل يجب عليه ان ينظره كانه شكل المسيح او خليفته النايب عنه *

قال ماري ديونوسيوس ان الكاهن في مقامه هو مثال المسيح كون انه يقول كقول السيد المسيح ان هذا هو جسدي وهذا هو دمي * واخرون قالوا ان الكاهن هو الوسيط ما بين المسيح والشعب كما ان المسيح هو الوسيط ما

بين الاب والامة * واخرون قالوا ان الكاهن في تقديسه القربان هو مثال المسيح واما جملة المعلمين المتوشحين اللاهوت قالوا ان القربان يتقدس باخذه لا بعطيه يريدوا بذلك ان نيته الذي ياخذه هي التي تحقق امره . مثال ذلك انا اخذت شمع مطبوع فهل غرضك ان تعرف طابع هذا الشمع ياقوت هو ام زجاج هو ام خزف هو لعمري ليس هذا غرضك بل نفس الغرض هو صورة طبع الشمس لا نفس الطابع للشمع فيا هذا انت خذ القربان من الكاهن بنية صادقة ولا تبحث عما لا يعنيك البحث عنه. اما سمعت قول امام الامم الالهي حيث قال في هذا الصدد ان ما ياكل من خبز الرب ويشرب من كاسه وليس هو باهل له فهو انما ياخذ دينونة لنفسه . يريد بذلك ان من ياخذه وهو قليل الامانة به وليس هو طاهر كما يجب فيدان لقوله ايضاً هو مذنب وغير مستحق لجسد سيدنا ودمه. فلذلك يجب علي من يتناوله ان يصلح نفسه اولاً ويكون صحيح الايمان ثانياً ومن ثم فلياكل من هذا الخبز ويشرب من هذا الكاس واذ كان الغرض في اخذه الفوز فاذا اخذه بغير امانة صادقة فياخذه كخبز سادج والكاس العاري من القدس فلا يكفيه هذا فقط بل ويصيبه اثماً وعقاباً بحيث تهاونه لهذا السر الشريف البديع ولهذا كره بعض الفرق كالارمن ان ياخذه الانسان دائماً وهم في ذلك ضد راي النساطرة لان الارمن كل منهم لا ياخذه الّا في الاوقات المتباعدة اكراماً له واستظهاراً من ان يتم عليه غلط او اثم يوجب عليه من هذا الجري سخطاً وعقوبة واظن ان من يتطاول بهذا الراي فلا يفعل فعل جيد ولا تقر بصحته العاقبة ولا الروم بل يقولون اذا كان الانسان فاحص ذمته ومنقي ضمير ومعترف بخطاياه وتايب توبة خالية من الشوايب الردية واصم نيته علي وفا قانونه والا يرجع بعد ذلك للخطية ومؤمن ايمان صادق ويقين ثابت فهذا متى ما شا. فليتناول القربان المقدس فيفعل فعلاً حسناً ولا يعتقد انه اذا اذنب ذنباً وقرّب قرباناً انه يمحو ذنبه بقربانه فهذا هو الغلط العظيم وقد يقال اما العلة في ان السيد اعطا جسده مفرداً ثم اتبعه بدمه. فالجواب ان السايل ذهل عن حقيقة السر في هذا من قبيل انه سبق الي وهمه ان الجسم يكون حياً طاهراً والدم آلته فاذا انفصل اللحم عن الدم لم يكن كل واحد منها حياً ولم يعلم ان السيد انما قصد بذلك لان يتحد اهل بشارته به اتحاداً

جوهريا لا يمكن اتصال شخص بشخص ليتم منها شخصاً واحداً وكل منها لازماً لطبيعته صار الاصلح في الاتصال ان تتصل بسايط احدهما بالآخر وذلك ان الجُمَل لا يمكن اتصالها بالجمل وهي على ما هي عليه من التركيب فلذلك صار اتصال البسايط بالجملة اوفق من اتصال الجملة بالجملة فلهذا اعطي سيدنا الجسد مفرداً ثم الدم مفرداً علي ان الجملة اذا اتصلت بالجملة صار الاتصال مخصوصاً بالجملة. فاما البسايط فانها اذا اتصلت ساغ ان يتعدى اتصال الشخص الواحد الي غيره من الاشخاص ومن المعلوم انه لم يكن القصد الاتصال بشخص واحد بل باشخاص الناس كلهم وهذا لا يتم الا بتوسط البسايط علي ان الارمن يخلطون الجسد بالكاس ويدفعونه للتناول وقد كان الحواريين كلما اجتمعوا اخذ المتقدم منهم الخبز الذي يحضر عندهم بارك عليه وصلّا وذكر قول المخلّص وتمّم وكذلك كانوا يفعلون بالكاس : ولمّا اتسعت الامانة المسيحية وانتشرت البشارة الجديدة في المعمورة استقر القربان علي هذا الوجه الذي هو شايع الآن في الامة المسيحية. وينبغي ان تعلم ان المحققين يعتقدون ان الكاهن بالصلوة والابتهال الذي يتلوه علي القربان يكسبه قوة روحانية بها يصير ذلك الخبز وذلك الخمر المزوج قرباناً مقبولاً وهو جسد سيدنا ودمه . وتلك القوة المكتسبة تصير بمنزلة النفس لذلك القربان اعني صورة مقدمة لذاته من حيث هو جسد المسيح ودمه بالحقيقة ولما تمّم عليهم قال لهم هذا هو جسدي وهذا هو دمي ولم يقل هذا مثال جسدي وهذا مثال دمي وحقيقة الحال انه صار جسده بالاتحاد وبالاتحاد دمه ✲ ويا هذا تامل قول السيد وقول التلاميذ وقول المفسرين حق التامّل ليصح الك ✲ ان جسده لا مثال له ولا شبيه له لكنه هو هو ✲ ولما كان الخالق تعالي خلق آدم جوداً منه لا اضطراراً ثم انعم عليه وجعله مسلطاً ومختاراً لا مقهوراً ولمّا ملك اختياره خالف الامر الالهي فاوجب عليه العدل الالهي ابعاده من مقرّ عزّه ✲ ثم بالتفضل الذي هو اعلي رتبة من العدل احبّ ان يردّه الي مستقرّ عزّه اذ ليس من شانه ان يكفّ عن من انعم عليه ولا يمنع من خير يصل اليه فلما كانت المخالفة الموجبة للابعاد منوطة بالاكل الجسماني صار الخلاص من عقوبتها بالاكل الروحاني ولان المخالفة كانت

من انسان جسماني ارضي صار التعطّف والانعام بالتفضّل والغفران لتلك الخطية بانسانٍ روحاني اي سمائي ❖

كقول الرسول ان الانسان الاول ترابي من الارض والانسان الثاني ربٌ من السماء فالجسد الذي اعطاه السيد للتلاميذ وان كان جسمانياً فانه صار بالبركة والمنحة روحانياً فصارا شيئاً واحداً متحداً وهو القايل ان جسدي ماكلاً حقاً ودمي مشرباً حق ولم يقل شبه جسدي ولا شبه دمي .

وقال من اكل جسدي وشرب دمي فهو يحيا ولم يقل من اكل شبه جسدي وشرب شبه دمي فالقربان بالاتحاد هو جسد المسيح ولهذا قال انا هو الخبز النازل من السمآ ومن اكله يحيي حيوة دايمة

وقال يوحنا هذا هو حمل الله .

وايضاً بولس الرسول يقول من اكل جسد المسيح وشرب دمه وهو لا يستحقه فهو مدان ولم يقل شبيهاً بذلك .

وقال كلنا معشر الجماعة البيعة اعضاء لجسد المسيح والمسيح هو الرأس فنحن اذا وهو جسد واحد بالاتحاد الذي هو اتحاد بالنعمة التي وهبت لنا من المعمودية ومن الاشتراك في جسده ودمه وهذه معاني روحانية واسرار الهية لا يجب ان توخذ اخذاً جسمانياً فمن اراد فهمها اما ان يتقلدها بالامانة واما ان يعلي نفسه من الجسمانيات ويرفعها الي درجة الروحانيات ويبعد عن سنة موسي ويدنوا من الامر المسيحي اليس الرسول بولس لما نهي عن الزني قال اتجعلون اعضا المسيح اعضا الزانية يعني ان الاعضاء التي اتحدت بالجسد الشريف بوساطة اخذه تصير ممازجة لاعضا الزانية فمن فهم حقيقة الاتحاد علم ان الروحانيات تتحد وتصير شيئاً واحداً من غير تفاسد ولا استحالة ومن لا يفهم ذلك وقع في بحر الشكوك وهذا هو احد الاسباب المانعة للناطرة من القول باتحاد الجوهرين والقنومين لانه لما اخذه اخذاً جسمانياً قرع من التفاسد ولو اخذه اخذاً روحانياً لكان سلم من الشك والارتياب. وانا اقول انه فهم هذا وعرفه حق المعرفة كما عرفه من قبله تيودوروس ولكن طلب الرياسة منع من الاذعان به فتولد من ذلك ما مالت العقول الكدرة اليه وهذه فهي مع الجسمانيات. فاما تبييت القربان ان فرق النصارى جميعهم يروا ان يبيت القربان ما عدا فرقة نسطور وانما فعلوا

ذلك اما للمخالفة واما خوفا من فسادٍ يطري عليه حتى انه متى فضل للكاهن منه بفضلة اما ان يحرسها بنفسه لا يفارقها الي ان يحضر من يتناولها واما ان يستوعب اكلها وشربها معاً واذا كان ينظرها وهي ثابتة علي المذبح سقط الاحتجاج ان الخوف من بيتها فسادها. ومن رأي بمبيت القربان احتجّ بان جسد السيد بات في القبر او لان الناس قد يحتاجون الي ان يتناول منه في حال المرض وغيره وفي الاسفار والعوارض التي تطري علي الناس وان يسافر به الي الجيوش والي المواضع التي يعدم فيها التقديس وقد احتج من لا يري ان يبيّت القربان من حيث ان خروف الفصح في السنة العتيقة مامور بان لا يبيّت منه شي. وان المنّ والسلوي والنار النازلين من السما. لم يبيتا ما بات منها في غير ليلة السبت نتن . فاما القربان في الصوم فانه اعظم الاسباب في تبيته كان لاجل الصوم لان الاجماع كان ان لا يقرب القربان الّا في يوم الاحد بزعمهم ان الصوم هو كآبة وحزناً ولا يجوز التقديس فيه . وقالوا ان يوم الاحد هو يوم فرح بقيامة السيد المسيح ففيه ينبغي ان يكون التقديس فكان اكثر الناس لا يحضرون في ايام الاسبوع في البيعة لانهم قد علموا انهم لا يتقربون فاجمع الاباء ان يبيت القربان لياخذوه المؤمنون في ايام الاسبوع جميعها فامـا اخذ البركة وهي البرشان الماخوذ من المذبح بعد التقرب وهو البرشان مبارك غير مقدس فقيل انه شبه بالاكل الذى اكله سيدنا مع التلاميذ بعد قيامته . وقوم قالوا انه شبيه بجسد سيدتنا الكلية الطوبي مريم العذراء لان منه يكون القربان الذي هو جسد السيد المسيح . وقوم قالوا انه غدا الاجسام الروحانية كما ان القربان هو غدا العقول المنيرة الالهية فاما من اخذ القربان بملعقة فهذا علي المثال الذي راه اشعيا النبي من تناوله القربان بالكلبتين النارية واما من اخذه بيده فهذا علي مثال ما اخذوه السليحين من يد المسيح بايديهم واما من اخذه بفمه فلاجل اكرامه وجلالة قدره .

ولان اشعيا النبي رأى ان الجمر الذي هو رمز علي هذا القربان كان يوضع في افواه اوليك الذين كانوا ياخذوه فاما القربان في يوم السبت ممنع منه في قانون اقليميس القايل مبعد من صام في سنة واحدة سبتين وهذا اذا قدس الروم او اليعاقبة يوم السبت لا يفعلون ذلك في اخر النهار لكنهم يفعلونه نهاراً. فاما

ما يفعل بعد القربان فانه يوخذ من البركة التي هي البرشان اولا المقسوم من المذبح الذي قد بورك ولم يقدس الذي قلنا انه بمنزلة جسد السيدة مريم العذراء. ثم يشرب بعده جرعة من الماء لان بالماء ينحل اثاره من الفم ثم يتناول الغدا وقد منع جماعة من الاباء الصوم بعد تناول القربان ومنعوا من السكر بعده ومنعوا من القي بعده ومنعوا من الجماع بعده ومنعوا من دخول الحمام ومنعوا من قص الاضافير بعده . ومنعوا من الغوص في المياه بعده وجماعة من العلماء لم يتقربوا في يوم جمعة الالام واجمعوا ان لا يقرب في يوم واحد على مذبح واحد مرتين بل يجوز ان يقرب الكاهن الواحد في يوم واحد مرة واحدة بعد ان لا يفعل. فهذا ما امكنني ايراده وانا اسأل الله تعالى ان ينفع به قاريه فان وافق اصابة فهي من غيري وان صادف خطاء وزللا فهو من عجزي وتقصيري عن فهم هذا الامر العظيم شانه الشريف محله امين .

تعريف عن الكتب

دبن

شرح طقوس الاسرار

بقلم الخوري ميخائيل ضومط

منشورات الرابطة الكهنوتية، بيروت ١٩٥٦، ٩٤ صفحة قطع صغير

يشتمل هذا الكتاب في حجمه على ثروة ثرة من التعليم والحقائق وانه ليفرحنا ان نقرأ مثل هذه الكتب التاريخية التي رأينا المؤلف يحشد في عدد قليل من الصفحات مجموعة كاملة من التعاليم بصدد اسرار خلاصنا.

ولقد اراد المؤلف ان يمزج في مصنفه المظهر اللاهوتي الصرف مع المظهر الرعائي بيد ان كتابه هو بالواقع مجموعة محاضرات القاها ومقالات نشرها في سبيل مصلحة كهنة الرعايا.

ونحن في افتقار الى مؤلفات على شاكلة هذا الكتاب يبدي فيها واضعوها الشيء الكثير من التفكير والبحث والشيء الكثير من التعليم والاختبار.

وربما كانت فائدتنا اعم لو وقعنا في هذه الصفحات على المزيد من تاريخ الاسرار غير ان غاية المؤلف قد تكون هي التي املت عليه النهج الذي نهجه.

ا. ع. خ

سبحة وردية لتكريم القديس يوسف

بقلم الاب يوسف ابي نادر الانطوني

مطبعة الرهبانية اللبنانية، بيروت، ١٦ صفحة قطع وسط

لقد اسدى الاب يوسف ابي نادر بجمعه في هذا الكراس الصغير جملة صلوات تقوية لتكريم شفيع الكنيسة خدمة جلى للمتعبدين للقديس يوسف.

وفي هذه الصلاة المخصصة للقديس يوسف حذا المؤلف حذو السلام الملائكي فاطلق على شفيع الكنيسة اسم المبارك بين الرجال ولم يقل عنه انه ممتلئ نعمة.

ولا شيء في هذه الصلاة يدعو الى الاستنكار فاب يسوع المسيح بالتربية هو مبارك بين الرجال وان لم يكن بريئاً من الخطيئة الاصلية لان الله اختاره اباً لابنه ولان الكنيسة الجامعة اصطفته شفيعاً لها .

واننا لنرى النفس في افتقار الى كتب تقوية فليقدم ارباب الاقلام على الكتابة والترجمة وليكتب المفكرون لان لغتنا فقيرة بهذا الضرب من المصنفات والتآليف . ا.ع.خ

M. DE FENOYL et E. DE MONGOLFIER s.j. — *Coutumes religieuses coptes* — Institut Copte, le Caire, 1953, 51 pp.

الخاصتان اللتان تتميّزان هذا الكتيب هما خبرة المؤلفين في بيئة صعبة يسعنا القول عنها انها ما برحت صعبة المنال اولاً وثانياً عطفها الرسولي على هذه البيئة ؛ فيها قد درسا في فصول ثلاثة الطقوس الدينية ذاتها والعبادات وما يقوم وراء الطقسيات واخيراً العادات ، فقد لفتنا النظر الى الامور الجوهرية وحدّدا قيمتها واوضحا ما طرأ عليها من شؤون او ما يشوّه ثروة الامور الجوهرية الزهيدة المبيّنة واصرّا على العودة الى الاصل .

ان الكنيسة القبطية الارثوذكسية المفتقرة الى التطور شرط ان تبقى على صلة بمصادرها وهي بحاجة الى افكار دينية تفكر بهذا التطور من دون ان تمسّ الجوهر بتغيير قد يكون مضرّاً بها ؛ فقد جاء المؤلفان في هذا المقام من جهتها بنقاط انطلاق وبفكرة ولكن من الواجب متابعتها . ا.ع.خ

E. L. MASCALL — *Corpus Christi, Essays on the Church and the Eucharist.* In 12, XII-188 pp. — Longmans, Green and Co., London, New York, Toronto, 1953.

ينتمي المؤلف الى هذه الفئة من كنيسة انكلترة التي تتخذ لنفسها لقب الكاثوليكية بدون ان تكون متحدة بكنيسة رومه وهي تناقض البروتستنتية القائمة كما تناقض مصلحي القرن السادس عشر ؛ وقد درس هذا المؤلف بايمان حارّ وبفكر راسخ اليقين بالامور الفائقة للطبيعة كالاسرار المقدسة مختلف اشكال سر الافخارستيا ولاسيما ميزة ذبيحة القداس الالهي .

ولقد كان له من وضعه ما ارغمه احياناً على ان يتخذ من (Prayer Book) او من الذرائع الانكليكانية الاخرى تفسيراً هو بالطبع قليل الاستخدام في

كنيسة انكلترة ليستخدمه في بث كاثوليكيته ومع هذا فقد جعل وضعه مستقلًا استقلالًا كافيًا وحذرًا بعض الحذر حيال عمل مجمع ترنت ومقررات الكنيسة الرومانية الرسمية ، اما هذا الكتاب الذي اتحفنا به ففيه عدد كبير من الصفحات ومفيد جدّ الفائدة حتى للروماني الكاثوليكي وهو يلقي في الذهن امورًا كثيرة ويسدي خدمة جلّى لعلم اللاهوت العالي المُعنى بدراسة ذبيحة القداس الالهي القائم فيها اروع تقدّم للفكرة المسيحية في عصرنا الحاضر ، ويقترح المؤلف بتعبير موفّق حقًا ويعني لا شبهة فيه البتّة على ما يبدو ، وتبعاً للاب دلاتيل (de la Taille) ودون فونيه (Dom Vonier) والكاهن مازور (Masure) الذين اعتمدهم علماً للاهوت منعتقاً الانعتاق كله من قيود الماضي الثقيلة لدراسة الذبيحة الالهية فكان اعتقاده المتكود انه من الواجب ان نجد في كل قداس ضربًا من تقدمة جديدة على الجلجلة وتقدمة على الصليب .

ومن حيث وجهة النظر العقائدية لا بدّ من الاعتصام بالتحفظات لانه بعد ان يغمر القديس توما بالاجلال في دراسته له اكثر مما يجلّه عالم لاهوتي روماني يظهر اسفه : كيف استطاع هذا العلّامة ان يعلّم شكل الذبيحة في السرّ العظيم محاولًا بحسب مفهومه الخاص به التوفيق بينه وبين عقيدة تحوّل الخبز والخمر الى جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه .

ويبدو ان هذه النظرة الواسعة في باب التقدمة الالهية قد جعلها شاملة لتتعدّى نطاقها وتتناول القضية الشائكة المعقّدة لرجل انكلو - كاثوليكي الا وهي وحدة الكنيسة التي حاول في فصله الاول ايجاد جواب عليها اراده جوابًا متصفًا بطابع الاسرار ، وهو في رأيه قضية اسقفية خلافة المجمع الرسولي لا البابوية كما في الكنيسة الرومانية التي لا تستطيع وفق وجهة نظره ان تكون متصفة بطابع الاسرار . افليس في ذلك ايجاد للتناقض بين مقام الاسقفية واولية احد الاساقفة بين اخوانه في الاسقفية اقل ما يقال فيه انه تناقض اعتباطي ؟ ان الكنيسة لمتصفة بطابع الاسرار بسبب الميزة لصاحبها فاذًا بممارسته السلطات التي لا تستطيع الّا ان تكون من اختصاص شخص له مطلق سر الكهنوت ، فهل كانت السلطة البابوية بحاجة الى اكثر من هذا لتكون باسم المسيح مبدأ التماسك والوحدة الممتاز بين المسيحيين ؟

وهل تنتزع من الاساقفة الكاثوليك المنتشرين في العالم اجمع شرف كونهم خلفاء الرسل وهم قد اتحدوا هذا الاتحاد بالباباوات وشرح كونهم شهودًا وعوامل فعالة في وحدة الكنيسة ام تريد هذا الامر تعزيزًا ؟

وانها لحسرة التي تعرب عنها وقد مضّنا الم اعظم من تأملنا لهذه الاقوال الا وهي ان نصادف وان نشعر بالعقبة والحاجز اللذين يفرقان المسيحيين وهم مع ذلك يتوّاقون الى الوحدة المرئية والتي يستشعرونها وقصارانا اننا لن نقوى الّا على الاعجاب بهذا الكتاب فهو حسن بجملته. بولس موترد اليسوعي

Un maître de la vie spirituelle. Dom Columba Marmion, Abbé de Maredsous (1858-1923) par Dom Raymond Thibaut. Éditions de Maredsous 1953. Édition entièrement revue. 472 pages.

لقد غدا تعليم دون مارميون (Dom Marmion) الروحي يحتل مكانة مرموقة جدًا في ادب القرن العشرين الديني لكي لا ندهش من تخصيص دون ريمون تيبو (D. R. Thibaut) معلمه بكتاب كبير الحجم وحافل جدًا بالمستندات والاستشهادات يقع باربع مئة واثنتين وسبعين صفحة، وقد علّق عليه الكثير من الهوامش وذيله بثبتٍ تحليليّ للافكار الرئيسية التي وسّعها في ثلاثة اجزاء غدت في عدد المصنفات « الكلاسيكية » : « المسيح المثل الاعلى الراهب، المسيح في اسراره، المسيح حياة النفس » وجميعها من الكتب التي قدر قيمتها جدّ التقدير بندكتوس الخامس عشر في ساعة صدورها، ولقد اهتم بطبع كتب دون مارميون ويوضع سيرة حياته هذا الكاهن نفسه (راجع ص ٣٥٣ : ملحوظة بصدد صحة كتابات دون مارميون).

ويؤخذ من المقدمة ان كثيرًا من الاستشهادات قد حذفت من هذه الطبعة التي اعيد النظر فيها برمتها تفاديًا عن تكرارها، ويبدو لي ان الكاتب كان يسعه ان يختصر ايضًا بعض الفصول كالفصل الثاني وعنوانه « المرشد الروحي » اما المقتطفات من رسائل الادارة فقد كررت بعض التكرير كما في الصفحة ٢٢٦ وما يليها مثلًا مما يقال معه ان الكتاب قد اعدّ لمن لا يهمهم اطالة الوقت وتسوقهم الاستزادة من التعمق في الحياة الباطنية ومن تعليم دون مارميون اكثر من حوادث حياته نفسها وهي حياة على ذلك طويلة (٦٥ سنة) وحافلة بجليل الاعمال .

وفي سبيل بعث الرغبة في قلوب غير واحد لمطالعة هذا الكتاب القيم الذي نال جائزة المجمع العلمي الفرنسي هاكم بعض المعلومات التي تبيّن الاعمال الكثيرة التي قام بها خادم الرب، لقد ولد دون كولوميا مارميون سنة ١٨٥٨ في احضان اسرة ايرلاندية وانتمى بعد ان قضى خمس سنوات كاهناً علمانياً الى الابتداء في احد ديورة بلجيكة سنة ١٨٨٦ وكانت مدرسة الابتداء صارمة النظام وشاقة تحت رعاية مرشد شديد التقشف وكان يشعر انه يعيش في ارض غريباً عنها، وبعد ان نذر نذره الرهباني عرفت عدة مقامات دينيّة في بلجيكة وايرلانده مواهبه الرسولية الفذّة فعهد اليه على التوالي برئاسة دير مون سيزار (Mont César) بالقرب من لوفان وكان يعلّم اللاهوت النظري من (١٨٨٩ — ١٩٠٩) ومن ثم برئاسة دير ماردسو (Maredsous) حتى ادركته الوفاة (١٩٠٩—١٩٢٣) فكان صديق الكاردينال مرسيه الحميم ومستشاره الذي يصغي اليه كل الاصغاء، ومرشد دوم بي دهمبتين (Dom Pie de Hemptine) الذي مات برائحة القداسة، ومن جملة اعماله الرسولية الكبرى هدايته الشهيرة لرهبان كالداى (Caldey) الانكليكانيين (الصفحة ١٦٥—١٦٧) فعلى قدر ما كانه دون مارميون كاتباً معجزاً فقد كان رجل اعمال مبرورة ومدبّراً ممتازاً ورئيساً عطوفاً على مرؤوسيه عطف الاب على ابنائه .

ا. غونتيه

Orientalia Christiana Analecta 137 — *Philautie* — De la tendresse pour soi à la charité selon St Maxime le Confesseur, par le R.P. Irénée Hausherr, S.J., 1952, 179 pages. Rome—Piazza Santa Maria Maggiore, 7.

الأَثَرَة كلمة مفادها بحسب تعريفها حبّ الذات وبحسب اقوال عدد كبير من الذين سبقوا القديس مكسيم المعترف سواء أكانوا من الفلاسفة القدامى « افلاطون وارسطو وفيلون الخ » ام من آباء الكنيسة اليونانية « اكليمنضوس الاسكندري واوريجانوس وباسيليوس وغريغوريوس النازيانزي الخ » مفادها الطمع الوضيع او حبّ الخيرات المادية، وثمة النصّ الواحد المستمد من الكتاب المقدس بهذا الصدد يدعونا لنرى فيها اصل كلّ شر ادبي (2 Tim 3/2) : في الايام الاخيرة ستأتي ازمنة صعبة، لان البشر سيغدون محبّين لذواتهم ...

« كيف اصطنع القديس مكسيم المعترف منطلقاً من هذه البدهيات التشاؤمية

نظرية « الاثرة » الدقيقة ذات الطابع المتفردة به، ان هذا ما يطلعنا عليه الاستاذ المتاز في المعهد الشرقي برومة، فهو يبين لنا ان ثمة الى جانب الحب الذاتي المتاد سبب ما ندعوه اليوم بالميول الثلاثة حسب قول القديس مكسيم : حب ذات مشروع هو التحرر الداخلي، والمحبة الصحيحة او بعبارة ثانية هناك أثرة هي فضيلة، واثرة هي رذيلة .

ومن الناحية العملية يبين المؤلف جميع تعليم القديس مكسيم الروحي بشكل صحيح كل الصحة وبلغة لا تعوزها روح المرح .

اوجين غونتيه اليسوعي

Theologia Orientalis, par Nicolas Ladomerszky. Rome 1953, Université pontificale de Propaganda Fide, 437 pages.

انه لكتاب يسدي اجلّ الخدمات لطلاب المدارس الاكليريكية والكليات الكاثوليكية، ومن المعلوم ان « تدريس اللاهوت الشرقي » هو اجباري في هذه المعاهد والمدارس وان حلّ المحل الثاني ولقد جعلت قوانين المجمع المقدس للمدارس الاكليريكية فيما يتعلق بتعطيل المرسوم البابوي (Deus scientiarum Dominus) الصادر سنة ١٩٣١ « اللاهوت الشرقي » من جملة المواد الثانوية الضرورية والاجباري تعليمها لجميع الطلاب الشرقيين او ... الغربيين، ولا ريب في ان ثمة « كتابين » في هذا الباب للمؤلفين الاختصاصيين هما المرحوم الاب مارتان جوجي (Martin Jugie, A. A.) والاب ت. سباسيل اليسوعي (Th. Spacil, S. J.). بيد انهما مصنفان كبيران جداً لكي يقوى على استخدامهما طالب متوسط لا يستطيع الا ان يخصص بضع ساعات لهذه المادة، اما الكتاب الذي نشير اليه فقد رمّ هذه الثلمة، بما يشتمل عليه من خصائص كتاب تدريسي متقن : لان متونه قصيرة نسبياً على رغم كبر حجمه، اما لغته اللاتينية فسهلة، وفي نهاية كل فصل من فصوله مختصر له مع المراجع الجوهرية، وثبت باسماء المؤلفين وفهرست مفصل لموادّه .

ومما يبعث على الاسف ان تشير احصاءاته في الصفحة ٦٦ الى ارقام ضئيلة كل التضاؤل فيما يتعلق بالاقباط والموارنة والملكيين على حين ان الشرقيين اخذت هجرتهم بالازدياد الى اجزاء العالم وطفقت شعوبهم تزداد ازدياداً سريعاً

في لبنان وسورية ومصر فلهذين السببين مـا برحت المصنفات التي تعنى بامور الشرقيين لا تطابق الحقيقة تماماً . اوجين غونتيه اليسوعي

Guy de Bretagne, O.M.I. *Pastorale Catéchétique*. Desclée de Breuwer 1952, 394 pp.

روت مجلة « اونيون » منذ بضع سنين الحادث التالي : كان احد الكهنة يستغرب كيف يستطيع انسان تلقّى تربية دينية واقام طويلاً عليها في احدى المؤسسات الاكليريكية هجر الكنيسة الكاثوليكية وكان يقول لهذا المارق : « لقد تلقيت دروس التعليم المسيحي ولُقّنت دينك زمناً طويلاً ! » — « اجابه المارق بالله لا تحدثني عن التعليم المسيحي . انكم كنتم جميعكم تعلمونه تعليماً سيّئاً جداً ! » ان كتاب الاب دبريتاين (de Bretagne) يرمي الى تلافي هذا النقص وتفهيم صغار الاكليريكيين ان الضرورة توجب اعداد مدرّسي التعليم المسيحي اعداداً فنياً «ان هذه الكفاءة التدريسية ليست قضية هبة شخصية فقط بل هي قضية صدق» ، ولقد بيّن حضرة الاب مستشهداً باقوال البابا الحديثة عظم اهمية هـذه المهمة الكهنوتية ، فالمجامع والباباوات يقولون ان اول واجب من واجبات الكهنة هو التعليم المسيحي .

وهذا الكتاب جدير بلفت النظر اليه لسببين رئيسين : لانه واقف كل الوقوف على الجهود المبذولة في العالم لتدريس التعليم المسيحي ففي فرنسة مثلاً يتولى السيد كولومب (Colomb P. S. S.) امر اعطاء التوجيهات في صدده . والابوان (Boyer) ورتيف (Rétif) وفي بلجيكه الابوان دلكوف (Delcuve) ورانويز (Ranwez) اليسوعيان . وزد على ذلـك فان جميع الافكار المفسّرة هي صحيحة لا ريب في ذلـك : كتأهيب مقتبلي سر العماد تأهيباً سويّاً عن طريق التعليم القياسي الاستدلالي مثلاً وطريق الاهتمام باعداد الكتب المدرسية وايجاد المعاهد التعليمية لاعداد مدرّسي التعليم المسيحي الخ .

وقد يؤخذ على كتاب الاب اغراقـه في التفصيلات وافراطه في التقسيم والتبويب ، ومما لا ريب فيه ان المؤلف قد رمى قبل كل امر الى الوضوح بيد ان هذا الاغراق في التبويب والتقسيم قد يجدي الذين يودّون القاء نظرة عجلى على الكتاب لانهم يعثرون فوراً على ما يريدون ولكنه قد يتعب الذين يرغبون

في قراءة صفحات عدة بعضها على اثر بعض ، واننا فضلاً عن هذا لا يسعنا الا ان نبدي اسفنا على عدم وجود الوقائع فيه وعدم وجود امثلة على اجوبة الاولاد التي توضح التعليم الذي تعرض له . اوجين غوتيه اليسوعي

P. L. Menon et R. Lecotte : *Au village de France*, de la Chandeleur à la Saint Jean. — Ed. La joie de connaitre. Edit. Bourrelier, Paris 1954, 123 pp. — P. L. Menon et R. Lecotte : *Au village de France*, Des moissons à la Noël. — Collec. La joie de connaitre. Edit. Bourrelier, Paris 1954, 112 pp.

ان هذه الكتب الرامية الى تعميم مجموعة الادب المحلي (folklore) هي العمل الاول الفريد في بابه ، الذي يوضح كل ما يمكن ايضاحه من اصل العادات وتطورها على مجرى ايام السنة واطوار الحياة سواء أكان ذلك من حيث الاعياد او العمل في الداخل والخارج من اقليم الى اقليم .

وما اكثر الموضوعات التي جمعها المصنفان المعنيان عناية جدية بالوان الادب المحلي وقلّ من يعرفها ، ولا سبيل للريب في ان الذين تشوقهم معرفة الحياة منذ اصليا سيجدون اللذة كل اللذة في اكتشافهم لها . اما مطالعة هذا الكتاب فدعاة الى ايلاد الكثير من الملهيات لانه نقطة انطلاق ممتازة للباحثين .

اما الكلشيات فرائعة وبمقدورنا ان نتابع فيها النفس التي كانت اساساً لهذه المعلومات الثرّة . ا.ع.خ

اليك

ملخص التعليم المسيحي مقتطفاً من الكتب المقدسة

بيروت ١٩٥٥ ، ١٩٠ صفحة قطع صغير

لقد رغب المؤلف بان يدرس التعليم المسيحي في هذا الكتاب على ضوء الوحي بدون ان يحيد عنه وان يعرضه بشكل "جاف" ، فوفّق في حشد مجموعة من اقوال الكنيسة ومستنداتها التي تجعل قيمة لكتابه في هذا المقام ، فقد كان بمقدوره طبعاً ان يخرج كتابه اوثق صلة بالكتاب المقدس ملمعاً الى حوادث الكتاب المقدس ووقائعه التي تؤيد وتفسر بعض ما يثبته الايمان المسيحي.

واننا لنتمنى لهذا التعليم المسيحي رواجاً واسعاً . ا.ع.خ

ادب

طبقات النحويين واللغويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

١٩٥٤ قطع كبير – ٤٠٨ صفحات ، مطبعة السعادة بمصر

من الواجبات يقضي اخراج كتاب الى ارهاف ذوق الباحثين ويشحذ رغبتهم الى مطالعته او ان يكون المصنَّف جديرًا بان يطبع او ان يكون المخرج قد عرف ان يزينه بهوامش قيمة ثرّة .

ولقد كان هذا الضرب من المصنفات المعنى بدراسة حياة اهل النحو واللغة رائجًا في عصره وبخاصة في العصور التالية وهو في نظرنا ذات اهمية كبرى ، لان كثيرًا من مشاهير الرجال بات ذكرهم نسيًا منسيًا وكثيرًا غيرهم من الذين لم يبروزا في شي،٫قد ارخت بصدق واخلاص بعض الموسوعات سيرة حياتهم.

وقد درس المؤلف اولًا اهل النحو من البصريين ومن ثم انتقل للتصدّي الى اهل النحو الكوفيين فالمصريين فالافريقيين فالاندلسيين متبعاً بدقة مواعيد ميلادهم ووفاتهم وذكر اشهر مصنفاتهم ليصدر من وقت الى اخر حكمه على كل من المصنفين الذين كانوا موضوع دراسته .

وعني الناشر عناية لا بأس بهـا في اخراج هذا المصنف فاوضح في توطئة موجزة اهمية كتابه وما كان له من التاثير في العهود التي تلت وضعه وذيّله بفهارس عديدة تسهّل تقليب صفحاته .

ويشوقني ان اضيف الى ما قلته امرًا لا بدّ من ان يؤخذ بعين الاعتبار بصدد معظم المطبوعات المصرية : الا وهو اخراج الكتب اخراجاً لا يبرح مفتقرًا الى الاتقان مع ان للاخراج اهمية كبرى في نظر الكثيرين فيما يبعثه من رغبة لتقديرها . أ.ع.خ

ليل الشتاء وقصص اخرى

بقلم يوسف حبشي الاشقر

منشورات المكشوف ، بيروت ١٩٥٥ ، قطع صغير ١٤٣ صفحة

لماذا ينبغي لصاحب القصة والاقصوصة اليوم المناداة بالجبرية ؟ ولماذا ينبغي

له ان يزيد ويثبت تأييده لعدم ايمانه لاسرار الاوجاع والآلام ؟ انـه للسمت المتبع في العمل وانها لشارة الزمان الذي نحيا فيه ، فلقد روى المؤلف في اقصوصته الاولى احدى الحوادث التي كان من ضحاياها ولقد نوّه بجنه ليبارين ولكنه لما رأى نفسه على سريره في المستشفى اعلن عدم ايمانه واستقلاله عن كل تفكير وكل تعليم دينيين ، فلو شئنا ان نطلب من الكاتب الاتيان بالادلة التي تبرر موقفه فهل كان في مقدوره ان يفعل ؟ وبقية الاقاصيص التالية التي جاء بها الكاتب تنمّ عن الفكرة نفسها ، فهو ولا شك قد كان في افتقار بعد ان قام بهذه التجارب الى توسيع مواهبه والى اتحافنا باقاصيص اوسع تفصيلاً واشد وحدة واوفر غنى .

ا. ع. خ

على ضفاف السراب

بقلم ابراهيم مجاهد الجزائري

مقطوعات منثورة ، مطبعة الضاد حلب ١٩٥٥ ، قطع كبير ١٤٩ صفحة

لا شك في ان المؤلف اراد ان يكاشف غيره بحالة نفسية فحاول بالشكل الخارجي الذي اسبغه على مقطوعاته المنشورة في هذا الكتاب لفت انتباه قارئه وسعى ان يخلق بموضوعه في نفس هذا القارئ الشعور الذي يحس به هو ذاته ، فهل قُدّر له التوفيق ؟ ان القسم الاعظم من هذه المقطوعات التي نشرها وعالج فيها احياناً موضوعات بالغة الاسفاف لتذكر تارة حرب سنة ١٩١٤ ولتبتغي طوراً ان تكون صرخة ضد انتداب فرنسة في الشرق لا تدلل على نفس طويل ولا على مخيلة قوية .

وكنا نودّ ان لا يعمد المؤلف الى هذا التصنع في الاعراب عن شعوره الذي كنا نرومه احفل قليلاً بالافكار عما هو عليه ، واذا ما جئت على ذكر بعض هذه المقطوعات : كحلم البادية ، والمنارة ، وملال الفرات ، والناعورة فلكي القي في الذهن شيئاً عنها .

Peter Thomsen: *Die Palästina Literatur*. — Lieferunge 1,2—1954.— Akademie-Verlag-Berlin, pp. 1—288; 289-576.

لا بدّ من جرأة كبرى للاقدام على وضع مراجع احد الموضوعات ولا سيما

متى كان هذا الموضوع يتداول بلاداً برمتها في ثقافتها وتاريخها وجغرافيتها ودينها وعلاقاتها بما يجاورهـا من البلدان ... فقد احسن المؤلفان (Fritz Maas) وليوناردست (Leonhard Rest) صنعاً، انهما لم يتركا طيّ النسيان مصنف تومسن (Thomsen) ... ولم يذكر المؤلف الرئيسي الكتب فقط ولكنه ذكر المقالات والبيانات التي صدرت بمناسبة الحوادث المشار اليها .

وهذا الكتاب هو من خير وسائل التأليف ومفيد لجميع الذين تهمهم هذه المنطقة من اية ناحية كانت ، واذا كان لا بد من سدّ ما في كتاب تومسن (Thomsen) من نقص فانه يظل مرجعاً للصنفات مهماً . ا. ع. خ

Sakhawiana : *A Twelfth-Century Reading List*, publiés par A. J. Arberry. — N^os 1 et 2 de la collection Chester Beatty Monographs. — London, Emery Walker Ldt, 1951. — Grand format, 53 pp. et 27 pp.

تسدي شجرات الاصول التي تضمها المؤلفات المهمة والفهارس التي تشتمل عليها مصنفات الادب العربي الباحثين خدمات جلّى .

وانـه ليشوقنا ان نلمّ بالتأثير الذي كان يحسّه في احد المؤلفات التي كان يشعر به الاديب وهو يضع كتابه ، فالسخاوي كما يتضح جليًّا من بيان السيد اربري (Arberry) الذي اتحفنا بهذا الاثر ومن شجرات الاصول التي جعلها في اخر مصنفه هو اصل اسرة السخاوي الكبيرة ، فلقد كشف لنا على كل ما اوضح الاسناد عن بعض اسما. العيال التي كانت بدون انقطاع ابًا عن جد من اصحاب القول الفصل سواء أكان ذلك من حيث تفسير القرآن ام من حيث تفسير السنة .

فلقد اسدى السيد اربري بفكرته الدقيقة وبنشره هذه الفهارس التي ربما كانت غنية بها الجامعات الانكليزية خدمة جلى . ا. ع. خ

رباعيات الرياشي : في ظلال الفردوس

بقلم قبلان الرياشي

كانون الثاني ١٩٥٦ منشورات مجلة الورود مطبعة صفير وعون ١٢٧ صفحة قطع وسط

في هذه الرباعيات نغمة شعرية قوية ، لنطلق في مطالعـة ابياتها المتعددة القوافي المتنوّعة الاوزان جد التنويع ادراكاً لمـا فيها من تصور وتوخياً لرؤية

الكيفية التي اعرب بها الشاعر عن فكره ، وتميز هذا الكتاب المحاكاة القائمة بين الفكر والفن الشعري في ابياته ، وقصارانا ان الشاعر الذي فاض قلمه او بالاحرى فؤاده بمثل هذه الابيات وبمثل هذا الاثر من السمة قد تركنا نعاني سحر شخصية شديدة التقلب فنحن ننتقل معه من التفكير الفلسفي الى الوصف البسيط الصافي لننصرف الى اعوص المسائل التي يصادفهـا العقل الانساني : الى مسألة اصل الانسان ، الى مسألة الحياة الثانية والى قضية الشر وكثير غيرهـا من المسائل ... ولكن هلّا نقول ان الشاعر قد جارى طوعاً او كراهية سنة الشعر مضحياً في سبيلها فجرى مجرى المتشائم والمشكك ، ان شكوكية ابي العلاء لمدعاة دائماً الى الغواية وانما ثمة عدد كبير من الاثباتات تدحضها من حيث اصلها فلسفة الاختبار الانساني العميقة جملة وتفصيلاً ، ومن الواضح ان مَن ماتوا لم يرجع منهم احد ولن يرجع ابداً ليطلعنا على ما في الحياة الثانية ، والشكوكي الحقيقي لا يصدق اقوال مَن يعود من بين الاموات ، بيد ان في الانسان ما يكفيه من العقل والادراك الصحيح والاستقامة ليجعله يثبت حقائق الحياة الكبرى وحقائق ما بعد الحياة لكي لا ينتظر عودة انسان مات الى الحياة ، فقد جاء من خاطبني باسم الله ، فاذا لم تستطع الفلسفة الصرف اثبات اقواله لان معظمها خارج عن نطاقها ، علينا ان نقبلها بكل احترام على الاقل ولو على سبيل الفرض ، واذا ما سار المرء في هذا السبيل سبيل الشك فينبغي ان تكون لديه الجرأة ليجعل شكه شاملاً جزئيات والكليات ، بيد ان الحياة اليومية والعقل السليم والاختبار الانساني والعقل نفسه ينافي ذلك صراحة .

ولئن قلنا انها سنة الشعر ، فمن الشكوكية الى امتداح الحياة اليسيرة السهلة ، الى ابيقور ليس الا خطوة وانهذا الاخير ليطل مشيحاً بوجهه في افق الشكوكية ابداً . ومع هذا لا يسعنا الا ان نقر بقيمة هذه الرباعيات الشعرية ا . ع . خ

اوراق اديب

بقلم علي الزين

دار الفكر بيروت ١٩٥٥ ، ٣٣٦ صفحة قطع وسط

يتبع هذا الكتاب نهجاً علمياً في دراسة مشكلة الادب في طور معين من

اطوار حياته وفي منطقة معينة ، وانه تفصيل تريخي رائع يعطينا فكرة كافية عن هذا الادب البعيد جداً البعد عنا : انه الادب في جبل عامل ، الادب الذي يندفع اهل هذا الجزء من لبنان ويندفع مفكرو هذه الناحية الى اظهار ماضيهم وتاريخهم ، ونحن لا يسعنا الا ان نغتبط بهذه البادرة ، وليس الكتاب الذي بين ايدينا الا مجهود في هذا المعنى وقد انطبعت الافكار المثبتة فيه وقد جمعها المؤلف الى كتابه بطابع الحكمة ومعرفة النقد الادبي والفني عن خبرة . ا. ع. خ

Charles Pellat : *Le milieu baṣrien et la formation de Ǧāḥiẓ*, I vol. in-8, xxxvi-311 pp., Paris, Adrien Maisonneuve, 1953.

ها هوذا بحسب اقوال المؤلف نفسها «تمهيد لدراسة الجاحظ» وانه لمن الغريب ان يظل الجاحظ حتى الآن بعيداً عن دراسة منظمة وعلمية ، فلقد رغب السيد بيلا الشروع بهذه الدراسة وسينشر تأليف هذا الكاتب المخطوطة وسيضع له نقداً لن يستنبط فيه احكامه على الجاحظ فحسب بل على العهد الذي عاش فيه هذا الرجل . وسيدرس السيد بيلا البيئة البصرية لان «الجاحظ كان من نتاجها البحت» (ص ١٤) .

واستناداً الى هذا السبب ينقسم كتابه الغزير المادة كل الغزارة الى فصول ستة مركزة على : البصرة في القرنين الاول والثاني ، وعلى الجاحظ في البصرة ، وعلى البصرة بيئة السنة الدينية ، وعليها بيئة ادبية ، وبيئة سياسية دينية ، وبيئة اجتماعية .

وليقتضينا الامر ان ندرس كل فصل ونحلله . اما ما يتميز به مؤلف السيد بيلا فحرصه على الوضوح والدقة والتفصيل ، وانني اود ايضاً لفت النظر الى وفرة الاستشهاد وغزارة المسائل المنبجسة لدى كل خطوة كما في كلامه مثلاً على البصرة عندما يتصدى الى ايجاد المعضلات وايجاد عناصر الحل لها ويوجه تفكير قرائه .

وفي الفصل الاول بحث دقيق بصدد اهمية مدينة البصرة القائمة في مكان قاحل وقد جهد جهده فقال فيه ان حرب الجمل هي التي شطرت سكان هذه

المدينة الى ثلاث فئات تضمر احداها العداء الاخرى حتى استثمروا بعد ذلك اهمية مدينتهم .

والفصل الثاني يطلعنا على كيفية تلقي الجاحظ دروسه وهو الفقير القانع بكفاف من العيش وعلى الطريقة التي كانوا يسيرون عليها في التعليم .

وان لم يكن الجاحظ ممن يهتمون للعناية بعلم الكلام ولا للدفاع عن صحة السنة فان اتقيا. البصرة قد كان لهم تأثير عظيم عليه وذلك ما يوضحه لنا فصله الثالث .

ولقد درس في الفصل الرابع وهو الاشد تدقيقاً والاغزر مادة البيئة الادبية التي نشأ فيها الجاحظ وكان لها فعلها العظيم في تكوين شخصيته . فما أثر في ثقافة الجاحظ الادبية وما الذي كان مبدأ النثر الفني فيجيب المؤلف على هذه الاسئلة بقوله : انه من الواجب المقارنة اولاً بين مآثر ابن المقفع وعبد الحميد والجاحظ وابن قتيبة .

اما موقف الجاحظ السياسي فقد درسه المؤلف في الفصل الخامس وقد كان موقفاً ثابتاً وغير متقلب لانه رغب دائماً في الدفاع عن العباسيين سادة نعمته وفي مهاجمة الامويين وقد راعى احياناً العلويين .

اما في الفصل السادس فقد عمد المؤلف الى مآثر الجاحظ نفسها ليستنبط منها ميزاته الرئيسية ولا سيما ميزة كتاب البخلاء .

ولكن اوضحت البيئة معظم مآثر الجاحظ على هذه الشاكلة فان كتب المؤلف لتشتمل على معلومات قيمة فنرى كيف كانت السياسة نزاعة الى بسط وصايتها على الادب في ذلك العهد وكيف كانت تريد ان توجهه ، حتى اذا ما لفت بيلا النظر الى هذه الناحية كان على حق في ذلك .

ولقد اضاف المؤلف الى اخر كتابه ثلاثة ذيول : تاريخ البصرة ، وحكامها وادراتها وتنظيمها عدلياً وقضاة البصرة ، اما هذه الذيول فتطلعنا على سعة ثقافة المؤلف وتحفزنا على مطالعة كتاب وان كان صغير الحجم فهو جزيل الاهمية ، اذ ليس للتاريخ والادب من سر الا وسبر غوره ولمن المستحب ان نرى بين المستشرقين الفرنسيين ما يحملنا على الآمال الجسام في سبيل التقدم العلمي والعمل العلمي .

ا . عبدو خليفه اليسوعي

Louis Costaz S. J. : *Grammaire syriaque*. 21 16 c., 252 pp., Beyrouth, en dépôt à la Librairie Orientale, 1955.

Anthologie syriaque, publiée sous la direction du R. P. Michel Doumeth, professeur à l'Université Libanaise. Première sélection, établie par les Pères L. Costaz S. J., professeur au Séminaire Saint-Maron de Ghazir, Liban, et Paul Mouterde S. J., professeur à l'Université Saint-Joseph de Beyrouth. Publications de l'Université Libanaise. Section des Sciences philologiques I. 25/17 c. 93 pp. Beyrouth, 1955.

لقد رأى حضرة الاب لويس كوستاز نفسه مسوقاً بحكم وظيفته كمدرّس للغة السريانية في معهد القديس مارون الاكليريكي الى ان يضع كتاباً في صرف اللغة السريانية ونحوها يكون نموذجاً في ايدي طلابه واشدّ انطباقاً على الشرق الذي يتكلم اللغة العربية من المؤلفات الاوروبية كمصنفات نولدكه وبروكلمان او اونكناد لكي لا نذكر الا المصنفات المعوّل على تدريسها اكثر من غيرها .

وبدا للمؤلف انه من الاوفق الانصراف عن الطريقة العامة المتبعة في عرض هذه الدروس اليوم وفي بسط بعض القواعد النحوية والصرفية بحسب العادة الشرقية في المصنفات الموضوعة بين ايدي الطلاب ككتاب الاب كفرنيسي ، ولقد توخّى ان يسدّ في كتابه هذا حاجة الطلاب الاوروبيين الى جانب حاجة الاكليريكيين المقبلين في الكنيسة المارونية وعلى الخصوص حاجة المدرسين الفرنسيين الجدد المقيمين في لبنان فنجم عن عمله هذا المصنف الجديد في القواعد السريانية الذي لاقى ترحيباً كبيراً في عدة بلدان اوروبية ، في باريس ولوفان وروما وحتى في المانية ، واذا كان كتابه قد تفرّد بطابع خاص وهو وضعه في اللغة الفرنسية فلكون هذه اللغة هي اللغة الوحيدة الاوروبية التي يفهمها طلاب هذا الاستاذ، ومما امتاز به هذا الكتاب البساطة في عرضه والوفرة في مستنداته التي استمدّها من مصادر متعددة بفضل جهد جهيد وعمل طويل شاق ، حتى يصبح بدون ريب وسيلة من خير وسائل الدراسة في الشرق والغرب .

وتعليم اللغة السريانية كان يعوزه ما خلا القواعد المختارات الادبية : الثلمة التي لم يحسنوا سدّها لا في الشرق ولا في الغرب الّا بحواشٍ وذيول تضاف الى

كتاب الصرف والنحو . اما الموارنة فكانوا يستعيضون عنها بطالمة الكتب الطقسية ، لتنسع هذه الثلمة منذ افتتح في الجامعة اللبنانية فرع لتدريس اللغة السريانية وهو مستقلٌ عن الامور الطائفية .

ونحن مدينون بهذه المختارات الجديدة التي تفتتح السلسلة اللغوية لمنشورات الجامعة اللبنانية الفنية لمجهودات الاب كوستاز وحدها المشكورة ، وانه ليؤخذ من العنوان ان هــذا الكتاب سيتلوه جزءان آخران ومعجم — (ونحن نخشى ان تقتضي هذه الخطة المتسعة بعض الاتساع الى طويل الانتظار) —.

ولقد بدا للاب المؤلف ان مختاراته ستشق لنفسها بنفسها الطريق بسبب سهولتها النسبية ومع ذلك فقد الحق بها شروحاً ادبية وجيزة وبعض الحواشي فجاءت اول تمهيد لفهم ادب الكتاب السريان ولغتهم ، واننا ليحدونا الامل ان نرى اقبالاً شديداً على هذا المصنف وعلى كتاب القواعد في كل مكان تدرس فيه لغة القديس افرام .

م. ب

C. Gasbarri, d. O: *La Terra di Dio.* — Edizioni Paoline, 1953, 158 pp.

انها لنزهة اثرية ممتعة ذات مستندات نصحب فيها المؤلف الذي يتحفنا بعد ان زار فلسطين مرات عدة بنتائج بحوثه وتأملاته ويبعث فينا شاعرية روحه التي تردد رجعها امام جمال الطبيعة ونفسه الدينية التي تهتز حيال عديد الذكريات المثلثة القدسية وتوقظ فينا ذكرى مرور الرب على الارض فلقد جاء على ذكر الكتاب المقدس والعلماء. وزُين مؤلفه بلوحات كثيرة تكوّن مجموعة رائعة مفيدة ترتفع بالنفس. ولم يفت المؤلف ان يتخذ موقفه في تحديد بعض الامكنة التاريخية، ولن يباحثه في هذا الامر الا العلماء اولي الكفايات في هذا الموضوع .

اما نحن فقد احببنا ذوق المؤلف الدقيق جدّ الدقة في اختياره لوحاته وفي اخراجه مصنفه الحافل بفيض القلب اذ يبعث فينا الشوق لزيارة الاراضي المقدسة ويكون دليلنا ويحيي لدينا نفس المشاعر العميقة التي تحملنا على التأمل العميق الباطني .

تاريخ وفقه

Pierre Vendryes : *De la probabilité en histoire.* L'exemple de l'expédition d'Egypte. 368 pp. in 8° avec 14 cartes. Albin Michel, Paris 1952.

في سبيل تحليل دور الرجل في التاريخ واحلاله في مقامه لا مندوحة عن اتخاذ حادث خطير ، فبونابرت قد جسّم كل ذلك في فضائله ومعراته لان حملته على مصر التي كانت اشد مغامرة اقتحمها قد بينت التقلبات الزمانية على الخطط الانسانية واوضحت تخيّل الانسان وارادته في استخدام الامكانات المحدودة في العهد السابق للصناعة .

وما اقتصر المؤلف على الحملة المصرية ولكنه دعم برهانه بوضعها ضمن نطاق الاستشهادات على الاعمال العسكرية في اوروبة كمارك ايطاليا وسويسرا وضمن نطاق تاريخ القنصلية والامبراطورية وفي نطاق وجهة نظر فكرة فروسية الوضع الاوروبي عند نهاية القرن الثامن عشر .

واننا لنرى الى جانب اتخاذ الخطة الداعية لتخلص الاسطول الفرنسي من الانكليز بعض النظرات العامة .

ووسع المؤلف هذه النظرات فاصبحت مادّة فصوله الاربعة الاخيرة: مفاهيم التاريخ النظرية، امكانات القرن العشرين، تنظيم التاريخ، وانقسام السلطة التي ادخل فيها بكل دقة الاعتبارات العلمية والاجتماعية والتاريخية والمتافيزيقية اما استنتاجاته بصدد دور الماركسية وحرية البشر فتظهر ان امكانات عصرنا الصناعي ليست بامكانات قاطعة نهائية وان القوة الفنية التي تسيطر على المواقف التاريخية لا تستطيع ان تقوى على النفوس .

وفي الواقع ان الكتاب ليستدعي التفكير .

هنري شارل اليسوعي

Ralph L. Beals & Harry Hoijer: *An introduction to anthropology.* Illustrations du Dr. Virginia More Roediger. in-8° de XXII-658 pp. avec 130 figures, cartes ou tableaux dans le texte, 2 cartes h.-t. et un index. Macmillan, New-York, 2e éd. 1953.

لقد رغب المؤلفون الذين ينتمون كاساتذة الى جامعة كاليفورنيا لوس انجلوس

ان يشتمل مؤلفهم علــى ما هو ضروري لمن يريد ان يتوسع في دراسة علم الشعوب وان يعطوا لمحة اجمالية عن موضوعهم لمن لهم المام به ولذلك جاء القسم الخاص بمزايا الانسان بصفــة كونه جهازاً بيولوجياً مبيناً لغايته الاولى والثاني وهو خاص بدراسة مفهوم الحضارة مبيناً لغايته الثانية لان الثقافة هي الحجر الاساسي الذي يستند اليه تطور الانسان .

ومن البديهي ان معالجة قضية الجنس وتاريخه وتقسيماته الحديثة كان لا بد منها . وخصص المؤلفون مقاماً رئيسياً لدراسة علم الانسان باذلين الجهــد لتلقين الطالب معنى تأصيل جذور الثقافة التاريخي .

ان اتقان الكتاب لبالغ حدّ الاناقة وجلي كل الجلاء . وهو في الوقت نفسه خير نموذج لما ينبغي ان تكونه مقاصد الدارس لموضوع تعريف الانسان وقد اوجزوه ليوضح تحديد شكل الاداة او المنهج .

ويلي كل فصل من فصول هــذا الكتاب مطالعات اكمالية مقتبسة عن المؤلفات الاميركية وحدها وعند الضرورة عن الانكليزية على حين انه قــد يكون من المفيد الاقتباس ايضاً من خير الكتب الاوروبية في هــذا الباب وهي لا شك موجودة في المكتبات الجامعيــة الاميركية سواء اكانت من الكتب الافرنسية ام من المؤلفات الالمانية والايطاليــة . ومهما يكن من امر فالكتاب من خير المؤلفات للعمل والدراسة .

هنري شارل اليسوعي

Le Monde en Couleurs.

L'Afrique du Nord, Algérie, Tunisie, Maroc Français et Espagnol, Sahara, Lybie. 464 pp. in-8°, illustré de cartes et de plans de villes en couleurs, de plus de 400 reproductions de photographies ou d'aquarelles en offset et un index.

La Grèce. 446 pp., 300 illustrations photos et cartes en couleurs avec un index. Editions ODE, Paris, 1952.

ان منشورات اوذه « العالم بالالوان » هي منشورات معروفة وادلة مشهورة بتشويقها ، وضعتها اقلام رشيقة حشد اصحابها في فصولها معلوماتهم : من تاريخ واقتصاد ومعجم وفكاهة ... اما فائدتها فقائمة على كونها تهيئ السفر وتبعثه حيًّا وعلى السلوى بين مرحلتين .

وخالجت الناشرين فكرة رائعة اضافتهم الى موضوعاتهم بحثاً صغيراً على

الحضارة الاسلامية بقلم الاديب المعروف فيليب مارسه (Philippe Marçais) وصفحات ثلاث قيمة لفرانسوا بونجان (François Bonjean) على ? (hachoüma) وهي مقدمة مقتضبة جوهرية على النفس الاسلامية .

وليس رسم « العالم بالالوان » الا تيمّن سعيد ولا سيما للبلاد اليونانية بلاد النور والصخور والسرو والآثار العظيمة والبحر الازرق .

وتذكّر بعض فصول في المقدمة اشكال البلاد اليونانية المدرسية : كالتاريخ والمسرح والادب والميثولوجيا والفنون .

وبعد القاء نظرة اجمالية على البلاد اليونانية اليوم وعلى اثينا فقد رسمت كل منطقة طبيعية باشكالها الاشد حيوية تحببها سلفًا الى القلوب .

ويجمع اخراج رسوم هذا الكتاب الانيقة المؤلفات الفنية التامة والتماثيل والآنية ومناظر الشوارع ومشاهدها المنقسمة الى صور بماء الصمغ مدهشة والى صور شمسية .

ولا مندوحة لنا عن ان نستميحهم عذرًا اذا ما قلنا ان هذه الصور الاخيرة يعوزها اللمعان لتحاكي الضوء الاغريقي . ومهما يكن من امر فان هذا الكتيب هو فتنة للعين على شاكلة البلاد التي جاء على وصفها . هنري شارل

RAYMOND CARTIER : *Mon tour du Monde*, 248 pp. in 8°, Editions Julliard, Paris, 1953.

ان الطواف حول العالم الذي بعثه حيًا مراسل مجلة « ماتش » الذي يبلغ قراؤها اسبوعيًا من نيويورك موجز الموقف العالمي هو طواف عام ١٩٥٢ .

ولقد قصر طوافه حول تخوم مناطق النفوذ السوفياتي اي من المانية الى كوريا مارًا بتركية والهند واليونان ليهمل بسبب ضيق الوقت يوغوسلافية تيتو والبلدان العربية وفارس .

وبعض اوصافه المفعمة حيوية لتبعث في الذهن امورًا جمة قد مكنت المؤلف من ان يوضح لنا بايجاز معضلات عصرنا الرئيسية وبخاصة معضلات آسيا المفتوحة ابوابها على مصراعيها امام الخطر الشيوعي .

ولا يبعث على شيء من التفاؤل في لوحته هذه سوى الزاوية التركية بتقدم تنظيمها العسكري بواسطة المساعدة الاميركية . اما الهند القائمة على جرف

المجاعة فشكلتها باعثة على الاسى ومحزنة. اما بيانه بصدد الهند الصينية حتى بعد فوات الاوان فمتفائل جدّ التفاؤل . . . على حين ان اليابان المجردة من السلاح والجائعة فاوضاعها داعية الى الشجى .

ولقد تصدّى في الفصل الاخير من كتابه وعنوانه آسيا والغرب الى وصف مجموعة اوضاع الجنوب والشرق الاسيوي .

ويلقي ريمون كارتيه المسؤولية على عاتق الاميركيين لعدم تروّيهم واوهامهم ولعدم خبرتهم وتخبطهم في قلب المعضلات التي تتجاوز طاقتهم . ومما قاله في هذا الصدد لو ان السياسة الاميركانية كانت واقعية وغير وهمية لما كانت لتخلق الموقف الذي خرجت منه جزر اللؤلؤ بل كانت حاولت منع اليابان عن القاء نفسها في المغامرة اليائسة التي زجت بنفسها فيها المانية التي رفضت طوال سنتين الاذعان لماشاتها ، فانه كان بمقدورها ان تتفادى عن زعازع هدامة نجمت عن انتصارات اليابان وعن اذلال الغرب امام آسيا اذلالاً لا سبيل لاصلاحه ولتجنبت انتشار الشيوعية في الفراغ الذي اوجده تراجعهم ومن ثم اضطرارهم الى تحطيم دولة عظمى ضرورية للتوازن العالمي . هنري شارل

R. C. Anderson: *Naval Wars in the Levant* in-8°, x-620 pp. avec 10 planches h.-t., 19 plans de bataille et une carte de la Mer Egée. Princeton University Press, avril 1952. Prix: $ 7.50

الدكتور هندرسون هو من الاختصاصيين بالشؤون البحرية وقد وضع ونشر عدة كتب في التاريخ البحري وبكل ما يتعلق بالسفن والشؤون البحرية .

ومما يستوجب منا شكره هو تخصّصه بدراسة حروب البحر المتوسط الشرقي منذ معركة ليبانت حتى ظهور السفن البخارية وذلك بعد تاريخ معارك البلطيك البحرية ومن فضائل تاريخه الكثير انه اتحفنا بتاريخ كامل لبحرية البندقية كما عرّفنا ايضاً الى البحرية الروسية في حرب كريت التي اسدل في معظم الاحيان الستار عليها ومن بين فصوله التي استدعت منا الانتباه اكثر من غيرها يجدر بنا ان نشير الى موقعة ليبانت والى الموقعة التي نشبت في مطلع العهد النابوليوني .

وتخوّلنا الرسوم البسيطة الواضحة ان نفهم بكل سهولة كيفية اشتباك البوارج في كل موقعة .

ولا ريب في ان المؤرخين والبحارة سيقمون في هذا الكتاب الرائع المنصف على اللذة والفائدة . هنري شارل

René Schaefer : *Drame et chances de l'Afrique du Nord.* Préface de Jacques Chevallier, in-4°, 224 pp. avec 2 cartes. Les Éditions Internationales, Paris, 1953.

انه لمؤلف انساني قبل اي امر آخر كان لانــه لا يلجأ الى الاعتبارات الجنسية (من ثقافية واقتصادية واجتماعية) الّا ليأتي بقاعدة رصينة للمجاورة التي ينبغي اقامتها بين الرأي العام الفرنسي الذي لا يعرف غالباً معرفة صحيحــة او الغير عالم علماً صحيحاً وبين الفئة المنخوبــة في الشمالي الافريقي المهووسـة احياناً شديد الهوس والآخذة بالآراء النظرية .

ان المأساة متأتية عن التوتّر القائم بين مجتمعين وهو توتر ناجم عن مركب انحطاط لدى الوطني وعن مركب الاقلية لدى الاوربي الذي طغا عليه جمهور نام و الاشجار وهو كثير المشكلات ؛ وان انعــدام التوازن بين الحاجات المطردة الازدياد والموارد هو مأساة وانهــا لمأساة التطور المزعج الذي يتطلب تجهيزاً مادياً واجتماعياً في حين ان مرحلة احيــاء الزراعي للارض كاد لا ينتهي بعد .

وان الخطوط للجنس والعنصر في ازدياد الشعب هذا الازدياد الذي يعدّ من اعظم الثروات الانسانية وانما تتعلق بالشأن الاجتماعي والثقــافي والروحي لطبيعة الدين الاسلامي والحضارة الناجمة عنه؛ الروحية والانسانية الشديدة البروز .

وختم المؤلف بدراسته للحاول : كاتيان الاعمال الكبيرة وايلاء السلطات وتثقيف الرجال تثقيفاً يجعلهم من ذوي الاختصاص .

وهذا الكتاب مفيد لشرقنا الادنى الذي تثار فيه قضايا التطور الاجتماعي بشدة وان اختلفت درجتها : كالبورجوازية الاقطاعية وشبه طبقة الكادحين الزراعية والاقلية المسيحية في دار الاسلام. هنري شارل

Maurice Ricord : *Croisières en Méditerranée.* 126 pp. en 4° sous couverture « aquarelle » de A. Costa avec 149 héliogravures et une carte h.-t.

ينقسم هذا الكتاب الى قسمين : الاول البحر المتوسط الغربي مع اسبانيا

وكورسيكا وايطالية الجنوبية وافريقية الشمالية والثاني البحر المتوسط الشرقي مع اليونان وتركيا وسورية ولبنان وفلسطين ومصر .

ولقد اقتصر متن الكتاب المقتضب المنكمش بعض الانكماش على ما يستطيع ان يراه المسافر من موانئ ومعلومات تاريخية هو اشد ما يكون في حاجة الى معرفتها .

وهذا المتن توخى ان يكون عملياً ووجيزاً قبل اي امر آخر كان ، اما فضل الكتاب فقائم على تجربة رسوم لوحاته ومعارضتها بالسواد والبياض وعلى ترتيب التصاميم المختلفة التي اظهرها كل الظهور تصوير برون (Braun) الشمسي تصويراً افضى في كل موضع الى ان يكون مأثرة حقيقية .

ملحوظة : اني استميح لنفسي العذر بان انبه الى خطإ صغير ورد في (الصفحة ٩١) عن كتاب هنري بوردو « جميلة تحت الارز » التي وقعت حوادثها في قلب لبنان الماروني تحت ارز الرب لا « في جبل الدروز » .

هنري شارل

L. Carl et J. Petit : *Tefedest. Méharée au Sahara central.* — Arthaud. Grenoble. Paris 1953. — Préface de Raymond Coclu, 260 pp.

انها لملحمة رائعة ملحمة اولئك الرفاق الاربعة في كورة الرجال الزرق كورة هوغار (Hoggar) ذلك الاوقيانوس الذي تغني دائماً ريح الصحراء حجارته الصلدة المائتة حيث ينساب ظل القوافل انسياباً وئيداً وبدون نأمة تحت سماء منبسطة الاديم وحيث يفقد الزمن نفسه كل معنى له .

ان كل امر لا بدّ من تسجيله على ممر الايام : كالمغطسة لاكتشاف كورة اناس ذوي عادات غريبة ومن عصر هو غير عصرنا وكمشقة تلك الرحلات الطويلة عبر صحراء يخيم فيها الصمت وكالابتهاج لروئة النفس في جو من الصداقة التي توجدها الطريق وتبقي عليها . ومن جراء كل عبارة نلحظ سمات هذا الشعب الشديد الغرابة واولئك الرجال المحتجبين دائماً في قلب صحراء قد تستروا فيها فظلّ اصلهم سراً شديد الغموض ... بيد ان تاريخهم الانساني العجيب قد ابقى على الصخور آثاراً ما برحت رسومها مجهولة وهي تنم عن نفس ما انفكت ايضاً مجهولة .

ومن ادعى الدواعي الاطلاع على هذا الكتاب الذي يبين ميول مؤلفيه الانسانية الكبيرة .
ا. ع. خ

رصيد التاريخ

بقلم رينه غروسه

نقله الى العربية محمد خليل باشا – المنشورات العربية – جزءان ٢٧٣–٣١٣ ص قطع وسط

اهدتنا مؤخرا دار منشورات الدراسات العربية ترجمة « رصيد التاريخ » لمؤلفه رينه غروسه ، ونحن لا نودّ العودة الى بحث عن اصل فكرة هذه المجموعة بعد ما قلناه في رواية تريستان وايزات (Tristan et Yseult) وانما نرغب في لفت الانتباه الى الاخراج والترجمة .

ولقد كان اخراج هذه الترجمة على شاكلة كل اجزاء المجموعة متقناً الاتقان كله ، اتقاناً يبهج النظر ويلذ الذوق الذين يروقها الوقوع على مصنفات جذابة الظواهر من حيث الورق والحرف والهوامش البيضاء . والمهارة في الاخراج كما في هذا الكتاب لتدلّ على ارهاق الذوق الفني ارهاقاً كبيراً جداً .

اما الترجمة وهي بقلم محمد باشا الذي حرص على ان يبقى للنص الاصلي قوته وطابعه فترجمة خاطفة طوراً وهادئة جزلة تارة مما يدلّ على استيعاب الكاتب استيعاباً واسعاً للاصل ، وليس ذلك بالامر اليسير . واذا كنا قلنا ان كل ترجمة لن تقوى على ان تكون امينة كل الامانة للاصل فهذا ما لا نستطيع ان نقوله هنا. اما ما خوّلنا ان نقول هذا القول فهو ان الترجمة قد اعاد النظر فيها كاتب او كاتبان فناقشا عباراتها وتخيّرا مفرداتها ، ومع ذلك لا يسعنا الّا تهنئة هذه المجموعة على بلوغها هذه الدرجة النسبية من الكمال .